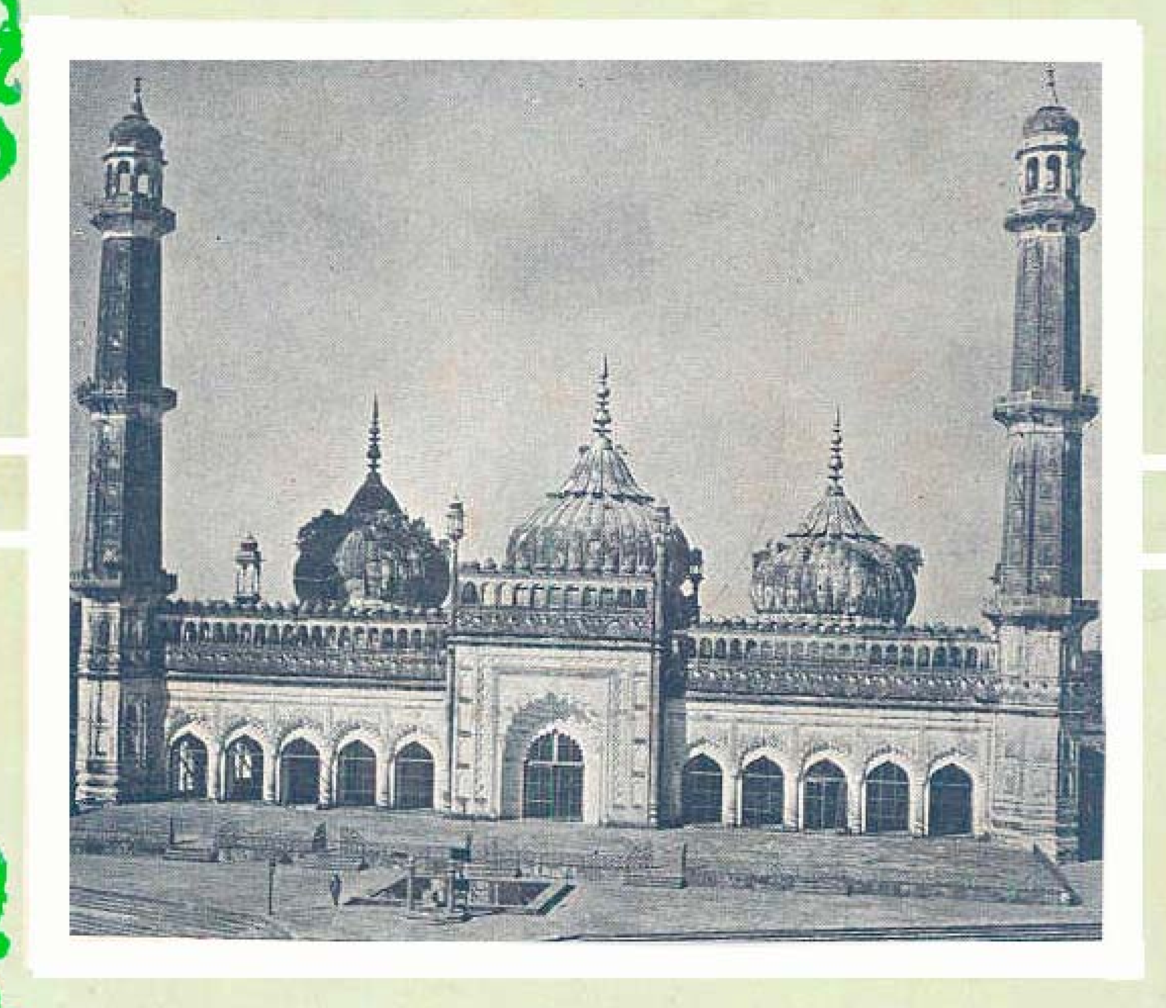


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد السادس - السنة الرابعة
شوال 1380 - مارس 1961
ثمن العدد درهم 1

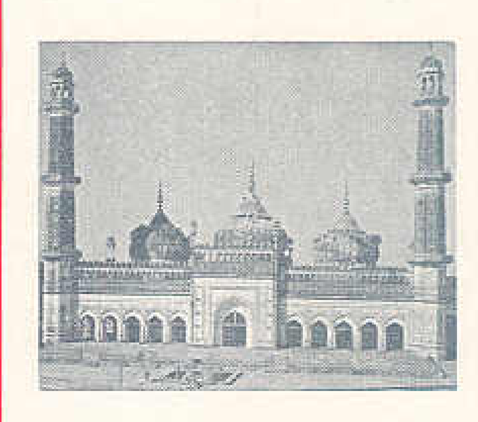
مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد السادس
السنة الرابعة
شوال 1380
مارس 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



مسجد لوكنو بالهند من الآثار
الاسلامية الخالدة

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد



يبـدو ان قضية التعريب فى بلادنا قد بدات تحظى باهتمام متزايد من طرف المسؤولين ، ولعل المؤتمر الاخير الذي عقد بالرباط لشؤون التعريب والمحاولات الاخرى التي سبقته دليل على ان هذه القضية التي كثر الحديث حولها متصلة اتصالا وثيقا بشعورنا القومي ومرتبطة ايما ارتباط بمقوماتنا الاساسية كامة عربية تدين بالاسلام وتطمح فى استكمال اسباب سيادتها لتؤدي رسالتها التاريخية من جديد فى هذه الحياة .

ان سعينا للحفاظ على اللغة العربية والمطالبة بتطويرها واعزاز جانبها تبرره ضرورات قومية لاينكر اهميتها الا مكابر عنيد ، فالشعب الذي يطالب بحفظ لغته انما يطالب فى الحقيقة بحفظ تماسكه ووحدته ويطالب بحفظ استمراره فى الوجود ، وحفظ شخصيته التي تعتبر اللغة عنوانا لها وتعبيرا عنها وتحديدا تتبين من خلاله ثقافة الامة ورسالتها وحياتها الروحية ونظرتها الى الوجود .

ليس هذا الكلام من قبيل الشعر كما يتخيله البعض بل حقيقة اجتماعية علمية تفرض ذاتها بمجرد التامل فى طبيعة اللغة والوظائف التي تؤديها للفرد والمجتمع ، فحسبنا ان نتغرب فى بلاد اعجمية زمنا طويلا لنرى كم يشتد حنيننا الى لغتنا ، وكم تعظم فرحتنا عندما نصادف احد مواطنينا فنتحدث اليه ونستمع منه فنحس فى نفوسنا شعورا قويا باتصال عميق وتفاهما صميما ينبع من داخلنا عكس الذي يحدث عندما نخاطب الاجنبي ؛ وكذلك الامر بالنسبة لماضينا وتاريخنا ، اننا لم نشاهد ابطالنا وشعراءنا وفلاسفتنا وعلماءنا مشاهدة عينية ولكنا نشعر بالفة عميقة وسحر دافق ونحن نقرا تراثهم ونتامل افكارهم ونتملى بمآثرهم وامجادهم ، بل ان اللغة اكثر من هذا رمز حي وصورة شفافة لعقليتنا وكياننا ومظاهر حياتنا اذ عن طريقها نتناقل افكارنا وتصوراتنا ومعتقداتنا واساليبنا فى العمل والسلوك ، والذين خبروا شؤون اللغة يعرفون ان الكلمة ليست مجرد احرف جامدة وانما هي ذات تكمن فى صميمها روح حية نابضة ؛ فالآية الكريمة **(ان اكرمكم عند الله اتقاكم)** تحمل فى كلماتها القليلة المعدودة نظرة الامة العربية الى الانسان والمعيار الذي ينبغي بمقتضاه ان يحدد السلوك البشري ويقوم .

وعليه فان اهتماما بقضية لغتنا ومستقبلها اهتمام بوجودنا ووحدتنا وباستمرارنا وبشخصيتنا كامة هادفة تعيش لتحقيق رسالة سامية فى الوجود ؛ فنتمنى ان يظل هذا الاهتمام مستمرا موصولا ومقرونا باعمال ايجابية ؛ وليست التضحيات التي يمكن ان نتحملها فى هذا السبيل سوى ضريبة تدفع عادة عند التمسك الشديد بسيادة الامة وعزتها وكرامتها .

دعوة الحق

خطاب جلالة الحسن الثاني في الذكرى الأربعينية

الحمـد للـه وحـده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

« وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون »

في هذا الموقف الخاشع الرهيب الذي ترفرف عليه روح امامنا الراحل العظيم وقائدنا المفدى الهادي الى الصراط المستقيم ، في هذا الموقف الجليل ، وفي هذه الذكرى الاليمة ، ذكرى المصاب الجسيم بفقد ابي الامة المغربية جمعاء ، لايسعني كابن بار وثمرة من ثمار محمد الخامس ، الا ان اتوجه بسمعي وحديثي وقلبي الى محمد الخامس ، اتوجه باسمي واسمكم الى والدي ووالدكم الى زعيمي وزعيمكم الى قائدي وقائدكم الى الشعلة التي انارت لنا الطريق الى روح محمد الخامس رضي الله عنه وطيب ثراه

ابـتــــاه

منذ اربعين يوما مضت وافاك الاجل المحتوم ونودي عليك من الملا الاعلى فلبيت النداء مبتسما لدعوة السماء ابتسام الذين نالوا ارفع الدرجات فودعتنا ولكن بقلب مطمئن ونفس راضية وفارقتنا على نداء : « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » ورفعت على اجنحة العمل الصالح الى المقام الاسمى الرابح ، مقام العزة والرضوان واقتبلت بالرفيق الاعلى اقتبال العارفين من طرف الملائكة المقربين « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها : سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين »

فهنيئا لك بجوار ربك مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين

هنيئا لك ابتاه بتحقيق الرؤيا التي بشرك بها الصديق الذي اصبحت له بفضل الله نعم الرفيق ، الست قد صبرت وصابرت وجاهدت ورابطت وعاهدت فوفيت وقلت فصدقت « من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم »

الفاجعـة المهولـة

ايها الراحل العظيم

فارقتنا منذ اربعين يوما فقامت قيامتنا لهول الفاجعة وذهلنا لعظم الواقعة فكم من حامل وضعت

قبل الاوان حملها وكم من مواطن فقد وعيه غما وكمدا وكم من روح قاضت حسرة ونكدا فلم يشهد المغرب بل العالم كله يوما كيوم فراقك ؛ كانت الاصوات تتعالى كالرعود القواصف وكانت شهقات البكاء تهدر كهدير البراكين ، لقد فداك الشعب حيا وحاول ان يفديك عندما التحقت بالرفيق الاعلى ولم يسجل التاريخ ان خليفة نعي كما نعيت ولم يتحدث عن ملك او قائد ندب كما ندبت وانا ابنك وارث سرك والمتقرب بك الى ربك والمتبرك بتراب نعلك صعقت أعظم صاعقة وتحيرت بين عاطفة عمر الفاروق الشديد الحازم وبين اطمئنان ابى بكر الصديق المومن الصابر وقد حدا بي الاشفاق على هذا الشعب العزيز وقد برحت به البلوى وعظم عنده بفقدك الخطب وتضب منه امام هول الفاجعة معين الصبر ان اصيح فى وجه الجميع بمثل مقالة عمر : من زعم ان محمدا قد مات ولكن اطمئنانا كاطمئنان ابى بكر الصديق غمر قلبي بعد ان تذكرت وصاياك الابوية الكريمة فانزل الله بها السكينة علي ورددت ما ردده جدك الكريم يوم فقد فلذة كبده ابراهيم : العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا على فراقك لمحزونون

ان تلك الطمانينة التي تغمر قلوب المومنين كلما حم القضاء ودعا داعي السماء هي التي الهمت ابا بكر الصديق ان يثبت قلوب المسلمين الهالعين يوم فقد الرسول

ابتاه

وبنفس هذه الطمانينة استعادت ذاكرتي وصاياك الكريمة التي كنت تزودني بها وفى طليعتها خطابك الذي وجهته لي والذي ضم جوامع كلمك ذلك الخطاب الذي سيبقى لي نبراسا يضيء لي السبيل ، الم تتوجه الي فى ذلك الخطاب بهذا القول الحكيم :

اعداد لتحمل المسؤولية

يابني لقد اخترت لك من الاسماء الحسن لاربط بين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد وليكون لك فى جدك المولى الحسن خير اسوة واعظم قدوة فلم تكد تطل على السادسة من عمرك حتى قدمتك للمعلم ليلقنك آيات القرآن وليغرس فى قلبك الطاهر الفتي حب الدين وعزة العروبة والاسلام — ولما ترعرعت يا بني اخترت بقاءك تحت سماء المغرب ليتم تكوينك الثقافي فى بيئة مغربية فبنيت لك مدرسة خارج القصر ليتربى فيك الاعتماد على النفس فحرمتك من مجاملة الخادمات وحنان المربيات حتى تزدهر شخصيتك وتصبح عصاميا بارزا قبل ان تكون اميرا ثم احطتك برفقاء من مختلف طبقات الشعب لاني كنت اريد ان اعدك اعدادا منتزعا من بيئة شعبك فكنت احرص ان يعاملك رفقاؤك كباقي اخوانك التلاميذ تقارعهم الحجة بالحجة فلا يخضعون لك الا بمقدار ما تبديه من تفوق ومعرفة وهذا ما كنت ارجوه من المدرسة المولوية : انعزال عن القصر واعتماد على النفس وخوض معركة الحياة ، لقد سهرت يا بني على بناء المدرسة وبرامج التعليم وكنت المفتش فيها والمراقب وكنت افاجئكم فيها واحيانا بالليل فكنت تقوم وتسرع لي باسما مبتهجا كما اني كنت اراقب دفاتر واجباتك فأجازيك اذا تفوقت واعاقبك اذا قصرت ولكن والحمد لله قلما كنت متاخرا

يا بني لقد كنت صارما مع الاساتذة وكنت الح عليهم ان يعودوك الطاعة والامتثال وان لا يتساهلوا معك وان لا يحترموا فيك الا القيم الانسانية المجردة وما افاء الله عليك من ذكاء وعلم وادب وعمل وكان غرضي ان تتعلم الطاعة لتعرف فى يوم من الايام كيف تملي اوامرك لان من تلقى الطاعة جيدا املاها جيدا

يا بني ان والدك يومن بان قيادة الامم وتسيير الدول فن قائم بذاته فلا يكفي فيه التعليم والتربية وحدهما بل لا بد من تكوين عملي يومي مباشرة يخرج من القلب فيصل الى القلب

فاعددتك مواطنا مغربيا قبل اعدادك اميرا فقد كنت اقص عليك تاريخ بلادك ومواقف اجدادك كما كنت القنك معنى المواطنة حتى تؤدي ولاية العهد التي انطتها بك ، واحرص على أن تومن بالواجب الوطني والصالح العام ؛ وكنت ادفعك لتتعمق فى فهم معنى قيم الشعب لتخدمه الخدمة الصادقة

ان مهمتك خطيرة فيجب ان تزداد من العلم والمعرفة ؛ يجب ان تدرس الافراد وان تعرف الشخصيات « يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور »

الم توجهني بتوجيهك السديد مخاطبا اياي :
ها قد افاء الله عليك من عوارف انعامه واضفى عليك سوابغ قبوله واكرامه والف القلوب على حبك واطلق الالسنة بمدحك والثناء عليك ــ فاحمد الله الذي شرح للايمان صدرك ورفع بالاخلاق قدرك ونشر بالتضحية في الخافقين ذكرك

واياك أن تحيد عن صراط الاسلام القويم او تتبع غير سبيل المومنين فانه لا عدة في الشدائد كالايمان ولا حلية في المحافل كالتقوى واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة وتقرب منه بالاعمال الصالحة ذراعا يتقرب منك توفيقه باعا واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي واشتبهت عليك السبل وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .
اوصيك بالمغرب بلدك الكريم ووطنك العظيم فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف وليكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته امرا يقتضيه منك شرف المسؤولية وتفرضه عليك تقاليد الاسرة في آن واحد وتذكر ان جدك الحسن الاول كان عرشه على ظهر فرسه لكثرة تنقله في البلاد ومشيه في مناكبها متفقدا للرعية سامعا للشكاة مستاصلا لجراثيم البغي والفساد

بكاء الشرق والغرب

ابتاه

من هذه الوصايا الكريمة ايها الوالد الكريم استمددت العون واستلهمت الرشد واستمددت العزم ويشهد الله اني لاجلها قبلت الامانة وتحملت المسؤولية على غير تطلع مني ولا انتظار ، ان دقيقة بجانبك وانت حي كانت عندي اسمى من كل عرش واعظم من كل ملك وان نفحة من نفحات رضاك التي كنت انعم بها كانت تكفي لاشعر اني اكثر من ملك متوج ولكن اذا كانت البنوة تفرض طاعة الآباء بتنفيذ اوامرهم وهم احياء فهي كذلك تفرض تنفيذ وصاياهم وهم اموات .

فلقد تجندت بسرعة وتحملت بشجاعة الصدمة واعتمدت على الله مستمدا العون منه شاعرا بان رضاك الدائم يحفني وان روحك الكريمة ترعاني .

ايها الوالد الكريم .

ان مما زاد في سكينة قلبي والهمني الجميل شعوري بانك عند مولاك في مقعد صدق في النعيم المقيم وان روحك الطاهرة بفضل الله سعيدة وان العناية الالاهية صحبتك ميتا كما صحبتك حيا وان موتتك لم تكن الا موتة الابرار وتبديل قرار زائف بنعم القرار وايثارا لدار البقاء على هذه الدار ، ولقد وجدت حسن العزاء وجميل الصبر في تأثر جميع الشعوب والدول لفقدك وفي عزاء جميع قادة العالم في مصابك تساوى في ذلك العرب والعجم والمسلمون واليهود والنصارى فلقد بكاك بصدق الشرق والغرب وفقد فيك العرب قائدا حكيما والمسلمون ملكا صالحا وابا رحيما وفقدت افريقيا في شخصك محررا مثاليا مقداما متزنا صبورا .

انك لم تكن ملكا كالملوك ، انك لم تكن تحمي العرش بالشعب وتستغل المواطنين والوطن من اجل الولاية والسلطان بل كنت الشعب بعرشك وتناضل عن الوطن بنفسك وكنت لا تسأل الراحة والمتعة لشخصك ولا تسعى في المصالح الرخيصة لافلاذ كبدك والمقربين من اسرتك وانما كان شعارك الدائم هو شعار جدك يوم الموقف الاعظم : اللهم اني لا اسالك نفسي ولا فاطمة ابنتي وانما اسالك امتي امتي .

فلئن امتاز طغاة الحكام بتجنيد المستضعفين لحماية مصالحهم وتحقيق مطامعهم فلقد امتزت انت وسموت انت بان قدمت عرشك واسرتك ونفسك للدفاع عن هذا الوطن ــ فكان الشعب يتسابق لفدائك وكنت تسابقه للدفاع عن حوزته وحماية مكاسبه وبهذا التسابق للفداء والتضحية حصل ذلك التجاوب العظيم بينك وبين هذا الشعب فتحققت المعجزات التي اثارت اعجاب العالم وتعددت المنجزات التي عرف بها عهدك العظيم وظلت مقرونة باسمك الكريم .

ثمرات غرسك

ابتاه

ان عزاءنا الوحيد ايماننا بانك لست غائبا عنا فانت حاضر في كل مؤسسة ومنظمة يقترن اسمك بملحمة الحرية والاستقلال وتاريخ الجهاد والنضال ، انت حي حاضر في المساجد التي شيدتها وفي الجامعات التي اسستها وفي المؤسسات التمثيلية التي كونتها انت حاضر في قلوب اليتامى في المبرات وحاضر في قلوب

المتعلمين فى المدارس والجامعات بل انك حاضر فى ضمائر المغاربة اجمعين انت حاضر فى قلوب المثقين وفى عزائم المقاومين وفى ثورة الثائرين وتضحية المضحين حاضر فى نهضة الفن والفنانين اذ انت الذي ايقظ الضمائر واحياها وانار البصائر وارشدها واثار العزائم وشحذها فلقد كنت القائد المغامر السائر فى الطليعة والمجاهد المثالي الذي اعطى فى الجهاد الامثلة الرفيعة فما الوعي الوطني الا ثمرة من ثمار غرسك فلقد خلقته وتعهدته وربيته وغذيته كنت توجه النداء تلو النداء كلما انحرف المواطنون عن الجادة او كاد يصيب وعيهم دخل او عزائمهم وهن الم تحذر فى خطاب العرش قائلا : فحذار من مثبطات الهمم ومحبطات الاعمال ورجوعا ايها الشعب الى التاريخ القريب لتدرك الموبقات التي كانت سببا فى ضياع حريتنا منذ نصف قرن ـ فانه ما عصف باستقلالنا وما انجح المكائد الاجنبية الا الافتراق والاختلاف والتخاذل والتواكل والتردد والتفاخر بالمدن والقبائل والشح بالنفس والمال ووقوف المواقف السلبية وتقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة ـ « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » فعلينا ان نتمسك باخلاقنا الدينية والوطنية ، وزدت تقول : وان نستديم نعم الله بشكرها ونحذر زوالها بالجحود فينطبق علينا المثل الذي ضربه الله للجاحدين « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف مما كانوا يصنعون »

ابتاه

انك بهذه الوصايا الحكيمة وبمنجزاتك العديدة ـ وبروحك الطاهرة المرفرفة فوقنا تجعلنا نومن بانك مازلت بين ظهرانينا تراقبنا وتوجهنا وتحثنا على مواصلة السير ومداومة العمل ومتابعة الكفاح لتنفيذ رسالتك والاقتداء بسيرتك والاهتداء بهديك الذي هو هدي الخلفاء الراشدين من قبلك ؛ « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »

عقيدة وايمان

ايها المكافح العظيم

لقد قضيت صباك تحت تاثير العهد الاول للحماية فكنت وانت الطفل الصغير تسمع الآهات على الاستقلال الضائع والمجد الذاهب والحرية السليبة وكنت تتابع اخبار المقاومة المغربية المسلحة فى الجبال والصحاري وكنت تشاهد ما عليه الامة المغربية من التشبث بالخرافات والتعلق بالاساطير والخروج عن طريق الجادة والمحجة البيضاء فكنت تتالم وكنت تحزن ـ ولم تكد تعدو الحلم حتى تحملت الامانة فشهرتها حربا على الخرافات والطرق الضالة وقضيت على المحاولات العنصرية التي كان يريدها الاستعمار لتفريق كلمة الامة واستغلالها لانك كنت تومن بانه لن يستقيم امر هذه الامة الا بعقيدة مومنة سلفية طاهرة نقية وانه لا تتم اية نهضة صحيحة الا بفكر وطني متجرد يعمل للصالح العام لا يفرق بين اسود وابيض وعربي وعجمي « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ولقد اتت اعمالك الطيبة نتائجها فتم القضاء على الشعوذة والتدجيل واتجهت الافكار للتعليم والاصلاح فنظمت الجامعات العتيقة وجددت مدارسها واحييت خزائنها وعمرتها وفتحت المدارس وكونت الكليات والمعاهد ودفعت هذا البلد الامين فى طريق الرقي والمدنية ـ محافظا على العلوم الدينية والتقاليد الاسلامية . ولقد آمنت يا ابتاه بانه لا يمكن ان يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها فاخرجت المراة من عهد الجهل الى عهد النور والعلم واعطيت بالاميرات فلذات كبدك اروع الامثلة فتسابق المواطنون لتعليم بناتهم ولم تبق الفتاة المغربية حليا يشترى او زينة تدخر بل اصبحت تفاخر بالشهادات والتسابق الى المعاهد والكليات فلقد نجحت النهضة النسوية واحرزت المراة المغربية على كامل حقوقها فلم ترحل الى الرفيق الاعلى حتى عادت المراة الى ما وصفت به فى القرآن « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » . وهكذا اصبحت المراة صنوا للرجل فهي تلميذة بجانب التلاميذ طالبة مع الطلبة معلمة مع المعلمين تمثل امتها فى جميع المحافل فى الخارج ـ وتقوم بجانب الرجل بجميع المهام بالداخل فلم يبق ميدان من ميادين الحياة الا ولجته ونالت حقوقها الاجتماعية وتوج عصرك الزاهر بأن احرزت المراة على اعظم ما وصلت اليه فى اي بلد متمدن الا وهو المشاركة فى الانتخابات والظفر بحق التصويت. لقد كانت المراة موؤودة فاحييتها وكانت اسيرة الجهل والتقاليد فحررتها وكنت الملك الصالح المسلم الاول الذي اعاد الامر الى نصابه ورد شان المراة لطريق صوابه ، فلئن امتاز القرن العشرون فى المغرب وغيره فى بقية العالم بعدة معجزات فان من اعظم معجزاته فى بلادنا الانقلاب السريع العظيم الذي حصل فى حياة

المراة المغربية بفضل توجيهك ونضالك ، لقد كان سر نجاحك انك لم تكن ملكا قوالا بل كنت ملكا فعالا فدعوت لتعليم الفتاة وكنت أول البادئين وناديت بتحريرها وكنت أول المحررين لقد كنت تملي الاوامر بالمثال فذلك سر نجاحك فى كل حال

ابتـــــاه

لقد كانت خطتك فى الاصلاح مطبوعة بالحكمة فقد كنت تريد مدنية فى ظل الدين ودينا صحيحا مطهرا من دجل الدجالين والمشعوذين فتحملت فى سبيل ذلك المحن والمصائب وثار عليك الدجالون من اعوان الاستعمار وتألبوا عليك باسم الدين والدين منهم براء وحاولوا تأليب البسطاء والاغرار عليك ولكن الله كان معك وكان وليك وراعيك فثبتك وايدك ونصرك وكم حاول الاستعمار ان يغريك بجميع أنواع المغريات فكنت تردد مع جدك شعاره الدائم فى فترة كفاحه العصيب : والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يساري

الحرية والاستقلال هدفك الاول

ابتـــــاه

لقد قضيت سبعة عشر عاما فوق العرش تحاول بكل ما فى وسعك ان تاخذ لهذه الامة ما يمكن اخذه من المستعمر الغاصب وكنت تقلب الراي وتعد الخطط للتخلص من سيطرته وتهيىء الاطارات بالداخل والخارج فى انتظار يوم الخلاص لكي يحسن المغرب الجديد مواجهة مسؤولياته حتى اذا اشرفت الحرب الاخيرة على نهايتها ووجدت الفرصة مواتية للصدع بما قدرت اعلنتها فى شجاعة المقاوم الباسل والبطل الصنديد المغوار فحصرت مطلبك فى الحرية والاستقلال لوطنك وافهمت العابثين بحقوق امتك انك لن تحيد عن هذا المطلب ولن تساوم او تهاود فيه وهكذا قدت منذ سنة 1944 امتك فى المطالبة بالاستقلال فاستقبلت فى شهر يناير التاريخي جماهير الوفود ــ وكنت الزعيم المبرز فى ذلك اليوم المشهود .

ومنذ ذلك اليوم وأنت تشجع وتنظم وتعد العدة فى السر والعلانية موجها لجميع الحركات ثابتا فى الازمات فكم من عزائم خارت فقويتها وكم من مؤامرات حيكت فأحبطتها ولم تكد تصل سنة 1947 حتى ربطت بزيارتك التاريخية بين اجزاء المملكة المغربية فحطمت الحدود المصطنعة وربطت الحاضر بالماضي فأكدت ارتباط هذا الجناح من وطن العروبة بباقي اطرافه ولفت بذلك الخطاب التاريخي انظار العالم الى ان المغرب الذي لعب عبر التاريخي اروع الادوار فى بناء صرح المدنية متطلع الى ان ياخذ من جديد مقامه فى المحافل الدولية ويساهم مرة اخرى فى عظمة وازدهار عالم ما بعد الحرب ومنذ ذلك العهد والاستعمار يوالي مؤامراته عليك ــ ويجند الصنائع والعملاء للنيل منك.

الب عليك جرائده فى الخارج وحرك اذنابه فى الداخل وحاول ان يسد عليك الآفاق وان يؤثر عليك بالدعايات ويشهد الله انك كنت فى كل ذلك ثابتا صابرا مكافحا مثابرا متكلا على ربك مستمدا العون من سيرة جدك ، كان ايمانك بالله هو ملاذك عند الملمات وكان ربك معينك وموفقك عند الازمات واشهد يا ولدي انه عندما كانت تقسو الظروف والاوقات كان ايمانك النور الذي يسطع فيبدد الظلمات والفجر الصادق الذي كان يقضي على ليل الشبهات وبينما كان الاستعمار واذنابه ينتقلون من خيبة الى خيبة ومن مؤامرة الى مؤامرة كان الله يرد كيدهم فى نحورهم وتدور الدائرة عليهم اما أنت فكنت تنتقل من نصر الى نصر ومن فوز الى فوز ومن مجد الى مجد ــ فما ودعك ربك وما قلى ولا عنك فى يوم تخلى شعارك الدائم : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ، يا ايها الذين آمنوا كونوا انصارا لله ، الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ، وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » .

لم تقم للشر قائمة

ايها الوالد الحبيب

فى هذا الموقف الرهيب اتذكر فترة تاريخية عشتها بجانبك حينما تكالب علينا الاستعمار مهددا

لجلالتك متحديا لمهابتك يساومنا على أن نرضى بالدنية فى وطننا ويراودنا على ان ترهن مصير الامة فى عبودية مستمرة مستعملا لذلك انواع الوعيد ممتطيا لذلك ضروب التهديد ومع ذلك لم يهن لنا عزم ولا ضعفت لنا قناة ، « فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » . انك لاتزال امامي يوم ان طوق القصر واصبح محاصرا ساكنا كالقبر وما زلت اتذكر وقد نظرت اليك نظرة اشفاق ـ واراك وانت تبتسم مرددا : « لاتحزن ان الله معنا » . وهجم الظالمون على القصر واخرجنا من اهلنا وديارنا لا نعلم اين المصير وحلقت بنا الطائرة وودعنا ارض الوطن الحبيب لاندري ما ينتظرنا

ولن انسى ما حييت تلك اللحظة الخطيرة التي عشتها واياك بين السماء والارض داخل الطائرة العسكرية تلك الطائرة التي كان منظرها وحده لا يوحي بثقة ولا باطمئنان وعندما علت فى طبقات الجو لم يستطع قلبك ان يتحمل ضغط الاجواء ومع ذلك تجلدت وقبلت المخاطرة فى سبيل امتك وما هي الا دقائق حتى اخذ قلبك يرجف كالطائر الجريح داخل قفص فاسرعت الى الربابين اطلب منهم ان يسقوك جرعة ماء فامتنعوا فايقنت بالكارثة وفاضت دموعي تترى وضممتك الى صدري وكان عزائي الوحيد ان نموت متصلين متعانقين ولقد آلمك ان تراني باكيا فاخذت تطمئنني وتقرا آيات الصبر : « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » ، ان ايمانك بالله لم يضعف قط ولم يصبك قنوط فى المنفى لانك كنت واثقا بمن يعلم السر واخفى لقد كنت تراها اشبه بالهجرة من مكة الى المدينة وكان لك فى رسول الله الذي هاجر وانتصر اسوة حسنة ، لقد كنا ونحن فى المنفى السحيق نتابع بطولة الشعب الذي جند نفسه لفدائك وكنت لا تشك لحظة فى عودتك الى امتك ووطنك وكنا نختلي الساعات الطوال لنضع التصميمات لمغرب الغد الحر المستقل ولم تمض الا شهور حتى صدق الله وعده ونصر عبده وهزم المستعمرين والعملاء وحده وكانت عودتك الظافرة نكسة الشر التي لم تقم له بعدها قائمة « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا »

ايها المقاوم الاول

بثباتك وصبرك وبتضحياتك بسلطانك وعرشك لقنت للمواطنين دروس التضحية والفداء ورسمت لهم طريق الحرية والسعادة والرخاء فتسابقوا للمقاومة والتضحية وتنافسوا فى بذل المهج السنية وتساقطوا شهداء فى الميدان واسترخصوا كل غال فى سبيل الاوطان وبين عشية وضحاها عدت لهاته الامة وانت رمز فداها بل انت مبدا التضحية ومنتهاها حاملا فى يمناك اليمن والاستقلال وفى يسراك اليسر والاقبال

الجهاد الاكبر

ايها المنظم القدير

لم تسترح لحظة بعد تلك العودة وانما رجعت من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وابتدات الكفاح لتوطيد دعائم الدولة وتشيد صرحها ومواجهة مهام الاستقلال وضبطها فاقمت الامر على اساس متين واعليت شأن الدنيا والدين فهيات للامة قوانينها واطاراتها وكونت لها شرطتها وجيشها واقمت لها معالم الثقافة وارسيتها واقمت مؤسساتها التمثيلية واعليتها وبواتها المقام الاسمى فى المحافل الدولية واسهمت بجهودك المباركة فى حظيرة جامعة الدول العربية ووضعت المغرب فى المكان المرموق فى الامم المتحدة واصبحت رسول الحرية والسلام تدعو لهما فى الخافقين وتبشر بهما فى المشرقين ولم تمض الا شهور على هذا العمل الدائب حتى اصبحت بلادنا قبلة الوافدين ومحط اهتمام الشرق والغرب تقصدها الوفود من كل جانب ويعترف بفضلها الاقارب والاجانب تعقد فيها المؤتمرات ويسجل لها التاريخ اروع الصفحات فلم تغادرنا حتى مهدت لنا كل سبيل ، وتركت لنا الخطة والدليل خلفتنا على المحجة البيضاء لايزيغ عنها الا هالك ـ « هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني »

وقد اراد الله ان يصطفيك لجواره الا بعد ان ختم لك بالحج المبرور وان يمن عليك بفضل الوقوف فى البقاع المقدسة وكان فى حجك ذاك اعظم مغزى ذلك انك وانت فى معترك الحياة العملية لاتنسى ان الى ربك

الرجعي وفي جهادك لتبوئة امتك المقام الاسمى لاتغفل عن ان ماقي الآخرة خير وابقى وتم رضى الله عنك حينما اختارك بجواره في شهر الغفران الذي انزل فيه القرآن وهكذا رضي الله عنك حيا وميتا ، « ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم »

ابتـــاه

ان الذي يبرد حرارة اللوعة ويطفيء نار الفرقة ايماننا انك حبيب الله فلقد اجمعت الامة الاسلامية على حبك وتهجد المسلمون في الحرمين يوم وفاتك داعين لك بهما متوسلين لك في المقامين وهكذا عمل المسلمون في مشارق الارض ومغاربها قاصيها ودانيها ومحبة الخلق من محبة الحق ان الله اذا احب عبدا نادى ملك في اهل الارض ان الله يحب فلانا فاحبوه فلقد احبك مولاك واجتباك وجعلك المجدد المصلح في هذا القرن واصطفاك مصداقا للحديث :

(ان الله يبعث على راس كل سنة مجددا) لهذا كانت سيرة كسيرة جميع المصلحين وكانت شمائلك كشمائل اصحاب الرسالة والمجددين قضيت الشطر الاول من حياتك في المشاهدة والملاحظة التعبدية فاطلعت على الحقائق والاسرار ولمست المصائب والاضرار ثم كانت المرحلة الثانية حيث تحملت الامانة وصدعت بالامر وجابهت الظلم والظالمين فتحملت المضايقة والتعذيب بايمان الصديقيين وعزيمة المومنين الموقنين ثم جاءت المرحلة الثالثة النهائية في حياة كل ذي رسالة وهي اقصر المراحل فجاء الفتح والنصر وتحققت الآمال ونالت الامة الحرية والاستقلال « اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا »

ومما زاد يقينا برضى مولاك عنك ومحبته لك ، انه عندما كنت داخلا لقاعة العملية ، كانت راية الاستعمار تنزل من فوق البنايات العسكرية ، وكانت القيادة العسكرية الاجنبية بالمغرب تنحل وتسلمت الدولة المغربية ثكناتها وقيادتها وكان آخر ما سمعته هي هاته البشرى ، وكان آخر ما اغمضت عليه جفنيك هذا المنظر السعيد وكانت هذه الحادثة آخر كرامة ظهرت لك في حياتك . فمحمد الخامس الذي حاول الاستعمار ان ينزله عن عرشه يوم 26 فبراير سنة 1951 لم يفارق هذه الديار بعد ذلك بعشر سنوات حتى انزل الاستعمار في صياصيه ، واجلاه عن المغرب ، فكان فاتحة لجلائه عن افريقيا والعالم المضطهد كله ، وكانت المدة الفاصلة بين المحاولة الاستعمارية ويوم الجلاء عشر سنوات كاملة كالمدة بين الهجرة والفتح

آمـــال تتحقـــق

ابتـــاه

هكذا حقق الله آمالك واستجاب لك كل دعواتك لقد كنت تدعوه سبحانه ان ياخذك اليه طاهرا نقيا نظيفا محبوبا حتى تبقى جذوة حبك متقدة في كل قلب ولوعة فراقك متاججة في كل صدر ولقد كان لك ما اردت ، فلقد غادرتنا عزيزا محبوبا نقيا معظما ، واحترقت القلوب لفراقك ، وكل هذا يدل على انك لست ملكا كالملوك ، ولكنك مجدد وصاحب رسالة وهبك الله ما اردته حيا وحقق رغبتك عند موتك ، كما حقق لك جميع الرغبات في حياتك

ابتـــاه

لقد ودعتنا وما يشغلك عن الامة شاغل ، لقد كنت تناجيني بانك تطمع للمزيد من تحسين احوال العامل والفلاح ، ولقد كنت متالما للتخلف الاقتصادي والاجتماعي مصمما العزم على ا ن تبذل في سبيل القضاء عليه جميع الجهود والمساعي وكنت تثور كلما طرق سمعك اخبار عن المسؤولين الذين تاتمنهم على الشعب فيستخفون بالامانة ، كنت تريد ان توفر لشعبك المزيد من الحكم النظيف والعدل النزيه وكنت تسعى جاهدا لرفع مستواه الاجتماعي لم تدخر في ذلك جهدا غير قانع بما حققته ولا راض كل الرضى عما انجزته في تطلع دائم الى الكمال ورغبة صادقة في ان لايشرق فجر كل يوم الا على هدف تحققه أو مطلب ترضيه أو مظلمة ترفعها ثم فارقتني على غرة يا أبتاه تاركا لي العبء الذي تحملته مؤتمنا اياي على الامانة التي قلدتها فلقد قلت لي يا والدي في خطاب ولاية العهد : وكما تقتضي ولايتك لعهدي ان تخلفني في الامة تقتضي منك ان تخلفني في اسرتي وان لهذه الاسرة عليك من الحقوق مثل الذي للامة عليك فكن امينا على مجدها وغيورا على شرفها ، حفيظا لسؤددها وعزها وصل رحمها وحقق امانيها ولب في دائرة المعروف رغائبها ومطالبها واعمل على ان تكون مثلا اعلى لامتك علما ونبلا واستقامة وفضلا واوصيك على الخصوص باسرتك القريبة وبطانتك الوشيجة من اخوان واخوات وامهات

امـانـــة وامتحـــان

ابـتـــــاه

لقد فارقتني وخلفت في عنقـي امانتين : القيـام بواجب الاسرة الكبيرة والاسرة الصغيرة ، انها مهمـة خطيرة ، انها مسؤوليـة عظمـى ، مسؤوليـة القيـام بالواجب نحو اثنى عشر مليونا من المواطنين الذين هم جميعا ابناؤك انهم يتامى فقدوا اباهم فجعلتنـي الاب الثاني لهم والقائم مقامك في شؤونهم انها مهمة خطيـرة ولكن اتباعي لوصاياك والسير في سبيلك ، وحضـور روحك سيمدني بالقوة والمصابرة وعنـدي اليقيـن ان اقتباسي هدايتك سينير لي السبيل وانت بعيد عني بجسمك كما كان ينير لي السبيل وانـا منك قـريب وساجد في تبادل الاتصال الروحـي والتجاوب بينـي وبينك حلا لكل مشكلة ومخرجا من كل مازق ، فلقـد صاحبتك ورافقتك ، وامنت ان العنايـة الالاهية لـم تفارقك قط ، وعندي الامل في الله قوي انها ستصاحب ولي عهدك من بعدك والقائم بامرك حتى يكون خير خلف كما اردت لخير سلف

ان هذه الامانة امتحان عسير ولقد تعودت منـك ان تلقاني كلما نجحت في كل امتحان تلقاني بابتسـامتك الابوية الطاهرة الحنـون وكـل املي في الله سبحانـه وتعالى ان انجح في هذا الامتحان حتى اذا نزل القضاء والتقينا برحمة الله في دار الخلد والرضوان فزت منك بتلك الابتسامة مهنئا لـي بالنجاح في الامتحان الاكبر

انني اجتهدت وثابرت دائما لاحظـى بابتسامـة الرضا اثر كل امتحان وسابذل اعظم الجهود واتحمـل كل المشاق حتى اكون اهلا لتلك الابتسامة الخالـدة في فراديس الجنان يوم ينعم الله علينا باللقيا والرضوان

ابـتـــــاه

ها انـا امام قبرك الطاهر وتحت نورك الباهـر اعاهد الله واعاهدك واعاهد الشعب على انني سأسيـر على سنتك وسأقتدي بسيرتك سأسهر بعيـن لاتنام حتى احقق لشعبي العزيز ما يصبو اليه وساعمل كامل جهدي ، حتى ياخذ كل ذي حق حقه ، وسأعبىء الامة من اجل صالحها ولصالحها حتى تلتحق بالركب السائر، وحتى نقضي على التخلف في جميع مظاهره . اعاهدك الله ان اكافح كما كافحت واناضل كما ناضلت واكـون مع الشعب لصالح الشعب ولاجل الشعب متخذا مـن شعبي درعا حاميا للعرش وان اجعل العرش في خدمـة الكفاح من اجل صالـح الشعب حتى نحقـق المجتمع الاسلامي السعيد الذي كنت تحلم به مجتمعا متقدما مترفها متدينا في ظل المدنية ممتدا في اطـار الشريعـة الاسلامية ، محافظا على القيم الحميدة سائرا في سبيل الاحراز على فضائل العلوم والمدنية مجتمعا يسعد فيه المواطنون ذلك عهد بيني وبينك والله على ما اقول وكيل

اللهـــم . .

ابـتـــــاه

في هذه الساعة المليئة بالخشوع ، وقد كثـرت الآهات وجرت الدموع وامام هاته الخلائـق المومنـة ، نتوجه الى ربك الرحيم رافعين اكف الضراعة قائليـن : اللهم يا من وسعت رحمته كل شيء ارحم عبدك اميـر المومنين اللهم اجعله في جـوار المحبوبين من الصديقين والشهداء والصالحين

اللهم ارزقه نعم الشهداء المقربين

اللهم استقبله في خلدك باحسن ما استقبلت بـه عبادك المحبوبيـن : « سـلام عليكم طبتم فادخلـوها خالدين » ، اللهم كما شرحت صـدره ورفعت ذكـره اجعل له الآخرة خيرا من الاولى اللهم ارفـع مقامـه في المقامات ودرجته في الدرجـات ، اللهم انـه ابن نبيـك وسمي رسولك ، فاجعل له بنسبـه سببا وباسمه ذمة ونسبـا

اللهم انه صديق قرآنك والمحافظ على صلواتك ومناجاتك فاجعل القرآن له نورا واجعل صلاته طريقا لرؤيتك ورضوانك ، اللهم ان ثقته بك كان لا يحصيهـا عد فاعطه على قدر كرمك وجودك

اللهم اجعلنـا من المهتدين بهديـه ، وثبتنـا على صراطه وسنته ، واجعلنا من الوافين بعهده ولا تـزغ قلوبنا عن وصاياه ونهجـه

اللهم اجعله قرير العين باعمال امته ، اللهم وفقنا للاعمال الصالحة حتى ترضى عنا روحه ، اللهم وفقنا حتى نحقق لهذه الامة ما كان يريد لها ، اللهم انـه كان يريد لها الوحدة فوحد كلمتها واجمع شملها والف بين قلوبها ، اللهم انه كان يريد لها العلم فعلم جهلها ، اللهم انه كان يريد الاخلاق الصالحـة لها فهذب اخلاقهـا ، اللهم انه كان يريدها امة قرآنية مسلمة عربية فوفقنا لخدمة العروبة والديـن

اللهم اعط لوالدنا وزعيمنـا وقائـدنـا احسـن ما اعطيت للذين انعمت عليهم ، اللهم كما انعمت عليـه بالنسب الاصيل والاسم الجميل والخلق الجليل اجعله في مقعد صدق مـع الذيـن انعمت عليهم مـن النبئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا صدق الله العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل انـه نعـم المولـى ونعـم النصيـر

دراسات إسلامية

دواء الشاكين وقامع المشككين

- 12 -

للدكتور تقي الدين الهلالي

قال المؤلف : الفصل التاسع : تطور العقل

من اعجب العجب انه لا يوجد فى حياة الحيوان على كثرة انواعه واختلافها ما يسجل له شيئا من العقل فليس له الا الغرائز ، فاذا جئنا الى الانسان نجد العقل خاصا به ، فلم يوجد حيوان قط استطاع ان يرفع حجر او يعد عشرة او يفهم معنى عشرة .

لقد اتيح لكثير من المخلوقات ان تظهر بغرائز وخواص بلغت فيها الى درجة عالية من الذكاء ، فمن ذلك ان الزنبور يصيد الجندب ويحفر له حفرة فى الارض ، ويخزه فى مكان معلوم من جسمه حتى يفقد وعيه ويعيش على شكل اللحم المحفوظ فى علبة مثلا ، ثم تضع اناثه بيضا فى المكان المناسب بالضبط ، ولعلها لا تعرف ان بيضها حين يتفقس يخرج اولادا يقتاتون من تلك الحشرة دون ان يقتلوها ولو قتلوها لكان ذلك خطرا عليهم ، ولابد ان الزنابير فعلت ذلك وكررته من اول خلقها الى يومنا هذا ، ولولا ذلك لما بقي زنبور واحد على وجه الارض ، والعلم يقف حيران امام هذا السر ولا يجد له تفسيرا ، ومع ذلك لا يمكن ابدا ان يكون ذلك قد وقع على سبيل المصادفة ، ثم تغطي انثى الزنابير الحفرة التي تركت فيها اولادها وتنطلق مسرورة باداء واجبها ، ثم تموت ، فلا هي ولا احد من اسلافها الماضيات فكر فى ذلك العمل ولا عرفت واحدة منهن ماذا يقع لاولادها ، بل ولا عرفت ان سيكون لها اولاد ، بل ولم تعرف انها عاشت ولا انها عملت عملا كفيلا بحفظ نوعها .

اما النحل والنمل فيظهر انها تعرف كيف تنظم وتحكم جماعتها بنفسها ، فان لها جنودها وعمالها وعبيدها ويعاسيبها ، ولو انك التقطت قطعة من الكهرمان على شاطيء بحر البلطيق ، لوجدتها تشتمل على نملة محبوسة منذ ازمنة طويلة تفوق العد ، ولوجدتها نسخة طبق الاصل من النمل الموجود فى هذا الزمان ، فهل توقف التطور عن سيره فى حق النمل حين وصل الى النظام المناسب لبيئته فى الطبيعة ، ام كان ذهن النملة الصغير آلة اقل من ان يصل الى غرض اعلى مما هو عليه ؟ لا شك ان النملة من حيث هي حشرة اجتماعية قد تعلمت كثيرا ، ويظهر انها ارتقت الى ادراك النظرية العجيبة وتطبيقها وهي (الخير الاكبر للعدد الاكبر) وتصل بذلك الى النتيجة المنطقية كما فعل بعض اهل الهند الشرقية فى الجيل الاخير ، فى بعض انواع النمل تاتي العاملات منهن بالحب الصغير لتغذية غيرها من النمل ابان فصل الشتاء ، ويعمل النمل ما يعرف ببيت الطحن ، وفى ذلك البيت يطحن النمل الذي اوتي افكاكا قوية خلقت بالقصد للطحن بتحضير الطعام لسكان تلك المستعمرة ، هذا هو شغلهن الخاص ، واذا جاء فصل الخريف وتم طحن الحبوب كلها تحقق المثل (الخير الاكبر للعدد الاكبر) وهذه القاعدة تستوجب حفظ الزاد من الطعام ، ولما كان عدد النمل الطاحن سيكثر فى الجيل الجديد فان الجنود من النمل تقتل ذلك النمل الذي طحن الحب ، ولعلها تجد فى انفسها مسوغا لذلك القتل باعتقادها ان اولئك الطواحن المقتولات قد اخذن حظهن كاملا من الغداء فى وقت الطحن ، يعني فبقاؤها يضيق الغذاء ويوقع البطالة فى الجيل الاتي .

ثم أن بعض انواع النمل بسبب الغريزة او بدافع التفكير ((اختر منهما ما تشاء) يزرع الفطر وهو ما يسميه المغاربة (الفكاع) ويعمل منه مزارع تسمى

حدائق الفطر ويصيد انواعا معينة من الارق ويسمى اليرق ، وبالانكليزية (كتربيلر) والدود الذي يسمى بالانكليزية (قمل الاشجار) هذه المخلوقات هي ما يدعى بقر النمل او معز النمل لان النمل يستخرج منها شيئا مائعا يشبه العسل يتغذى به . ومن شان النمل ان يأسر اعداءه ويتخذهم عبيدا ؛ وبعض النمل حين يعمل اعشاشه يقطع اوراق الشجر على حجم معين ؛ وفي حين يضع بعض العملة من النمل الاطراف في مكانها تستخدم صغارها التي لا تزال في طور اليرق وهي قادرة على ان تغزل الحرير ، وتجعله خيوطا لتخيط به تلك الاوراق بعضها مع بعض ، وقد تحرم صغار النمل انفسها من عمل بيت تستقر فيه بسبب ذلك الشغل الذي يعود بالخير على الجماعة ايثارا منها لمصلحة الجماعة على مصلحتها الخاصة .

فكيف تقدر ذرات المادة وهباءاتها التي يتالف منها جسم النملة ان تقوم بهذه الاعمال المعقدة ؟ فلابد ان يكون هنالك خالق عالم قدير يدبر ذلك وغيره . والانسان وحده هو الذي اوتي عقلا تطور الى حد انه يقدر به ان يفكر تفكيرا عاليا عظيما . فالغريزة تشبه نغمة واحدة من نغمات الشبابة المعروفة بالناي ، وهي نغمة جميلة ، ولكنها محدودة ، على حين نرى العقل البشري يشتمل على جميع النغمات التي تحتوي عليها كل الآلات الموسيقية التي يتالف منها الجوق الذي يسمى (اوركسترا) والانسان هو الذي يقدر ان يؤلف تلك النغمات ويخرج من مجموعها للعالم معزوفات « سمفونيات » موزونة كاملة من الفكر تقارب المعجزة . ولم تخرج العناية الربانية مخلوقا حيا من الصخور الطبيعية الاولى : مخلوقا له عقل مرن مثل عقل الانسان . اذا صار ذلك معلوما فنحن نقدر ان ندرك قابلية الانسان ان يتلقى قبسا من رب العالمين يجعله سيدا في الارض ، عجيبا في مزاياه خالدا فيما قدره الله له .

ان التطور لابد له حسب القوانين الكيميائية والطبيعية ان يقصر اقصى حدوده على اعظم ما يمكن من مناسبة ما حوله ، ولا يتجاوز ذلك ، فجمال ريش طائر هو اظهار لجاذبية التزاوج بين الذكور والاناث ، وبذلك يمكن تعليله ، غير ان الطلاء الجميل ليس ضروريا لوجود الانسان ، وان كانت المراة الجميلة موجودة ، ان المادة من الذرات والصخور او الماء يمكن ان تتحد ، واذا اعطيت الحياة يمكن ان تتطور الى انسان ، ولكن هذه العناصر بعد ان تتم مناسبتها للبيئة الطبيعية ، ايمكنها ان تسير الى الامام وتنتج استاذا موسيقيا يستطيع ان يكتب نغمات « نوتات » على القرطاس ، ويسجل تناسبها الجميل ويصنع « بيانو » يستولي به على الباب المستمعين ويسحرهم بنغماته ، ثم يسجل معزوفاته على اقراص من البلاستيك تذاع في العالم بمحطة اذاعة بواسطة الاثير ، ولا تعرف الذرات من امره شيئا غير انها موجودة فيه ؟

ان بعض انواع الحيوان تتعاون في شؤونها وتوحد جهودها فلا تصيد الا في حال جماعات ، فتجمع غذاءها وتخزنه للمستقبل ، وتضاعف جهودها الفردية بالعمل المشترك ، ولكنها مع ذلك تظهر انها لا تتقدم ولا خطوة واحدة الى الامام . اما الانسان فانه ضاعف قوته الفردية ووحد جهوده حتى بنى الاهرام ولم يقف عند ذلك الحد ، بل اكتشف الالة الرافعة ، والبكرة المساعدة على رفع الاثقال بالحبال ، والعجلة التي تسهل الجر ، والنار . وراض الحيوان حتى عوده حمل الاثقال وغير ذلك من الاعمال ، واضاف الى قوة الحيوان العجلات ، فسهل عليه بذلك العمل وزاد في قدرته وسرعة سيره وقوى ظهره ، وتغلب على قوة سقوط الماء فصرفه فيما ينفعه ، واستخدم البخار والغاز والكهرباء ، وانتقل من العمل باليد الى اختراع الالات الميكانيكية ، وصار يسيطر عليها ويستخدمها في اغراضه فضاعف بذلك عمله وسهله على نفسه ، وكل اولئك من بنات فكره ونور عقله .

ثم هو في تنقلاته من مكان الى مكان قد اخترع آلة جعلته يسبق الظبي في سرعة عدوه ، ثم صنع عربة وركب لها اجنحة فحلق بها في الجو وسبق طير السماء في سرعة الطيران ، فهل وقع ذلك كله بتفاعل مادي على سبيل المصادفة ؟ ويظهر ان الجمال ملازم لطبيعة الكون في كل شيء ، فمن ذلك جمال السحاب ، وقوس قزح ، والسماء الزرقاء ، والبهجة الرائعة التي تعتري الانسان حين يراقب النجوم ، والقمر الطالع والشمس في وقت الغروب ، وجمال الظهر وجلاله ، كل ذلك يهز مشاعر الانسان ويسحره .

تعليقـــات :

1) الزنبور حشرة صغيرة تشبه النحلة له لسع شديد ومن ذلك المسالة الزنبورية وهي مسالة يقال ان سيبويه اختلف مع الكسائي فقال الكسائي : بحضرة هارون الرشيد كنت احسب ان العقرب اشد لسعا من

الزنبور فاذا هو اياها ، فقال سيبويه : اخطأت . الصواب ان تقول : فاذا هو هي . فقال الكسائي : لم اخطيء . فقال سيبويه : هؤلاء العرب بالباب يعني فصحاء البادية الذين لم يختلطوا بالعجم ولم تفسد لغتهم . فرضي بذلك الكسائي وبعث الى العرب وامرهم ان يصوبوا رايه اذا سئلوا فاستجابوا له لعلو منزلته عند الرشيد واولاده . فدعي العرب فجاءوا وخاف الكسائي ان يطلب منهم النطق بهذه الجملة فيتطقوا بها على ما قال سيبويه وهو الصواب ، فقال لهم اسمعوا كلامي وكلام سيبويه واحكموا فقال الكسائي : (كنت احسب ان العقرب اشد لسعا من الزنبور فاذا هو اياها) وقال سيبويه : (فاذا هو هي) فقال العرب : الحق مع الكسائي ، فحزن سيبويه ومات غما ، والدليل على ان الحق مع سيبويه ان ضمير اياها من ضمائر النصب ، والموضع يتطلب ضمير رفع لانه موضع خبر المبتدا . ثم نعود الى المقصود بالذات فنقول : ان الزنبور حين يصيد الجندب الوثاب الذي يكون في الزرع ويجري له ذلك العمل الجراحي في مكان معين من جسمه بابرته التي هي جزء من جسمه لم يدرس علم التشريح ولم يتمرن على الجراحة والعلاج في اي مستشفى فكيف عرف الموضع المناسب من جسم الجندب وكيف قدر على اجراء تلك الجراحة بلا تعلم ولا تمرين ؟ وكيف عرف ان الجندب بسبب تلك الجراحة يبقى على قيد الحياة ولكنه لا يستطيع الفرار ؟ وكيف عرف ان بيضه سيتفقس بعد ان يصبح هو في خبر كان ، وان ذلك الجندب افضل غذاء لاولاده بعد خروجهم من البيضة ؟ وكيف عرف الاولاد ان لحم الجندب انما يكون هنيئا مريئا اذا تغذوا به وهو حي ؟ فاذا اكلوا لحمه وهو ميت يكون سما قاتلا ؟ ان الانسان الذي هو اشرف المخلوقات يعجز كل العجز عن ادراك هذا السر فكيف بالعلم به اوالقدرة عليه ، الا يدل ذلك دلالة قطعية على ان وراء هذا السر مدبرا حكيما عليما يسر كل شيء لما خلق له عرف ذلك ام لم يعرفه فتبارك الله احسن الخالقين .

2) قول المؤلف : كما فعل بعض اهل الهند الشرقية لا ادري ما يريد به مع انني اقمت في الهند سنين وجلت في ربعها من بمباي وكراتشي غربا الى كلكته شرقا ولي في تلك البلاد تلاميذ واصدقاء كثير ، فالرجاء من كل قارىء يفهم ما يريد المؤلف بتلك العبارة وخصوصا صديقنا الاستاذ المودودي وصاحبه تلميذي البر محمد عاصم الحداد ان يكتب الى مجلة دعوة الحق بما يوضح مراد المؤلف ، واما القاعدة الاجتماعية التي قال المصنف لعل النمل قد توصل الى ادراكها وهي (الخير الاكبر للعدد الاكبر) فيدل قوله تعالى في سورة المائدة : (وتعاونوا على البر والتقوى) وقول النبي (ص) يد الله مع الجماعة . وقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) وقوله تعالى (وامرهم شورى بينهم) الى غير ذلك من النصوص .

3) قال المؤلف بسبب الغريزة او بدافع التفكير (اختر منهما ما تشاء) يعني ان تلك الاعمال التي يقوم بها النمل تحيرت الالباب في مصدرها ومنشئها ، فان قلنا انها ناشئة عن غريزة حيوانية فان عقولنا تستكثر ذلك وتستعظمه على الغرائز الحيوانية وان قلنا ان ذلك ناشيء عن تفكير فالتفكير يقتضي وجود العقل ، لذلك خير المصنف قارىء كتابه ان يختار اي الرايين يريد ، وهنا يجيء المثل العامي (خيره تحيره) .

4) كثيرا ما اجد المؤلفين من العرب في علم الحيوان والنبات قد اصطلحوا على الفاظ يزعمون انها عربية ، ولا اجد لها اصلا في المعاجم العربية ولم يبقوها على لفظها الاعجمي ، فاعدل عن الكلمة التي اصطلحوا عليها عمدا واكتفي بتفسير اللفظ الاعجمي الى الحد الذي اظن معه ان القارىء يفهمه فيتوهم بعضهم اني لم اعرف تلك الكلمات المصطلح عليها . ومن ثم نشا الاعتراض الذي اشرت اليه في الجزء الذي قبل هذا ، وسبب هذا الارتباك والفوضى تقصير الامة العربية دولا وجماعات في ضبط الادب العربي واللغة العربية بوضع معاجم وافية شافية لجميع الالفاظ اللغوية والعلمية والاعلام بانواعها فضلا عن موسوعة تجمع الاداب والعلوم العربية .

النظام الجديد للتعليم والتربية

للأستاذ : أبي الأعلى المودودي

(فى سنة 1959 م الفت حكومة باكستان الجديدة لجنة لتقديم الاصلاحات الجديدة لادخالها على نظام التعليم الجاري فى البلاد ، واللجنة لهذا الغرض نشرت طائفة من الاسئلة فى الجرائد ودعت من فى البلاد من ارباب العلم الذين لهم خبرة فى ميدان التعليم ان يقدموا اليها الاجوبة على هذه الاسئلة ، فهذه الكلمة التي نتحف بها القراء هي جواب الاستاذ ابي الاعلى المودودي على اسئلة اللجنة ننشره ليعم نفعه) .

من اللازم قبل ان نقترح الاصلاحات فى النظام الحاضر للتعليم فى بلادنا ، ان نكون على بينة مما يوجد فى نظامنا الحاضر للتعليم من المعايب والنقائص ، اذ لايمكن بدون ذلك ان نعرف كيف وعلى اي وجه يجب ان ندخل عليه الاصلاحات والتعديلات .

ان بلادنا يوجد فيها اليوم نظامان مختلفان للتعليم :

نظام تجري عليه مدارسنا القديمة وتقوم تحته باعداد الافراد لحاجاتنا الدينية .

ونظام تجري عليه كلياتنا وجامعاتنا العصرية وتقوم تحته باعداد الافراد لادارة سائر شؤوننا فى الحياة ما عدا ما يتعلق منها بالناحية الدينية .

فالمهمة التي تواجهنا اذن هي ان ندرك اولا ما فى كلا هذين النظامين من النقائص والمعايب ، ثم نقترح بدلا منها نظاما للتعليم والتربية موحدا يفي بكل ما لنا من الحاجات فى الحياة الدينية منها والاجتماعية والمدنية معا ، وينهي – فى الوقت ذاته – هذه الثنوية فى نظام التعليم الحاضر ، التي انما تقوم على النظرية الباطلة القائلة بالتفريق بين الدين والدنيا .

النظام القديم :

اما النظام القديم ، فمن سوء الفهم الشائع عنه ، انه النظام القديم لتعليمنا الديني ، وحقيقة الامر انه ما كان نظاما لتعليمنا الديني وانما كان نظاما قررته الحكومات المسلمة الماضية لاعداد الافراد لوظائفها الادارية الرسمية ، وعلى هذا فقد كانت حاجتنا اليه قد انتهت يوم قام فى بلادنا الحكم البريطاني ، اذ لم تعد للمتخرجين تحته مكانة ما فى الحكومة الجديدة ، ولكنه لما كان محتويا على تراثنا المدني والثقافي منذ عدة قرون ماضية ، وكان فيه ، ولو على قدر غير كاف ، ما يفي بحاجاتنا الدينية ، فقد عزم عنصر كبير من امتنا فى بدء عهد الاستعمار ، ان يحتفظوا به ولا يدعوه ينقرض مع الايام مهما كلفهم ذلك حتى لايتشتت شملنا ولا نفقد كياننا القومي بانقطاعنا عن تراثنا القومي انقطاعا كليا . ولهذه المصلحة بعينها فقد استبقوا عليه واحتفظوا به ، ولكن مازالت ناحيته للافادة تقل يوما فيوما على قدر ما اعتراه مع الظروف من التغيرات ،

لان الذين كانوا يتخرجون تحته ، ما كانوا يتناسبون مع الحياة الاجتماعية بل كانوا لايعرفون شيئا عن مسائلها ومشاكلها ، ولذا فانه لا مصرف للذين يتخرجون اليوم تحت هذا النظام سوى ان يجلسوا فى المساجد يؤمون الناس فى الصلاة او يفتحوا المكاتب لتعليم الصبيان قراءة القرآن او يجعلوا الوعظ مهنة يكسبون بها قوتهم ويشعلوا بين المسلمين نيران الخصومات والمشاجرات حول المسائل الاعتقادية او الفقهية حتى تبقى الامة تشعر بحاجتها اليهم . فهكذا وان كنا نستفيد بوجودهم بعض الشيء ، اي لسببهم ينتشر فينا علم الدين ، ولو الى حد ضئيل ، ويحصل للناس بعض معرفة بمبادىء الدين وتعاليمه ويبقى فى حياتنا الدينية بعض حرارة ، الا ان الضرر الذي يصيبنا لاجلهم هو كبير جدا اذا قايسناه بناحية الفائدة هذه . تراهم لا يستطيعون ان يمثلوا الاسلام تمثيلا صحيحا ولا ان يطبقوا مبادىء الاسلام وتوجيهاته على قضايا الحياة العملية ، ولا ان يقودوا الامة وفقا لاحكام الاسلام وتعليماته ولا ان يعالجوا مشكلة من مشكلات حياتها الاجتماعية ، بل انني لا افارق الحقيقة اذا قلت ان الدين بدل ان تعلو كلمته ويرتفع راسه ، لاتزال رايته تنتكس يوما فيوما لاجلهم . وان الطرق التي يتبعونها لتمثيل الاسلام ودعوة الناس الى قبوله ، من البشاعة والقذارة حيث لايزال الناس لاجلها يبتعدون عن الدين ويضيقون به ذرعا ، وقد اثاروا فينا من المجادلات والخصومات لايسر المسائل الدينية واهونها ما لا تنقطع سلسلته لان حاجاتهم فى الحياة ترغمهم ارغاما على ان يتعهدوا هذه المجادلات والاحتكاكات بين المسلمين بالغرس والري حتى تبقى قائمة على سوقها بل تنمو وتزدهر ، فانه لولاها لما شعرت الامة بحاجة الى وجودهم .

هذا ما عليه نظامنا القديم للتعليم ، فعنصر التعليم الديني فيه قليل جدا وان المهمة التي يستخدم فيها اليوم ، اي اعداد العلماء والائمة للمساجد ، ماكان وضع لها فى حقيقة الامر ، وانما كان وضع ، كما بينا آنفا ، قبل قرنين او اكثر بقليل لاعداد الافراد للوظائف الحكومية ، واما اذا كان قد اضيف اليه تعليم الفقه الاسلامي ، فذلك **لان الفقه الاسلامي هو الذي كان قانون البلاد فى ذلك الزمان** ، فلم يكن للمسؤولين عن تنفيذه بد من معرفته والالمام باسسه . فاذا كنا نعتقد اليوم انه نظام لتعليمنا الديني ، فانما ذلك اكتفاء منا بالناقص الابتر ما دمنا لا نجد الكامل الصحيح ، والا فالحقيقة ان عنصر التعليم الديني فيه قليل جدا ، فلا يهتم فيه بتعليم القرآن والسنة والمبادىء الاساسية للدين على قدر ما يهتم فيه بتعليم الفقه والادب والمنطق والصرف والنحو وما اليها من العلوم الاخرى على ما كانت توجد عليه قبل قرنين او ثلاثة قرون . ليست عندنا اليوم مدرسة دينية يكون تعليم القرآن من اوله الى آخره داخلا فى منهاجها للتعليم ، وانما تدرس فى اكثر هذه المدارس على طريق منظم سورة أو سورتان من القرآن كسورة البقرة وآل عمران فحسب ، واما سائر سور القرآن ، فان كانت دراستها داخلة فى منهاج بعض هذه المدارس فالى حد ترجمة الفاظها وليس غير . اما الدراسة الوافية للقرآن الحكيم على وجه يجعل من الطالب مفسرا للقرآن ، فلا تعرفها هذه المدارس ولا تهتم بها اصلا . وقل مثل هذا فى الحديث النبوي ، فانه ايضا لايدرس فى احدى هذه المدارس على وجه مرضي يجعل من الطالب محدثا ، وانما الطريق الذي يتبع فى هذه المدارس لتدريسه هو انه كلما جاء اثناء الدرس حديث يتعلق بالخصومات الفقهية او الاعتقادية فان درسه يستغرق عدة ايام ، واما الاحاديث التي توضح حقيقة الدين او التي قد جاء فيها بيان لنظام الاسلام للاقتصاد أو السياسة او الاجتماع والحضارة او الاخلاق او هي تتحدث براي الاسلام فى دستور الدولة او نظام القضاء والمحكمة او القانون الدولي ، فان الاساتذة والتلامذة جميعا يمرون عليها مر السحاب كان ليس فيها شيء يسترعي الانتباه ويستلفت النظر . ان هذه المدارس تهتم بالفقه اكثر من اهتمامها بالقرآن والحديث . الا ان الذي يدور حوله همها فى معظم الاحيان بل كلها هو تفاصيل الجزئيات الفقهية ، واما تاريخ الفقه وارتقاؤه التدريجي والمزايا البارزة لكل مدرسة من مدارسه المختلفة وما لهذه المدارس من المبادىء المتفق عليها او المختلف فيها ، وطريق استنباط الائمة المجتهدين الاحكام من نصوص الكتاب والسنة ؛ فاما هذه الامور التي لايمكن لطالب ان يكون فقيها بدون الالمام بها والتشبع بها فى حقيقة الامر ، فما هي بداخلة فى مناهج هذه المدارس وبرامجها للتعليم ، بل ان اساتذتها — فضلا عن تلاميذها المساكين — يكاد يكون نظرهم فيها كليلا . ان تنشئة الملكة الاجتهادية فى الطالب غير مقصودة بل يكاد يعد الخوض فيها من الاثم فى هذا النظام للتعليم ، فمن العبث ان نرجو منها اعداد المجتهدين فى الامة .

النظـــام الجـديـد :

ولناخذ بالبحث الآن النظام الجديد للتعليم الذي اقامه الانكليز فى بلادنا

ان اول ما يتساءل عنه بالنسبة لكل نظام للتعليم فى الدنيا هو انه من اي طراز يريد ان يعد الطلاب ؟ وما هو المعيار الانساني الذي يعتمده عند تربية الطلاب وتعليمهـــم ؟

فنحن اذا نظرنا من ناحيـة هـذا السؤال المهم الاساسي ، وجدنا ان الانكليز ما اقامـوا هذا النظـام الجديد فى بلادنا بنيـة المحافظة على ثقافتنا القوميـة وترقيتها ، ولم يكن امام اعينهم ، بل لم يكن امام اعيـن الانكليز عند تنفيذه ولا ذلك المعيار الانساني ، الـذي كانوا قد وضعوه امام اعينهم عندما نفذوا نظام التعليم فى بلادهم نفسها . فانه انما كان منشودهم ومطلوبهم فى بلادهم لا فى بلادنا نحن . اما الافراد الذيـن ارادوا ان يعدوهم هنا ، فان اول صفة تمنوا ان يروهم متحلين بها هي ان يكونوا لهم كاحسن ما يكونـون مـن الآلات الماكينكية التي لا ارادة لها ولا ضمير ، فقد كانوا هنـا بحاجة الى اشخاص يفهمون لغتهم ويعرفون مباديءهم التي كانوا يريدون ان يسيروا عليها نظام حكمهم ، ويكونون اهلا لان ينفذوا فى هذه البلاد ارادتهم كما لو نفذوها هم انفسهم . فتلك هي الغاية الوحيدة التي لتحقيقها اقام الانكليز فى بلادنا هذا النظام الجديد ، ولذا فان جميـع العلوم التي جرت دراستها تحت هذا النظام ، ما كانت تمت بصلة الى الاسلام ابدا ولا كان ذلك من الممكن ، بل ان كل ما نالته هذه العلوم من الارتقاء فى اوربة نفسها ، انما نالته تحت قيادة المنحرفين عن الدين وعقيدة وجود الله ، حيث ان الطبقة الدينيـة التي كـانت موجـودة هناك ، كانت قد ابعدت عن ميدان الفكر والعمل ، ولذا فان جميع العلوم ــ من الفلسفة والعلـوم التجريبيـة (Sciences) والتاريـخ والاجتمـاعيـات ــ ما رزقت النمو والكمال الا على ايدي افراد اذا لم يكونوا منكرين لوجود الله ، فقد كانـوا لا يشعرون ــ على الاقـل ــ بحاجة ما الى هداية منه فى حياتهم الدنيوية . فهـذه العلوم هي التي جاء بها الانكليز الى بلادنا ونفذوها فيها بعين كتبها وهـي التي لا تزال الدراسة بها جاريـة فى بلادنا حسب هذا المنهاج حتى يومنا الحاضـر . ولـذا فان الذين تخرجوا تحت هذا النظام ما زالت افكارهم ونظرياتهم تنطبع ــ بطبيعة الحال ــ بطابـع اساتـذة الغرب ، فابتعدوا عن الدين وتخلوا عن الفكرة الدينية والاخلاق الدينية ، ولا غرو ، فانـه اذا كـانت جميـع العلوم التي يتلقاها الطالب عن الدنيـا منـذ التحاقـه بالمدرسة الابتدائية الى آخر مراحل تعاليمه ، خاليـة عن فكرة الدين وعبودية الانسان لله تعالى ، فكيف يغدو من الممكن ان يجد الاعتقاد بالله سبيلا الى ذهنه وقلبه ؟ انه لا يسمع بذكر الله تعالى ولا بدينه ولا بشريعتـه فى كل ما يدرس من الكتب ، فاذا درس التاريخ ، وجـد فيه الحياة الانسانية تعمل بنفسـها لصلاحها وفسادها ، واذا درس الفلسفة وجد فيها لغز الكون يحاول الانحلال بنفسـه بدون حاجـة الى نـوع من الهدايـة مـن رب السماوات والارض ، واذا درس العلـوم التجريبيـة وجدها تنظر فى هذا الكـون بحيث هـو يسير بنفسه بدون صانع حكيم ومدبر لشؤونه ، واذا درس القانون والسياسة والاقتصاد وما اليها من العلوم الاخـرى ، وجدها لا تبحث ابدا فى ما وضع رب الناس والهمهم من المباديء والاحكام للحياة الانسانية ، بل وجد من فكرتها الاساسية ان الانسان مالك لنفسـه فمن حقه ا ن يضـع لحياته ما شاء من المباديء والشرائع فلعمـري ان من يتلـق مثل هذا التعليم لا حاجة لغيره ان يقول له اكفر بالله ، فانه بنفسـه يستغني عن الله ويتخلى عن العقيدة بـوجـوده .

اضف الى هذا ان هذا النظام للتعليم ما انشأ فى شبابنا ولا تلك الاخلاق الانسانية الاساسية التي مـن المحال بدونها ان ترزق امة من الامم الحياة فى الدنيـا فضلا عن ان تترقى فى الدنيا وتعلو كلمتها ويستقـر فى العالم سلطانها ، فترى ان النشء الجديد الذي تخرج حتى الآن فى الكليات والجامعات تحت هذا النظام متحل بكل معنى الكلمة بمعايب امم الغرب ولكن ليس عليه أي مسحة من محاسنها ، فلا قيمة فى نظره لمعرفة الواجب ولا للنشاط والجد والتعب فى القيام بـه ولا لضبط الاوقات ولا للصبر والثبات فى وجه الشدائد ولا لتقيـد بالنظـام ولا لضبط النفس ولا للوفـاء لشيء فـوق الذات ، كانه شجرة نابتة فى الغابة ليس لها من يرعاها ويتعهدها بالتشذيب والتهذيب . لا يكاد يلمح فيه الناظر شيئا من الاخلاق الاجتماعية ، وهو لايتحرج فى اقتراف ابشع ما يكون من انواع الخيانة والمكر والغش مهما يكن عليه من ارفع المناصب ذات المسؤولية الكبرى ، ولنا ان نجد منه فى كل مكان وفى كـل شعبة من شعب الحيـاة آلافا مؤلفة من مرتكبي ابشع انواع السرقة والرشـوة والمحسوبية والشفاعة والاستشفاع والسوق السوداء

والتهريب والاستيراد بالطرق غير المشروعة واضاعة العدالة والتلاعب بالقانون والنظام والتنكب عن القيام بالواجب والقصب لحقوق الناس والتضحية بمصلحة الجماعة فى سبيل الاغراض الذاتية . فالمتخرجون تحت هذا النظام هم الذين كانوا تحملوا اعباء الحكم فى بلادنا بعد ان غادرها الانكليز ، ولا يخفى لكل ذي عينين ما تدهورت اليه البلاد فى هذه السنوات الماضية القليلة من الوضع المنحط والحالة السيئة . واما النشء الجديد الذي لا يزال تحت التربية والتعليم فى معاهد هذا النظام وكلياته وجامعاته ، فان لنا متى شئنا ان ننظر ما هو عليه من الفساد والخبث والدناءة والانحطاط فى اخلاقه واعماله فى صفوف التعليم ودور الاقامة والملاعب والملاهي والاسواق والمجالس عند المناسبات الاجتماعية .

فلماذا لاينشأ فى شبابنا المتربين تحت هذا النظام حتى ولا تلك الاخلاق الانسانية الاساسية التي تنشأ فى شبان الانكليز والالمان والاميريكيين وغيرهما من الامم المتحضرة الراقية الغربية اذا لم نبال بأن تنشأ فيهم الفكرة الدينية والاخلاق الاسلامية السامية ؟

العلة عندي لهذه الظاهرة العجيبة انه لايبذل الاهتمام بتنشئة الاخلاق الانسانية الاساسية فى الشبان الا ذلك النظام الذي تقوم بوضعه امة حرة لتسيير نظام حياتها وفق مبادئها واهدافها ، فانها لا تجد لنفسها بدا ، ما دامت تفكر فى الاحتفاظ بتمدنها والارتقاء به ، من ان تعد لنفسها افرادا من السيرة القوية الموثوق بها . فالانكليز انما كانوا بحاجة الى امثال هؤلاء الافراد فى بلادهم انفسهم لا فى بلادنا نحن ، واما الاخلاق التي كانوا يبثونها فى شبابنا ، فانما هي الاخلاق التي توجد فى الماجورين (mercenaires) الاذلاء حتى بلادهم بايديهم ليسلموا بها الى اعدائهم ولا يقوموا بادارة نظامها — ان قاموا — لانفسهم ولكن لغيرهم . فالانكليز ما حاولوا ان ينشؤوا فى شبابنا الا مثل هذه الاخلاق الدنيئة التي كانت تقتضيها سياستهم هذه ، ولتنشئتها فيهم وضعوا هذا النظام الجديد للتعليم ، الذي لايزال يسير حتى اليوم كما تركوه عند مغادرتهم لبلادنا . فاذا كان هناك رجل يعلق على هذا النظام املا فى ان يعد لتسيير نظام بلادنا افرادا يعتمد عليهم ويوثق باخلاقهم ، فان عليه اولا ان يعرض عقله على الطبيب للعلاج .

(يتبع)

طريق الخلاص

ان الامة الاسلامية لاتتحقق لها امنية ولا تعيش محترمة الجانب ، محققة الرغائب ، الا اذا اجتمعت كلمتها وتمكنت وحدتها ، واتحدت قلوبها واتفقت مبادئها واعتصمت بالاخوة ورابطة الدين وتعاليم القرآن المبين .

من كلام الملك الراحل طيب الله ثراه



نشرت الجرائد خبرا مفاده ان النوادي الثقافية قد رشحت الفيلسوف المسلم الجزائري «مالك بن نبي» لجائزة نوبل بعد ان درست مؤلفاته درسا دقيقا فوجدت افكاره تدعو للسلام ولانقاذ البشرية ، واعتراف هذه النوادي بفلسفة مالك وبدعوتها للسلام شهادة قيمة على حاجة الانسانية لحل مشاكلها على ضوء افكار مالك بن نبي ، وما افكار هذا الفيلسوف المسلم الا الفيض الاسلامي وتعاليمه التي امتزجت بلحمه ودمه واعصابه ، واصبحت الموجهة لضميره بعد ان آمن بها عن علم ودرس .

ولم يكن في الخبر غرابة بالنسبة لما يستحقه مالك ، فلقد رشح لتلك الجائزة بل اخذها من هم اقل منه دعوة الى السلام واكثر الناس انحرافا عن الغايات الانسانية المثلى ، ولكن الغرابة ان يرشح من بلد اجنبي في حين يكفر به قومه او بمعنى اصح يجهله قومه جهلا يكاد يكون عاما مع ان الاستاذ مالك نسيج وحده في فلسفته وفي تاريخ امته الاسلامية ، ولقد تحدثنا عن بعض سمات فلسفته في بعض اعداد هذه المجلة ، ونريد اليوم ان نعطي نظرة اخرى عن طبيعة فلسفته ومنبعها ، ففلسفة مالك تمتاز بمواجهة المشاكل مواجهة اجتماعية علمية واقعية تعنى بتحديد الامراض الاجتماعية تحديدا علميا وتعطي بعد ذلك الدواء الشافي بعد دراسة طويلة نالت من اعصابه ودمه ورزقه واهله . ولم تقف فلسفة مالك امام عوارض الامراض التي ضللت كثيرا من المصلحين والهتهم عن حقيقة الدواء بل اقتحمت فلسفته تلك المظاهر الى حقيقة المشكلة التي تتولد عنها جميع المشاكل الاخرى ، فهناك التفرقة والفقر والحسد والخيانة والكسل والجهل والمرض والانحطاط الى آخر قائمة الامراض الاجتماعية والخلقية التي ما تزال تنخر عظام كياننا رغم مجهودات شتى في سبيل مقاومتها تلك المقاومة التي كانت غافلة عن حقيقة المشكل ومكمن الداء .

ومالك ما وقف موقف اولئك من تلك القائمة وانما صرح بان تلك القائمة تحتوي على اعراض فحسب كارتفاع درجة الحرارة نتيجة الحمى واصفرار العين لاضطراب في الكبد ، ولهذا يجب ان يبتر المرض من جذوره وان لا يكتفي بتضييع الوقت في تناول العلاج بالنسبة للاعراض لان هذا قد يفيد في تغطية اعراض المرض ، ولكن لا يفيد في القضاء عليه وان كان يتيح للمرض ان يتعمق في كيان الامة ويستفحل خطره مما يؤدي الى زيادة الضعف والاضطراب .

ولقد توصل مالك في كتابيه « شروط النهضة » و « فكرة الافريقية الاسيوية » الى تحديد المرض على نحو منهجي لا يدع مجالا للاعتراف به ، وقد اشتق له اسما من طبيعته فاطلق عليه « القابلية للاستعمار » التي ينتج عنها جميع الامراض الاجتماعية ومنها الاستعمار الذي هو النتيجة الحتمية لتلك القابلية ، ولهذا لا يمكن القضاء على الاستعمار وعلى تلك الاعراض الاخرى الا بالقضاء على القابلية للاستعمار ولا دواء لها الا الحضارة ،

وهذه الفلسفة التي تعمق فيها مالك واولاها عناية وبحثا مستقاة من تعاليم الاسلام ، ولهذا اتخذ مالك قوله تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . رمزا لكثير من افكاره ، فالاسلام يرى ان التقدم والحضارة والفلسفة كل ذلك اساسه العقيدة المتينة التي تطهر النفوس وتسمو بها وتمدها بعناصر

ملاحظة : سيتابع الكاتب في العدد القادم نشر مقاله المتسلسل عن منهاج محمد عبده في الاصلاح

القوة والمناعة والحصانة ضد الامراض النفسية والفكرية ، وان النعم دائما ناتجة عن الايمان بالمنعم والا فان تلك النعم تستحيل الى نقم : وما كان الله مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم . ولقد اوصى عمر جيش سعد بان يكون حذرا من ذنوبه اكثر من حذره جيش العدو وان تكون الخشية من النفس قبل كل شيء ، فهي سبب البلايا والهزائم، وان الايمان والتقوى والخوف من الله كل ذلك كفيل بتحقيق النصر على العدو مع قلة عدة المسلمين وعددهم اما اذا تجرد الجيش المسلم من ذلك فقد فقد سر تفوقه واصبح ضعيفا امام عدوه ، وفي هذا المعنى يمثل الامام الشهيد حسن البنا : « اخرجوا الاستعمار من قلوبكم يخرج من ارضكم » .

ولقد بين مالك هذه الحقيقة في فلسفته على نحو رائع ومقنع وممتع ، ولما كانت القابلية للاستعمار مرضا والاستعمار ظاهرة له فلابد من القضاء على هذه القابلية للقضاء بالتالي على الاستعمار ولكن كيف يمكن القضاء على ذلك المرض الخطير؟ ! ان هناك مرضا ومريضا ، وهناك طريقتان فقط لوضع حد لهذه الحالة ، اما القضاء على المرض او اعدام المريض ولا ثالث لهما ، والواقع ان العالم الاسلامي يشعر بالمرض ، ولكن شعوره كان شعور الجاهل بحقيقة مرضه ولهذا لم يستطيع قادته ان يحددوا المرض الذي تشعر به الامة الاسلامية فاندفعت هذه الامة للبحث عن الدواء دون ان تدري معنى الداء وفي هذا يقول استاذنا مالك : « ولنا ان نتساءل حينئذ اذا كان المريض الذي دخل الصيدلية دون ان يدرك مرضه على وجه التحديد سيذهب بمحض الصدفة ليقضي على المرض او يقضي على نفسه » .

وهكذا دخل العالم الاسلامي الى صيدلية الحضارة الغربية طالبا الشفاء ولكن من اي مرض ؟ وباي دواء ؟ وما زال يتعاطى الادوية من هذه الصيدلية بشكل مزر وخطير ، وهو — وان لم يجد العلاج — ما زال يموه على نفسه ويعوض نقصه في الحضارة بتكديس الاشياء فاصبحت الحضارة عندنا شكليات ومظاهر خلابة ، ومن الطبيعي اذا كان تحديد المرض سطحيا ان يكون العلاج كذلك : خطبا رنانة ، ووعودا خرقاء ، وتصريحات هوجاء ، وتخبطا في الحكم والادارة ، واضطرابا في التنظيم وتخبطا في الوسائل وتناقضا في التسيير والمواقف واستهدافا للسراب ودورانا في الفراغ واستمرارا في الاغلاط .. هكذا عاش العالم الاسلامي فترة طويلة شاهد فيها على مسرح السياسة من لهم القدرة على التضليل بحسن نية او سوءها اكثر من لهم القدرة على القيادة الرشيدة التي تعتمد على رسالة واضحة المناهج ، مشعة الجوانب شريفة الاهداف ، (فالرجل الذي تهمه قيادة الحياة العامة لا يتصور الاشياء لكي يقوم بتحقيقها بل ليقولها) وينشد فيها قصائد عصماء ويتخذها مادة للكتابة والحديث والخطابة في المناسبات دون ان يكون لتلك الاشياء اي مدلول اجتماعي في ذهنه ، ولقد كنا نتحدث مع بعض القادة العرب في مشاكل اجتماعية كان يجب ان تاخذ نصيبها من الدرس والعناية في العالم الاسلامي فرايناه يتبرم من الحديث ويفر — اخيرا — من مشاركتنا ، وقال في النهاية : « استبدلوا هذا الحديث بما هو خير » .. وما هو خير يا سيدي ؟ .. انه الحديث — كما قال — في السياسة ، وما السياسة ؟ انها الجدل الفارغ والقدرة على العبث بالمثل ، وانشاء وهم المبادىء تبعا للمصالح والاغراض .. انها في راي مالك اخطر مؤامرة على الشعوب الاسلامية لتضليلها عن الحقائق ، وامعان السير بها نحو الاغراق في القابلية للاستعمار ، لان السياسة تستفيد من انحطاط الافراد لانعدام المقاييس عندهم مما يسهل على المضللين والمهرجين التلاعب بعقول الضعاف وقلب الحقائق تبعا لحقيقة الانحراف الخلقي الكامن في السياسة او ما يعبر عنه العوام بلفظة : « بوليتيك » .

وعالمنا الاسلامي مزيج من عناصر ثقافية متنافرة، فهناك رواسب قديمة فيها الغث والسمين ، وهناك روافد جديدة وفيها ايضا الغث والسمين ، ولكن الملاحظ ان هذا « الخلط » في التركيب انتج الخلط في المقاييس والسلوك ، فليس ثمة انسجام لانه ليس ثمة في الاساس اتصال طبيعي بين هذه العناصر (ولهذا يحتاج هضم العناصر الى غربلتها غربلة دقيقة ونقدها باستمرار لتعيين الظروف التي تعين على ملاءمتها للمجتمع الذي يستعيرها) وكل هذا من اجل تكوين حضارة جديدة في العالم الاسلامي تنقذ الانسانية جميعها ، فالانسانية تعيش ازمات خطيرة في عالمنا الحاضر ، هذه الازمات التي تولدت من اعتماد العالم المتحضر على مبدا القوة وتوجيه كل الامكانيات للتسلح والتقدم في اختراع المدمرات مما جعل الحياة لا تطاق لما يحيطها من رعب واضطراب ، وما ذلك الا من انفصال الضمير عن العلم ، وابتعاد الضمير عن التوجيه والقيادة ، وتجريد العلم من الضمير دفع العالم الى السير في طريق غامض مظلم يؤدي في النهاية الى الاخطار اذ ان الغاية المثلى لم تعد هدفا للجميع

بل اصبحت القوة تخدم نفسها واصبح الانسان الذي ظن انه يسيطر على المادة خاضعا لهذه المادة عابدا لها تسخره حيث شاءت فنسي سعادته بل فقد الزمام لقيادة نفسه ليرضي هذه القوة الجبارة التي انطلقت من عقالها كمارد جبار تتحكم في مصير العالم . وان ما تعيش فيه الانسانية من شقاء ومن لهاث في دروب الحياة ناشىء عن نضوب في الضمير الاوربي الذي يتزعم الانسانية ويقودها ، لان قيادته ما تزال متأثرة بفكرة الامبراطورية الرومانية المتشبعة بالروح الاستعمارية ـ فالعالم غير الغربي مترجم هناك بالارقام والمواد الخام ووسائل استيراد الرفاهية لرجل الغرب ، ولكن ضمير هذا الغربي متعفن في علاقته مع الشعوب المغلوبة على امرها بل ان هذا التعفن اثر في علاقة الذئاب مع بعضها مما جعل خط واشنطن ـ موسكو يعتمد على « القوة » في حل مشاكله في حين يحتاج العالم اليوم لحل ازماته ومشاكله الى قاعدة اخلاقية تحل محل قاعدة القوة التي دفعت بالانسانية نحو خطر يهددها في كل لحظة مما جعلها تقترب من الفناء المحقق في لحظة خاطفة ...

والقاعدة الاخلاقية التي يفتقر اليها العالم توجد في الاسلام الذي كان له دور عظيم في التجربة الانسانية بقيادة محمد (ص) ، يقول استاذنا مالك : « وهنا نجد ان المنقذ هو الاسلام حيث وضع علامتين مهمتين على هذا الطريق ، فلقد حدد ـ بصورة ما ـ خطورته بمبدأين اساسين ، ليؤمن الانسانية ضد جميع اشكال الاضطهاد الديني والزمني ، فارسى القرآن اولا في الضمير المسلم تحديدا جوهريا لارادة القسوة ، ولم تدع تعاليمه في هذا المجال اي لبس او غموض كما تشير اليه الآية الكريمة : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » سورة القصص ، آية 83 . »

فمالك يريد بفكرته انقاذ البشرية عن طريق التجربة الاسلامية التي قام بها الرجل العربي البسيط، وان هذا الرجل الذي ما تزال في اعماقه خميرة الاسلام مدعو لان يتقدم نحو العالم بدينه الاسلامي ليقوده من جديد ، نحو السلام المنشود ، لان الاسلام زاخرا بالمعاني الانسانية الرفيعة التي تحقق للانسانية مرادها ـ فالاسلام لا يريد انتقاما ولا ثأرا وانما يريد انقاذا وسعادة . وقديما وقف رسول الله (ص) ذلك الموقف الرائع تجاه اعدائه : كفار قريش عندما اقتحم عليهم بلدهم وانتصر عليهم فلم ينتقم ولم يثأر لان اهداف الاسلام اسمى من هذه النوازع البشرية ؛ فلقد قال (ص) : « اذهبوا فانتم طلقاء » وقبل ذلك قال : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » ..

وهذه الفكرة التي يدعو اليها مالك بكل ما حباه الله من عبقرية وجهود ـ واستجابة مالك لهذه المحاولة الفلسفية العلمية كانت استجابة عميقة تخطت الغريزة والقانون الى اعماق الاحاسيس الانسانية ، الى جوهر الروح المتشبع بجوهر الدين ، فهو لم يستهدف في محاولته الحضارية هذه عدوانا ولا انتقاما شرعيا للضحايا التي تساقط من امته في الجزائر وغيرها ، على يد جلادي الحضارة الغربية في صورة وحشية مثيرة ، وانما يستهدف انقاذ الانسانية ، بما فيها الغرب المتحضر ، على يد الانسان البسيط " انسان افريقيا ـ آسيا بما لديه من رصيد اخلاقي وروحي يؤهله للقيام بهذه الرسالة الثانية التي نرى الانسانية اليوم احوج اليها من اي وقت مضى؛ لما يهددها من اخطار الفناء ، ولذلك لا نرى اي مبرر لتخوفات بعضهم من قيام حضارة افريقية اسيوية لان قيامها لا يعني هدم الحضارة الغربية ، وانما يعني تطهيرها من اسباب الفتل .

فهدف هذه الحضارة الجديدة المنتظرة انساني بحت ، يهدف الى تكوين المواطن العالمي الذي يتمتع بكافة الحقوق الانسانية ؛ كما ان عليه واجبات العمل على المحافظة على هذه الحضارة وتنميتها بكل ما هو انساني ونبيل (1) .

ولهذا كان مالك يستحق جائزة عالمية بل اكثر من ذلك ، وان كان استاذنا ابعد الناس عن حب الشهرة وازهدهم في بهرجة الحياة ولا يريد بفكرته وجهاده الا وجه الله .

واعظم جائزة يقدمها الاوربيون والمسلمون على السواء لمالك هي ان يتبعوا طريق الله التي تهدف الى الحق والخير والجمال .

---

1) راجع دعوة الحق السنة الثانية عدد 2 رقم 39



للأستاذ : محمد كمال شبانه

« كتاب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » شريعة الله فى ارضه وقانون السماء الحق ، أنزله الله سبحانه وتعالى على خاتم الرسل ليبشر الذين آمنوا به ان لهم قدم صدق عند ربهم ، وينذر الذين كفروا به عذابا مقيما ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، جمع بين دفتيه من شريف المعاني وحسن المقاصد ما كان مثلا عليا لجميع الاجيال فى مختلف الاقطار .

(1) « حكى عن الانبياء ما شاء الله ان يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين اممهم وبراهم مما رماهم به اهل دينهم المتقدون برسالاتهم .

آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما افسدوا من عقائدهم ، وما خلطوا فى احكامهم وما حرفوا بالتاويل فى كتبهم ، وشرع للناس احكاما تنطبق على مصالحهم وظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت عند حد ما قرره ، ثم عظمت المضرة فى اهمالها ، والانحراف عنها ، او البعد بها عن الروح الذي اودعته . فضاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية كما يتبين للناظر فى شرائع الامم .

ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب ، تخشع لها القلوب وتهش لاستقبالها العقول وتنصرف وراءها الهمم انصرافها فى السبيل الا مم » .

وقد عرف له العرب عامة والمسلمون خاصة تلك الميزات ، فاستضاءوا بنوره ، واتخذوه نبع الحكمة، وموطن الرشاد ، ونشروه فى كل قطر وصلت اليه يد الاسلام ، وانفقوا فى سبيل نصره قصارى جهدهم ، وبذلك سجل التاريخ صفحة بيضاء نورانية وسطر بقلم الوحي يدا لاتزال الانسانية تعترف بعظمة مقصدها ، وسمو غايتها ، وفضلها على البشرية التي طمست معالم الحقيقة ، واتخذت من التطاحن – فى افظع صوره – وسيلة للمطامع الشهوانية ، فاصطبغت بصبغة المادة فى مهامه صحراء الطغيان . هنالك ادركتهم العناية فى ملكوتها ، وشملتهم الرحمة من لدن بارئها ، وكانت الرسالة المحمدية مشعل النور ، ومصباح التحرر الفكري تحمل قرآنا عربيا غير ذي عوج ، يهدي الى الرشد ، من وعاه فقد وعى ، ومن استهداه فقد اهتدى .

لقد كانت طبيعة الرسالة المحمدية – بعد كونها خاتمة الرسالات – ان تكون عامة للبشرية وقد عمل الرسول على نشرها فاوفد الوفود ، وبعث الرسل وايدهم برسائل حددت مرامي الحنفية السمحة والدعوة اليها ، ولحرص الرسول على تعاليم مولاه كان يكتب رسائله للاكاسرة والقياصرة متخذا لذلك كتابا حذقوا لغة الآخرين .

واذا كان الرسول قد فعل هذا كياسة منه افلا يجوز لنا ان نحذو حذوه ، وان ناخذ بتعاليم ما جاءنا به ؟ « وما آتاكم الرسول فخذوه » وان ندع ما لم يات به مما يجافي الحقيقة مما نهى عنه « وما نهاكم عنه فانتهوا » .

الا يجوز لنا ان نعمل على توسيع رقعة الاسلام وان ننشر لواءه بين الامم المتحضرة اليس حقا علينا – ونحن بنوه – ان ندفع مفتريات القوم واباطيلهم فنذيع صيحتنا القرآنية محور ارتكازنا ؟ .

---

1) رسالة التوحيد للامام محمد عبده ص 144 ، ص 145 .

الحق ان ترجمة القرآن بحث حيوي قام بشأنه النقاش وسطرت فيه البحوث التي اختلفت باختلاف المشارب والمذاهب . فمن قائل بترجمة معانيه وأحكامه ؛ خدمة للدين من ناحية وللبشرية من ناحية اخرى ، ومن قائل بخلاف ذلك ، يصاحبه الخوف من التحريف والتأويل ، ولكل وجهة هو موليها ، وقد يكون من الحمق ان ننتصر فريقا على آخر او ننحاز الى احدهما قبل ان نستعرض آراء الفريقين وأدلتهما ، ثم نناقش اقوالهما على ضوء الواقع والحقيقة ، ثم نعقب بكلمة يستخلص منها الراي الخاص .

معنى الترجمة

تطلق الترجمة عند العلماء بعدة اطلاقات ، فبعضهم يرى أنها تطلق ويراد منها التعبير بلغة عن لغة اخرى ، وقيل الترجمة تفسير لسان بلسان آخر ، وقد تطلق ويراد منها التبليغ المطلق وفقا لقول الشاعر:

ان الثمانين ـ وبلغتها ـ
قد احوجت سمعي الى ترجمان

واما في اللغة فتستعمل بمعنى التبيين مطلقا « اتحدت اللغة ام اختلفت » ونظرا لاطلاق الترجمة على مطلق البيان فقد استعملها شراح الحديث وغيرهم في عنوان الشيء وخلاصته والمراد منه . فيقولون : وترجم لهذا الباب كذا اي عنون له ، ويقال ترجمة حياة فلان اي خلاصتها .

(1) « وقد تكون الترجمة بمعنى التصرف في الحرف . فقد روي ان القبائل كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم لكل احد بحسب لغته فكان يمد قدر الالف والالفين والثلاثة لمن لغته كذلك ، ويرقق لمن لغته كذلك ، ويميل لمن لغته كذلك ، فقد عبر بالترجمة على التصرف في الحرف بالمد والتفخيم والترقيق والامالة » والخلاصة ان المعنى العام للترجمة هو البيان والتعبير مطلقا .

أنواع الدلالات

ان هناك دلالات تعبر عنها الالفاظ ويستطيع القاريء لهذه الالفاظ ان يتبين المراد منها فقط دون زيادة على المقصود الاصلي . وان مثل هذه الدلالة الاصلية لاتختص بها لغة دون اخرى بل هي شائعة في مختلف اللغات . يدلل لذلك قول الشاطبي : « ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الاخبار عن اقوال الاولين ممن ليسو من اهل اللغة العربية وحكاية كلامهم . ويتأتى في لسان العجم حكاية اقوال العرب والاخبار عنها وهذا لا اشكال فيه » كما أن هناك دلالات تابعة خادمة للمعنى الاصلي ولقد تمثلت هذه الدلالات في اعتبارات مختلفة مناسبة لمقتضى الحال من ايجاز الى اطناب ، ومن خفاء الى ايضاح ، ومن تحقير الى تعظيم ، ومن تصريح الى كناية ، الى غير ذلك من الاعتبارات البلاغية التي تختلف باختلاف الاقوال . « فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست المقصود الاصلي ولكنها من مكملاته ومتمماته » .

وهذه الدلالات التابعة وتلك الدلالات الاصلية تنطبق تمام الانطباق على ما ورد في القرآن الكريم من مختلف القصص . فالقصة الواحدة ترد في غير موضع مخالفة للموضع الآخر من حيث الشكل والعرض والاسلوب ، وان كانت القصة في مختلف مواطنها من القرآن يجمعها جوهر واحد . وما دام الاختلاف في العرض والاسلوب ليس سوى لطائف بلاغية اقتضاها الحال « وما كان ربك نسيا » واذا عرفنا أن اللغات العالمية وخاصة العربية تحتوي على كثير من الدلالات التابعة التي يقتضيها الحال . كما انه اذا علمنا ان اللغة العربية غنية بالالفاظ المترادفة والتي يجمعها معنى واحد ولكن اللفظ منها في مكانه لو بدل بغيره لصارت العبارة قلقة ، ولما كان هناك اشعاع للفظ ولا ظل من الظلال ، اذا عرفنا هذا كان من العسير ان يترجم الكلام العربي بهذا الحال الى غيره من لغات العالم ، فضلا عن ان يترجم القرآن الكريم الى لسان غير عربي . وقد نبه كثير من الادباء والنقاد والمشتغلين بترجمة الآداب والقصص من مختلف اللغات على ذلك فأشاروا الى ان القطعة الادبية تفقد كثيرا من خصائصها ودلالاتها

---

1) ص 239 ج 6 تفسير ابن كثير والبغوي .

وخاصة ما يتعلق برونق العبارة وطلاوة الاسلوب » . وكلما ارتفع العمل الادبي من الناحية الفنية عزت ترجمته ، وفقد كثيرا من قيمته بالنقل . والذين كانوا يقولون : (ان مقياس قيمة الادب ان يستطاع نقله الى اية لغة اخرى دون ان يفقد شيئا من قيمته كانوا يغالون ليثبتوا حجتهم فى ملابسة معينة) .

ونحن نرى أن كتب التفاسير قد اختلفت فى التفسير قصرا وطولا . وليس التفسير فى نظرنا سوى الفاظ وعبارات تبين معاني القرآن وتوضح اهدافه ومراميه . ولا فرق بين المفسر والمترجم الا ان هذا يضع فى بيان معنى اللفظ لفظا عربيا وذاك يضع لفظا اعجميا . وقد يتاح للغة المترجم اليها ان تقوم باداء بعض الخصائص التي انفردت بها لغة العرب ولكن من الجور فى الحق ان نحكم باداثها لجميع الخصائص ، فقد يكون للفظ العربي بعد الدلالة الاصلية دلالة على حادثة خاصة ، كما ان هناك من الاستعارات والتشبيهات والامثال ما له علاقة خاصة بالحياة العربية واحوالها ، وليس لتلك الاحوال شبيه عند غير العرب من الامم والعكس صحيح ، وليست اللغة العربية بقادرة على ان توفي فى الترجمة خصائص اللغات الاخرى والدلالات التالية ، وخاصة فى اللغات الحية الراقية .

ونتيجة لذلك نرى ان الترجمة تزداد عسرا كلما كانت هناك اعتبارات اكثر ، وكلما كانت الالفاظ محملة بدلالات تابعة اكثر « وهكذا (1) حتى يصل الامر فى بعض الاحايين الى حد الاستحالة المطلقة فى نقل الآيات المعجزة من القرآن الكريم ، فان نقل الخصائص التي بها كان الاعجاز يقتضي ان الترجمة تحمل خصائص الاعجاز ايضا فى اللغة المنقول اليها ، والاعجاز فى اي لغة من اللغات ليس فى استطاعة البشر » .

وعلى هذا فالحق انه يمكن ترجمة القرآن من ناحية الدلالات الاصلية ويستحيل او يكاد ترجمته من ناحية الدلالات التابعة ، فبطل القول بانه لايجوز ترجمته لانه معجز .

اهم شبه المانعين من الترجمة والتعقيب عليها

نستطيع ان نقسم تلك الشبه التي امسك بها مانعو الترجمة الى قسمين :

1) قسم يلحق الكتاب من ناحية المحافظة عليه والابقاء على سلامته من عبث التراجم وما تجره عليه وعلى الاسلام ـ كما يقولون ـ من عواقب غير محمودة .

2) قسم يتعلق بأساليب القرآن والتصوير الفني فيه ونواحي الاعجاز . .

وسنعرض لبيان القسمين واهم ما يتعلق بكل قسم لم نعقب على كل شبهة من شبه القسمين بكل ما نراه مزيلا للبس .

فاما اهم ما يتعلق بالقسم الاول فنلخصه فى الشبهتين التاليتين :

الشبهة الاولى : انزل الله سبحانه وتعالى التوراة والانجيل باللغة العبرية فتناولها اهلها بالترجمة الى مختلف اللغات ، وفى خلال الترجمة وجدنا انهم اضافوا الى الاصل كما انهم اتوا على الاصل فانقصوه اشياء ، دعت اليها ظروف الترجمة وملابساتها ، واذا علمنا انه لم تكن وقتئذ طباعة ورقابة بالشكل المعهود الآن ادركنا مدى الزيادات التي زيدت على اصل الكتابين القديمين من التواريخ والاحكام وما تفرع على ذلك من تعدد الاناجيل ، وعلى هذا فهم المانعون أن الامر يصل بالقرآن الكريم فى التحريف والتغيير والتبديل الى ما وصل به الامر بالاناجيل من التعدد ، وفى ذلك ضرر بالغ بالكتاب وتضييع له .

التعقيب : ونحن نرى ان النصارى يعتقدون اعتقادا راسخا بأن الانجيل انزله الله تعالى على رسوله عيسى عليه السلام بلغة الهيئة ، اجتمع لترجمته سبعون حبرا ، ولكنهم يقولون بوجود عدة اناجيل كتبها جماعة من كبار اتباع المسيح لنشر تاريخ حياته وجمع تعاليمه ووصاياه ، وللتدليل على هذا ما جاء فى المجموعة الصغرى للعلامة « لاروس » قوله : « الانجيل بل الاناجيل هي الكتاب المقدس المؤلف من اربع روايات وصفها القديس متى والقديس مرقس والقديس لوقا والقديس يوحنا وقد ضمنوها حياة المسيح ومذهبه » .

ومع هذا فلا يرى المسيحيون باسا من تعدد الاناجيل ، لانها جميعا تربطها وحدة ، هي حياة المسيح

1) ص 6 من بحث الامام المراغي فى ترجمة القرآن .

وتعاليمه ، ولكنهم اجمعوا امرهم واعتمدوا أربعة منهم ، وقد كتبت بوحي من الله لواضعيها القديسين متى ومرقص ويوحنا ولوقا .

ثم انه يمكن وقاية القرآن من تعدد تراجمه ، وذلك باعتماد ترجمة من التراجم فى كل لغة من اللغات ، ويراعى فى الترجمة المعتمدة ان تكون وافية بأحكام الاسلام ، شاملة لمبادئه ، كافية للرد على من نصبوا انفسهم للدعاية المسيئة ضد الاسلام والمسلمين، وبذلك نقطع خط الرجعة على ضرر تعدد التراجم ، وبالتالي لن يكون هناك مجال للطعن فى الاصل .

الشبهة الثانية : يلخصها لنا الاستاذ فريد وجدي فى قوله (1) « اذا ترجم معنى القرآن الى الانجليزية ثم ترجمت هذه الترجمة الى الفرنسية ، فما الراي اذا تغير المعنى الاصلي فى الترجمة الثانية ؟ وماذا يكون الحال اذا تنازع قارآن مسلمان احدهما معتمد على الترجمة الانجليزية والآخر على الفرنسية ، فادعى احدهما ان هذا المعنى أو ذاك غير موجود فى القرآن ، وادعى الآخر العكس ، افلا يعتبر واحد منهما كافرا لا محالة ؟ كذلك يقال اذا كان فى الترجمة الانجليزية خطأ واعيد طبعها وتكرر ذلك الخطأ » .

التعقيب : ونحن نرى ان المسلم اعقل من ان يتمسك بترجمة مأخوذة عن ترجمة اخرى ، وليست ترجمة مباشرة للقرآن، ثم انه لماذا ينقل المترجم الفرنسي مثلا ترجمة الانجليزي للغته اذا اراد معاني القرآن ؟ ولم لا يرجع للقرآن ليترجمه للفرنسية راسا ؟ ان فى الترجمة من القرآن الكريم مباشرة مسايرة للروح العلمية التي من خصائصها الدقة فى الترجمة والامانة فى النقل ، ثم ان لتقدم العلوم والفنون فى هذه الآونة اثرا كبيرا فى دقة التفكير الانساني والرقي به الى درجة لا يتصور معها تلك الحالة التي نعبر عنها بالكسل العقلي ، والذي يدعو مترجما فرنسيا مثلا ان ينقل معاني القرآن من الانجليزية لا من العربية مباشرة ، وبهذا ينهار افتراض صاحب الشبهة ، ولا تقف عقبة امام ترجمة معاني القرآن الكريم .

(1) ص 23 من ــ الادلة العلمية ــ فريد وجدي .م

واما اهم ما يتعلق بالقسم الثاني من الشبه فنلخصه فى هاتين النقطتين :

1) اسلوب القرآن وبلاغته ونواحي التصوير الفني فيه .

2) نواحي الاعجاز فيه .

الشبهة الاولى : انه معجز فلا يمكن ان يترجم ، وان فيه كلمات لامقابل لها فى اللغة الاجنبية ، فيضطر المترجم ان يضع مكانها كلمات اخرى تدل عليها ، وفى ذلك تغيير وتحريف ، وان كلمات الكتب السماوية تستخرج منها اشارات واحكام بطريق الحساب ، ويستخرج منها المتصوفة معارف ولطائف ، كما يستخرج منها العلماء علوم الطبيعة والرياضة ، والترجمة تضيع على الناس هذا كله .

التعقيب : لا يشك مسلم مفكر بل عاقل فى ان القرآن الكريم تحدى العرب قاطبة بما فيه من آيات بينات ودلائل واضحات قد اشتملت على شرف المعنى وسمو الغاية ، فعجزوا عن الاتيان بمثله ــ استغفر الله ــ بل عجزوا عن الاتيان بصورة من مثله فى البلاغة وشرف المعنى ، والعرب هم اهل اللغة العربية ، واصحاب اللدد فى الخصومة ، واللسن المقاول ، ولقد جاءهم الكتاب في ارقى عصور البلاغة عندهم ، لهذا كان معجزا .

فاذا عرفنا أن البعض من العلماء يرى ان الاعجاز انما كان لاخبار القرآن بالمغيبات ، وطرحنا هذا القول جانبا فلن نلقي عالما ممن يوثق بعلمهم يقول بأن الاعجاز من لوازم معنى القرآن ، وانما تراهم يقولون انه معجز لاشتماله على النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم فى مطالعه ومقاطعه وفواصله ، او لمجيئه على تلك الدرجة العالية من البلاغة ، واشتماله على جميع ضروبها ، او انه معجز لهذا وذاك »

اما ان كان اعجازه في النظم فلا يستطيع المترجم مهما أوتي من السعة في العلم ان ينقله الى اللغة الاخرى بحيث تقوم الترجمة بالمعنى والاعجاز ، ولكن عدم استطاعته نقل دليل الاعجاز لايستلزم عدم امكان نقل المعنى نفسه .

على ان الاعاجم انفسهم لو امكنهم تلاوة القرآن بالعربية لما امكنهم تلمس نواحي الاعجاز فيه ولا فهمه ، بل ان الامة العربية ظلت ردحا من الزمن تحاول الوقوف على اسرار اعجازه ، فتعثرت كثيرا ، ووقف على يسير منه البعض ، وقليل ما هم ، واين نحن من الذين ادركوا اعجازه عن طريق الذوق فآمنوا به لهذا الادراك ؟

اما اذا كان الاعجاز عن طريق الاخبار بالمغيبات فلا شك ان الترجمة ستحمل معها هذا الدليل ، لان ذلك مرتبط بالمعنى لا باللفظ .

وأما اعتراضهم بأنه يوجد في القرآن الكريم الفاظ لا مقابل لها في اللغات الاجنبية .... الخ فنقول : حقا انه يوجد في القرآن الكريم الفاظ يندر ان نجد في اللغات الاخرى ما يضاهيها في افادة المعنى الذي يفيده اللفظ العربي ، كما ان فيه الفاظا يصعب تحديد معناها في العربية ، ولا شك في ان نقل مثل هذا الى اللغات الاجنبية يكاد يكون ضربا من المستحيل ، وهذه ناحية انفرد بها القرآن الكريم من بين الكتب السماوية ، ولكننا لانجمد امام ذلك ، بل سنفسح المجال للشاطبي ، للرد على هذه النقطة بالذات ، اذ يقول : (1) فاما على الوجه الاول فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القرآن، وبيان معناه للعامة ، ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وذلك جائز باتفاق اهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الاصلي » .

وعلى هذا فما نخافه من الترجمة مما سبق بيانه نلحظه في كتب التفاسير باللفظ العربي نفسه ، وقد اجمعت الامة على عدم التحاشي عن هذه المحذورات ، فيجب الا يتحاشى عنها في الترجمة ايضا ، اذ لا يوجد فرق بين التعبير عن آيات القرآن بلفظ عربي او لفظ اعجمي ، متى كان المعبر والمفسر مستكملا للشروط التي تؤهله لان يتعرض للتفسير او الترجمة .

وأما قولهم : « (2) ان في الكتب السماوية اشارات واحكاما تستخرج بطريق الحساب ، ومعارف يستخرجها اهل التصوف بالذوق ، وعلوما طبيعية ورياضية ، وان ذلك يضيع بالترجمة » فليس كتاب الله سوى نور يهدي به من يشاء من عباده ، انزله ليكون نبراسا يضيء لمن تاهوا في صحراء الكفر ، مرشدا لانفع الطرق واقومها ، ولم ينزله تعالى لاستخراج الطبيعيات والرياضيات ، وما الذي يشين لو ان مثل ذلك فات في الترجمة ؟ اليس النص العربي يحوي هذا وهي باقية فيه ؟

ونحب في هذا المكان ان تشير الى ما سبق ان قررناه ، وهو ان القرآن الكريم غير مرتبط بالعلوم والفنون أيا كان نوعها ووجهها ، فالعلم دائم التغيير لايثبت على حالة واحدة ، ومن الواجب علينا - كمحافظين على كتابنا - ان نصونه عما هو قابل للتغيرات ، وهذا لا ينفي انه صادق في كل زمان ، وحجة على ممر الاجيال ، فتلك خصوصية من خصوصياته التي ينفرد بها من بين كتبه تعالى ، ومزية لا تعادلها مزية ، فسبحان من ضمن له ذلك « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

ولكن هب ان التراجم تغيرت وحدث فيها تحريف فماذا يكون الموقف ؟ والجواب ان النص الاصلي لايزال بحمد الله قائما ، يرجع اليه حين يختصم القوم ، او يقوم النزاع في احدى النواحي ، فهو (3) « الحاكم لكل ترجمة توجد ، وهو الميزان العدل لكل شيء يقال ، والتراجم لايصح ان تسمى قرآنا ، ولكن سلب هذه التسمية لا يستلزم سلب جواز استخراج الاحكام منها ، بل يجب ان يصح استخراج الاحكام منها ، لان الاحكام تستفاد من المعاني التي هي مدلولات الالفاظ العربية ، والمعاني يصح نقلها الى اللغات الاخرى » .

الشبهة الثانية : ينفرد القرآن بنظمه الموسيقي ، وطلاوة عباراته ، وما لالفاظه من ايقاع وظلال ، يضاف لهذا تأثيره في النفوس ، وهذا مالا يمكن الحصول عليه من التراجم ، وفي عدم الحصول عليه حرمان للنفس الانسانية من ذلك الينبوع الصافي للمعارف الالهية .

---

1) الموافقات للشاطبي ، من بحث المراغي ص 11

2) ص 11 من بحث المراغي (3) ص 12 من بحث المراغي

التعقيب : في الواقع اننا نشهد وكل مشتغل بالآداب العربية لاينكر ان الصور الفنية التي جاء بها القرآن فاقت كل الصور الادبية الاخرى ، وما ذلك الا لان العمل الادبي في القرآن قد ارتفع من الناحية الفنية الى غاية لايسمو اليها اي عمل أدبي ، وحيث ان الامر كذلك فان الترجمة تعز في هذه الحالة ، وتفقد كثيرا من القيمة بالنقل « (1) والذين كانوا يقولون ان المقياس لقيمة الادب ان يستطاع نقله الى اية لغة اخرى دون أن يفقد شيئا من قيمته كانوا يغالون ليثبتوا حجتهم في ملابسة معينة »

فنحن ننظر مثلا في القرآن اجمل كتاب أدبي في المكتبة العربية بغض النظر عن القداسة الدينية حين تنقل بعض آياته فنيا الى لغة اخرى ، وحين تتخلف عن الترجمة صوره وظلاله وايقاعه – انه يفقد جماله الفني وان بقيت قيمته المعنوية .

ويستحيل عندئذ تقدير قيمته من هذه الوجهة . اما نقل صوره وظلاله وايقاعه فهو عمل اراه اعسر من العسر ، لدقة هذه الخصائص وتسامي آفاقها .

وسأعرض هنا للون من آيات الكتاب الحكيم نلحظ فيه موسيقى وتصويرا للجو العام ، كل هذا في تناسب واقتضاء للحال .

« والضحى والليل اذا سجى ، ماودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ظالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى » ؟ ذلك الحنان وتلك الرحمة ، وذلك الرضى ، وهذا الشجى تتسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى السارية بالتعبير ، الموسيقى الرتيبة الحركات ، الوئيدة الخطوات ، الرقيقة الاصداء ، الشجية الايقاع ... فلما اراد اطارا لهذا الحنان اللطيف ، ولهذه الرحمة الوديعة ، ولهذا الرضى الشامل ، ولهذا الشجى الشفيف ، جعل الاطار من الضحى الرائق ومن الليل السجي ، اصفى آنين من آونة الليل والنهار ، واشف آنين ترى فيهما التأملات ، وساقهما في اللفظ المناسب ، فالليل هو « الليل اذا سجى » لا الليل على اطلاقه بوحشته وظلامه ، الليل الساجي الذي يرق ويصفو وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف ، كجو اليتم والعيلة ، ثم ينكشف ويجلو ويعقبه الضحى الرائق مع « ماودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » فتلتئم الوان الصورة مع الوان الاطار ، ويتم التناسق والانسجام .

ولكن ماذا نفعل الآن بصدد تلك الصور الفنية ، والتعبيرات المتسامية الآفاق البعيدة الغور ، والتي تهيء الجو الملائم لكل حالة ؟ انهمل في الترجمة اهمالا تاما فتخسر الناحية الفنية في القرآن ؟ ام ان هنالك في اللغات الاجنبية ما يعوضنا ولو بعض شيء عن مثل هذا ؟

الحق اننا لا نأسى كثيرا على تلك النواحي الفنية في القرآن عندما تترجم ، وذلك لعوامل نذكرها فيما يلي :

1 – ان المقصود الاول بالترجمة تعريف الاجانب بمبادىء ديننا القويم ، وبيان أحكام الاسلام ، وما شرعه المولى للبشرية من قوانين سماوية ، تطاولت اليها الاعناق ، فصاغتها في قالب آخر ، وعبرت عنها باتها من عند أنفسها ، والقرآن هو صاحبها منذ القرون الاولى ، كما انه نبغي من الترجمة دحض شبه المفترين على الدين ، وتفنيد اباطيلهم ودعاويهم ، حتى تتهاوى واحدة بعد الاخرى .

فلن نأسف على ناحية الايقاع والظلال والاشعاع ، اذا ما فاتت في النقل ، فحسبنا أن نحقق الرسالة الاولى من مبادىء الاسلام .

2 – يستطيع المستشرقون والذين يرغبون في أن ينهلوا من منابع العربية من الاجانب أن يتذوقوا تلك التعابير الفنية في القرآن ، وأن يحكموا على مدى الدلالات الخفية للمعاني الاصلية ، فيعرفوا ما للقرآن من انفراد بتلك الخصوصيات للتعبير ، ولسنا نغلو في القول اذا قلنا ان اهالي جاوة وسوماطره والباكستان وما اليها من الاقطار الاسلامية قد لاتقف على كل الصور الفنية في القرآن ، والتي اتينا منها بنموذج مصغر ، تبينا من خلاله كيف أحاط القرآن في كلماته المتتابعة بتصوير المواقف تصويرا تنوع بتنوع الحال واختلف باختلاف المجال .

---

1) الديوان للاستاذين العقاد والمازني

3 ـ هذا ولا يحق لنا ان نسلب ناحية التصويـر الفني في اللغات الاخرى والا كان جور في القول وحيف في الحكم ، وانما الذي نريد أن نقرره في هذا المقام هـو أن اللغات الاخرى لاتفي المقام التصويري في القـرآن حقـه ، بحيث يكون صورة ناطقة بالاصل معبرة عنـه أصدق تعبير ، ولكن يستطيع المترجم الحاذق ان ينشر حول الالفاظ جوا مناسبا لمختلف الاحوال ، فيعوض ما فاته من فنية التعبير الادبي في القرآن ، ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وعليه فلا يصح لنا القول بأن حرمان الترجمة ـ ان حرمت أصلا ـ من موسيقى الالفاظ وطلاوة العبارات ان تحرم قارئها من ينبوع المعارف الالهيـة ، فليس يخفى على عاقل أن ينبوع المعارف الالهية هـي معاني القرآن المدلول عليها بالنظم العربي ، واذا ذهبنا الى ان المعارف الالهية مرتبطة بالالفاظ فذلك لغو من القول وزور ، لمجافاته أبسط القواعد الادبية العالمية .

شبهـة مـن نـوع آخـر

« المتشـابهـات »

لقد وقـع في القرآن الكريم بعض آيات توهـم ظاهرا خلاف المراد ، ونحن نعلم ان السلف الصالح كانوا يفوضون الامر فيها لعلم الله وحده ، ويحذرون من الوقوع في تأويلها ؛ خشية من عند انفسهم ، ولئلا يفتحوا بابا للجدل والمناقشة ، قد يؤدي بالعقول الى مهاوي الضلال ، ولكن الخلف ابو ان يتركوها بدون تأويل ، فسلطوا عليها ما امكن من التاويلات التي ادت الى المعنى المقصود والمقبول عقلا .

والسؤال الذي نحب ان نورده هنا هـو : مـاذا سيفعل المترجم ازاء ذلك ؟ في أي صـورة سيبرزها حتى يكون القاريء على بينة من الامر لايخالجه شك او حيـرة ؟

والجـواب : انـه لامناص قبل كل شيء من التعرض لهذه المتشابهات عند الترجمة والا كانت الترجمة لبعض القرآن دون بعض ، ويعوزنا الامـر في ضرب مثل ، قال تعالى : « ماأصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « قل كل من عند الله » لقد وقع الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة ، فقال المعتزلة : الآيـة الاولى محكمة والاخرى متشابهة ، وقال اهل السنة : بأن الاولى هي المتشابهـة .

وليس يعنينا في هذا الخلاف الاخذ بأحدهما بقدر مايعنينا امر المترجم حيال أمثال هذا .

فواجب المترجم حينئذ ان ينقل الصورة لكل منهما الى اللغة الاجنبية بدون اجراء اي تعديل ؛ اذ كلا الآيتين ـ كما لايخفى ـ لها معنـى يستقل بالفهم ، وتأويل ذلك المعنى لايعني المترجم في شيء ، وسيفهم منها الاجانب وخاصة المفكرون منهم ما يتفق والحقيقة ، وما يتناسب ومعنى الالوهيـة .

وهناك نوع آخر يقارب هذه المتشابهات وهـو الآيات المؤولة ، من مثل « يد الله فوق أيديهم » وهـذه امرها يسير ؛ ففي الفاظ اللغات الاجنبية ما يـؤدي المعنى المؤول ، والمقصود في هذا المقـام .

اما اننا نكلف انفسنا حيال تلك الالفاظ الموهمة خلاف المراد بأن « تؤول بالدليل العقلي الذي قام على استحالة بقائها على ظاهرها ، وهذا التأويل يسلط على التراجم نفسها اذا امكن المترجم ان يضع بدل اللفظ العربي مرادفا له من لغة اخرى ، ويسلط على اللفظ العربي نفسه قبل أن ينقل معناه الى لغة اخرى اذا لـم يوجد في اللغة الاخرى مرادف ومقابل لذلك اللفظ العربي » فذلك وصول للغاية من طريق أطول ، وتكليف بدون مبرر ، فاننا بدل أن نبحث في اللغة الاخرى عـن مرادف للفظ العربي المهم نبحث عن لفظ يقوم بالمعنى المراد في اللغة الاجنبية ، وفي اللغات متسع لامثال هذا .

ويخيل الي أننا لانصير الى مثل هذا العلاج الذي جاء بنص الاستاذ الاكبر المراغي الا اذا اعوزتنا الحاجة واعيانا الوصول الى لفظ يقوم بالمعنـى المقصـود مـن الآية ، واحسب أن ذلك افتراض نادر الحصـول ؛ لما عرفنا من ثراء اللغات بالالفاظ المرادة والمطلوبة في مثل هذه المواقـف .

(يتبـــع)

الاسلام والتقليد الأعمى

بحث

للأستاذ محمد أحمد الزيتوني

امتاز البشر عن سائر الفصائل الحيوانية بخاصية التفكير والتمكن من ترتيب النتائج الواقعية على المقدمات اليقينية .

فعلى قدر سير الانسانية على ضوء هذه النورانية الكبرى ، ومراعاة تلك الخاصية العظمى ـ خاصية الاستضاءة بمصباح التفكير ـ ومراعاة قواعدها يكون تقدم البشرية وصعودها فى مدارج الكمال والرقي المادي والروحي ، وذلك هو السبيل الوحيد الذي بسلوكه يتحقق التعاون الضروري الذي يرجى من ورائه توفير الرفاهية والسعادة الشاملة للاسرة الانسانية وتدرا المضار وتجلب المنافع العاجلة والاجلة ، ويضمن الفوز بالسعادتين الدنيوية والاخروية وتنجز الانسانية القيام باداء رسالتها على اكمل وجه على هذا الكوكب الارضي رافلة فى حلل الهناء والسلام .

اما ان وقع اغفال او تغافل لهذه النعمة او تساهل فى الاسترشاد بقواعدها او اعترى البشرية الكسل التفكيري فى احد الميدانين الروحي والمادي او فيهما معا فان النتيجة الطبيعية هي التباطؤ فى السير نحو الكمال المنشود ، ثم الارتكاس والانتكاس والركود.

وحيث ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي تلائم مبادئه سائر الافراد البشرية وتوافق كل المجتمعات الانسانية فى سائر الامكنة وعموم الازمنة ، وهو الدين الذي يبني قضاياه على اقيسة العقل وبراهينه اليقينية ويزنها بميزان المنطق ، لذلك فقد كانت مبادئه على طرفي نقيض من التقليد الاعمى والركود الفكري ، والقرآن الكريم قد اكثر من النعي على الاساس للتقليد الاعمى ، اذ ليس شيئا اضر على الاسلام من تعطيل موهبة العقل ووأد الفكر ، بل قد اعتبر القرآن الكريم النشاط الفكري من اهم انواع العبادات واشرف انواع القربات الى الله تعالى ، ورتب على ذلك استجابة الدعاء ونيل المطالب ، اذ قال (ان فى خلق السموات والارض واختلاف اليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض الآية) . وقد انحى القرآن باللوائم على من رضوا بسجن التقليد الاعمى واسلسوا القياد لاغلاله ولاذوا بركوب متن المجازفة فى اقتفاء آثار السالفين من الآباء واعرضوا عن نعمة التريث واهملوا مراجعة آراء آبائهم وآرائهم هم فى تقليدهم لآبائهم حيث يقول تعالى (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) ذلك الانصياع الى مجرد اعتناق آراء الغير ، الامر الذي صيرهم سجناء الترف وغرقى فى بحار الشهوات حيوانات فى قرونها حبال التقليد لا ينفعون انفسهم ولا تنتفع بهم مجتمعاتهم ولا يفيدون اوطانهم ولايستفيدون، او هم كالمريض الجاهل الذي يفرق من اجراء عملية جراحية يتحقق من ورائها التخلص من مرضه المزمن ، لهذا تراهم كثيرا ما يجعلون من انفسهم حجر عثرة فى سبيل ارشاد الرسل واصلاح المصلحين ، ويشكلون اعباء ثقيلة على الانسانية وعلى الارض التى بطنها خير لهم من ظهرها ، وقد قال القرآن فى شان هؤلاء المقلدين : (وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) .

ولو قلنا ان التقليد الاعمى منطو على معاني العبودية ، وعنوان لضعف الارادة ، ومطية الاستهانة بالكرامة الانسانية ، وعلامة للاستخذاء لما تجاوزنا

صميم الحق ولما اخطأنا هدف الواقع، بل يحمل التقليد الاعمى فى طياته كل عناصر التشاؤم وجراثيم التاخر ولواقح الفساد وعوامل الاضمحلال وخسران الدنيا والدين ، وقد ذكر الله مثالا عمليا لمن انفلت من شرك التقليد الاعمى بقوله (قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون ، قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ، افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) . وقد اعقب الله تعالى هذا المثال العملي بمثال آخر لقوم حرموا من نعمة التامل وضيعوا الاسترشاد بنور العقل ، فقابلوا نعمة الله بالكفران وباعوا الاخرة بالخزي والخسران ، فقال تعالى بعد ان وصف ما استقبلت به وفادتهم فى الآخرة من الاهانة والنكال ، وما ينتظرهم فى الجحيم من الوان الخزي والوبال (انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) وهكذا بين لنا القرآن الكريم ان اكثر الامم السالفة والدول المتفرقة قد وقعوا فى هلاك مؤبد وان سبب هذا الهلاك التقليد الاعمى الذي كان شؤما ووبالا على اصحابه فى اوله وآخره ، فهم قد رضوا بذوبان الشخصية فى المقلد – بفتح اللام – عاجلا ، ومهدوا لانفسهم الولوج للعذاب الواصب آجلا ، كيف لا وفى ذلك تعطيل لنعمة نور العقل وفضيلة التفكير التي هي اعظم منحة، واسمى تحفة من ملك الملوك رب السموات والارضين وخالق العالمين .

اجل لقد كان نور التفكير منه جل ثناؤه اعظم منحة واغلى تحفة لهذا الكائن الحيواني ، البالغ من الضعف اقصاه اذ لولا تفكيره وعقله لكان من اضعف واحقر الكائنات الحية .

ولو بحثنا عن الاسباب التي صرفت كثيرا من البشر عن الجادة الموصلة الى معرفة الله تعالى ، ثم اخلاص العبادة له سبحانه ، وبالتالي الاهتداء الى احقاق الحق وابطال الباطل لوجدنا ان من اعظمها وابرزها الاسراف فى الاخذ بآراء الغير الذي هو التقليد الاعمى ، والدليل على هذا الحديثان القدسيان المشهوران ، وهما قوله جل ثناؤه : (اني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا) وقوله سبحانه اني خلقت عبادي حنفاء اي مستقيمين على الحق مائلين عن غيره ، والحديث الاخير يشير بمفهومه الى ان بيت الداء انما هو فى التقليد الاعمى والا فان كيد الشيطان كان ضعيفا ، وقد قال عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة ، يعني فطرة الله التي فطر الناس عليها اي الخلقة التي خلقهم عليها وهي الاستعداد لقبول الخير – حتى يعرب عنه لسانه ، فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ، ومن هذا الحديث الكريم نعلم فداحة المسؤولية الملقاة على كواهل الاباء والمعلمين مسؤولية المحافظة على تلك الفطرة النقية البيضاء لكيلا تمسخ او تتلقح بجراثيم الفساد او تنصاع لمطلق التقليد والاستجابة لمن يدعوها الى الشر والزيغ والالحاد .

ان الاسلام والمجتمع ليهيبان بالآباء والاساتذة ان لا يدعوا عقول نشئهم تتنابهم الآراء الزائفة او تدنس فطرهم الطاهرة بارجاس افكار تبيت للاسلام والعروبة الشر والابادة والهلاك .

ان جلنا – والحسرة ملء صدورنا – قد اخلى هذا الميدان – ميدان توجيه عقول النشء وتكييفها وتوجيها وتكييفا يتفق والاسلام الحنيف الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها – وتركناه فسيحا يتلقح بعوامل الافكار والآراء الغريبة عن الاسلام والعروبة بل وضعناها بين اصابع التعاليم الاستعمارية والتبشيرية على اختلاف اساليبها واشكالها تقلبها كيف شاءت ، تلكم الاصابع التي لا تعرف الفتور فى سبيل بث تعاليمها بجميع الآفاق ، مستسهلة جميع المشاق ، تارة تحت الستار التمديني وطورا باسم التعاون الانساني ، والغرض الحقيقي محصور فى تكييف عقول النشء وتمهيدها للتقليد تقليدا اعمى لتعاليم الاستعمار والتبشير ، اما نحن فحسبنا ان نقف من ذلك النشاط موقف المتفرج الابله الغافل او موقف الذي لا يهمه الامر من قريب ولا من بعيد .

ان من العسير جدا ان ننتظر الاخلاص لديننا ولقضايانا وطننا الكبرى ممن تشبع منذ نعومة اظفاره بالتعاليم الاستعمارية والتوجيهات التبشيرية .

ينفق احدنا اموالا كثيرة واوقاتا ثمينة – بسخاء – فى سبيل تثقيف ولده وتعبيد الطريق لان يكرع من معين العلوم العصرية ونيل الشهادات والدكتورات – داخل البلاد او خارجها – ويقول ويعتقد انه يبذل تلك المجهودات المضنية ليضمن لولده مستقبلا ماديا

زاهرا حافلا بما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين من الماديات والوجاهة ، وهذا شيء جميل وسعي مشكور ، غير اننا سوف نحرج انفسنا لو واجهناها بالسؤال عن مدى اعتنائنا بالتربية التوجيهية للأولاد ليسبق الى قلوبهم الخير والايمان ويزرع فيها بذور الاعتزاز بالنفس وحب الدين والوطن ، وعن مدى اعتنائنا بتدريبهم على اداء واجباتهم الدينية ، ووضع الاساس المتين الذي يبنون عليه شخصياتهم ، ثم ما هي الوسائل المتخذة ازاء حفظ تلك الفطرة البيضاء الطاهرة والابقاء عليها حتى لا تعكرها اعاصير الزيغ والهواء .

وبعبارة اوجز اذا كان لنا الاهتمام بمستقبل فلذات اكبادنا من الناحية المادية فهل كان لنا نفس الاهتمام بمستقبلهم الروحي ، وهل مهدنا للجيل الصاعد الاستعداد للايمان بعظمة دينه وبلاده وقوميته ، حتى اذا ما اوفدناه للخارج ليكرع من علوم امة ما رجع لنا بعلم نقي صاف من التلوث بطفيليات وجراثيم قد تكدر علينا الانتفاع بما قد امتاره لنا من بضائع المعارف ، فياخذ العلوم لامته اخذ اللبق الحكيم ، ويعتبر نفسه كرئيس عائلة تنتظر من كاسبها الامتياز ، ام سوف تكون قد جنينا عليه وعلى انفسنا ان لم نعبد له طريق الوثوق بنفسه والاعتزاز بشخصيته وامته ، والقينا له ــ منذ نعومة اظفاره ــ الحبل على الغارب ، اذا فمن المنتظر ان سوف يلغي ارادته ، ويلقي بنفسه في احضان ساداته واساتذته فيشكلونه كما يشاؤون ، ونكون وكاننا لم نزد على ان تبرعنا عليهم ببوق يشهرون به ما لهم وما ليس لهم من المناقب والمفاخر .

جمعتني بعض النوادي ذات ليلة ببعض شبابنا المثقفين ممن يجيدون اللغتين العربية والفرنسية وكنت الاحظ عليهم ان جل حوارهم يؤدى باللغة الفرنسية ، ولما انتهت الندوة سألت احدهم قائلا : بما انكم تجيدون اللغتين معا فلماذا لا تشرفون لغتكم بالتحاور بها ، واظن ــ من سلوككم هذا ــ انكم اخترتم عليها لغة اجنبية ــ مع احترامنا لها كلغة من اللغات الحية ــ ولو في حالة عدم الاحتياج اليها ، وفي وقت تقوم لغتكم العربية مقامها ، بل قد رايت غيركم كثيرا ما يسلك مسلككم ، فاجابني هذا الشاب جوابا صريحا بقوله (اننا عند ما نستعمل في محاوراتنا هذه اللغة الاجنبية نشعر في نفوسنا بشيء من الرفعة الامر الذي لا نحس به ان نحن تحاورنا باللغة العربية) .

ولو اردنا تحليل جواب هذا الشاب لوجدناه هكذا : اننا نشك في عزتنا القومية في حين اننا نعتقد بعزة قوم آخرين .

او ليس هذا معنى ضعف النفس ، واهدار الارادة ، والغاء الوجود ، بل اليس هذا هو شر انواع الاستعباد .

هذا ولا نعني بذم التقليد الاعمى الدعوة الى ان يركب المرء نفسه ويستبد برايه من غير ان يطعمه بنتائج الافكار الاخرى ، فانه من المعلوم بالضرورة ان المدنية البشرية وما نشاهده من التقدم المادي الهائل ان هو الا نتيجة التكاتف الدائم ، والتعاون بين الافكار في مختلف الاجيال والاعصار ، والاسلام نفسه قد ضرب لنا مثلا عمليا لوجوب التعاون الفكري بقضية ابني آدم حين قتل احدهما الاخر فلم يهتد كيف يواري جثمان اخيه اذ قال تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه الاية ، بل القرآن الكريم نفسه قد فتح باب التعاون الفكري وشجع عليه ونوه بشانه ايما تنويه حيث قال (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب) .

الفتوى دائرة مع مقتضى الحال

للأستاذ : محمد بن احمد بن عبد الله

كثير من الناس يعتقدون ان الخروج عن المذاهب الاربعة الى غيرها من المذاهب الفقهية في بعض المسائل يعد خروجا عن الشريعة ، كأن الشريعة هي ماقاله هؤلاء الائمة الاربعة وحدهم دون ماقاله غيرهم من ائمة الفقه رضى الله عن جميعهم .

ويقال لهؤلاء الناس : ان الشريعة ـ ويقال لها الدين والملة ـ هي ماشرعه الله تعالى لعباده سواء كان ذلك بالقرآن أم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير .

فهي بهذا المعنى تشمل اصول الدين مما يتعلق بالله تعالى وصفاته والدار الآخرة وغير ذلك من مسائل العقائد ، وتشمل ايضا ما يرجع الى تهذيب النفوس وما يتعين ان تكون عليه العلاقات الاجتماعية كما تشمل كل عمل من اعمالنا من وجوب وحرمة وكراهة وندب واباحة ، وهذا الاخير هو ما نسميه الفقه فهو جزء من الشريعة وجد اصله مع وجود رسالة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهور الائمة الاربعة ، فالقرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه الشيء الكثير من آيات احكام الفقه ، والسنة صدرت منه صلى الله عليه وسلم وفيها آلاف الاحاديث في احكام الفقه ، والائمة قد استمدوا فقه مذاهبهم من القرآن والسنة والاجماع والقياس على النص وغير ذلك من قواعد الشريعة وكلياتها ، وغير خاف ان الفقيه كثيرا ما يختلف رايه واجتهاده في المسالة الواحدة ويقول فيها اليوم ما لم يقله بالامس كما نشاهد ذلك في كتب الفقه ؛ فهذه كتب الشافعية طافحة بقولهم في المسالة الواحدة ، ومذهب الشافعي القديم فيها كذا ومذهبه الجديد فيها كذا .

وهذه كتب المالكية يروي فيها ابن القاسم عن مالك قولا ، ويروي فيها اشهب وغيره قولا آخر يخالفه ، وهكذا بقية المذاهب ، ولتبدل آرائهم في المسالة الواحدة عند تجديد النظر فيها مرة ثانية واطلاعهم على ادلة اخرى لم يكونوا اطلعوا عليها من قبل كانوا رضى الله عنهم ينهون عن تقليدهم خصوصا اذا صح من السنة ما يخالف رايهم .

ويعترفون بانهم بشر يخطئون ويصيبون .

وهذا مالك امام دار الهجرة رضي الله عنه لما اراد المنصور العباسي ثم هارون الرشيد من بعده ان يحمل الناس على « موطئه » امتنع وقال : ان الناس سبقت اليهم اقاويل وسمعوا احاديث وأخذ كل بما سبق اليه ، وكل مجتهد مصيب .

وقد قال الامام القرافي في شرح تنقيحه : انعقد الاجماع على ان من اسلم فله ان يقلد من شاء من العلماء بغير حجر . واجمع الصحابة رضوان الله عليهم على ان من استفتى ابا بكر وعمر رضي الله عنهما او قلدهما فله ان يستفتي ابا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما ويعمل بقولهما من غير نكير فمن ادعى رفع هذين الاجماعين فعليه الدليل .

وقد نص العلماء على مراعاة الشخص المستفتى والحال والزمان ، وعلى انه يوجد في فتاوي المتقدمين اشياء لايمكن الحكم عليها بانها المذهب في كل صورة من كل زمان .

فقد قال الحافظ السيوطي فى الحاوي للفتاوي : ان المفتي حكمه حكم الطبيب ينظرفى الواقعة ويذكر فيها ما يليق بها بحسب مقتضى الحال والشخص والزمان ؛ فالمفتي طبيب الاديان وذاك طبيب الابدان ، وقد قال عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس احكام بحسب ما احدثوا من الفجور ، ثم نقل عن السبكي فى فتاويه ما معناه : يوجد فى فتاوي المتقدمين من اصحابنا اشياء لايمكن الحكم عليها بانها المذهب فى كل صورة لانها وردت على وقائع فعلهم راوا ان تلك الوقائع يستحق ان يفتى فيها بذلك ولا يلزم اطراد ذلك واستمراره « انتهى المراد من كلام السيوطي » .

وقال العلامة التسولي فى البهجة قبيل المساقاة : وقد نص العلماء على ان الفتوى دائرة على مقتضى الحال ، وقد اشبع الامام ابراهيم فى كتابه اعلام الموقعين عن رب العلامين الكلام على مسألة تغير الفقه وتطوره بتغير الاحوال والنيات والعوائد والعصور والامكنة بما لايوجد فى غيره .

وقال الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر محمد مصطفى المراغي فى مذكرة له فى اصلاح كتب الفقه الدراسية والنظر فى الاحكام الاجتهادية كان رفعها لملك مصر اذ ذاك ونشرتها مجلة الفتح الغراء فى بعض اعدادها :

« يجب ان يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وان تدرس قواعده مرتبة باصولها من الادلة ، وان تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة والاحكام المجمع عليها ، والنظر فى الاحكام الاجتهادية يجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وامزجة الامم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء »

واني ذاكر قضية كان افتى فيها بعض اشياخي بمذهب اشهب ؛ وذلك ان مستفتيه كان حلف على زوجه ان لاتفعل شيئا ولم تبق له الا طلقة واحدة فاحنثته بفعلها لذلك الشيء ؛ وكان هذا المستفتي فقيرا لايستطيع دفع نفقة اولاده اذا ضمتهم اليها لكون الحضانة لها ، كما انه لايستطيع الزواج باخرى من جديد لقلة ذات يده فأفتاه مراعاة لحاله بمذهب اشهب انه لايحنث ، معاملة للمراة بنقيض قصدها مع انه قول ضعيف فى المذاهب .

فالشريعة والفقه غير منحصرين فى المذاهب الاربعة فجميع ائمة المسلمين ومجتهديهم قد استقوا مذاهبهم من الشريعة وقواعدها ؛ فلا يعد احد من غير الائمة الاربعة خارجا عن الشريعة حتى يعد من قلد واحدا منهم فى بعض المسائل خارجا عن الشريعة

واختلاف الائمة رحمة لهذه الامة كما قال ذلك مالك للرشيد لما اراد ان يحمل الناس على موطئه .

فائمة المسلمين ومجتهدوهم كلهم على هدى من الله كما قال علماؤنا فلا يصح لاحد ان يجعل الحق منحصرا فى مذاهب الائمة الاربعة وحدهم ولا فى غيرها من المذاهب .

بل ولو قلنا كما قال الجمهور ان المصب واحد فانه غير معين باتفاقهم .

فكلهم على هدى ورحمة رحمهم الله وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء فاختلافهم ناتج عن الاستنباط المؤسس على قواعد محكمة استخرجوها من نصوص الشرع العامة والخاصة ، وغير بعيد ان يستخلص منه قانون محكم يساير الظروف ، يفوق القوانين الوضعية ويغنى الامة الاسلامية عن غيره من الدساتير الاوربية التي قد تكون مخالفة لهدي الشريعة الاسلامية

يقول الدكتور محمد يوسف موسى استاذ ورئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة عين شمس بالقاهرة فى كتابه « تاريخ الفقه الاسلامي » ومما نغتبط له ايضا ان يوصي رجل كبير فى عالم القانون وهو الاستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري بالعناية بالشريعة الاسلامية ليكون ذلك وسيلة من اهم الوسائل للخروج بالفقه الاسلامي من الدائرة القومية الى الدائرة العالمية ، وهو فى هذا يقول من كلمة جد طيبة له (وهذه الشريعة الاسلامية لو وطئت اكنافها وعبدت سبلها لكان لنا فى هذا التراث الجليل ــ يريد تراث الفقهاء الماضين ــ ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لاشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضيء به جانبا من جوانب الثقافة العالمية فى القانون) .

فن أبي تمام

للدكتور عبد الكريم اليافي

- 2 -

على ان الخاصة الكبيرة البارزة فى شعر ابي تمام اعتماده على تغاير الحدود والتضاد . التضاد يتبوأ مكانة كبيرة فى هذا النوع من الفن الشعري . انه تلوين بالاضداد اذا أردنا ان نعتمد التشبيه . وانما يحصل الفرض الشعري هنا من تقاطع الفكر المتضادة واشتباكها . وسمي علماء البديع ذلك طباقا اذا وقع بين لفظين ومقابلة اذا وقع بين جملتين . ولكن القضية هنا أعمق من ذلك بكثير . فتفكير ابي تمام قائم على مراعاة التضاد فى أغلب الامور . ان تفكيره يصح ان ننعته فى العصر الحاضر بكونه جدليا .
فهو فى الشعر يجمع غالبا بين الاضداد والعناصر المتنافرة المتغايرة .

لنستمع الى هذه المقابلات ذات الاضاءات النسبية المتضادة ان صح هذا المجاز فى القصيدة نفسها وهو يصف عمورية :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشله وسطها صبح من اللهب

حتى كان جلابيب الدجى رغبت
عن لونها او كان الشمس لم تغب

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان فى ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد افلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

والقصيدة كلها تتجه هذا الاتجاه ، وتسلك هذا النهج ، وتعتمد فى بلوغ غرضها الفني اشتباك المعاني العنيف ، وتقاطع الدلالات المتضادة ، وتقابل الصور والافكار ، ومراعاة نسبها الفنية ، كما يعمد الى ذلك بعض المهندسين أو المصورين .

ان ابا تمام أكبر مجدد فى الشعر العربي القديم . وتجديده هذا انما تناول بينة الشعر وتركيبه او عموده كما يقول النقاد القدماء الذين انتبهوا الى هذا التجديد ووعوه تماما . فقد تناول ابو تمام الاغراض الفنية القديمة فوقف بالطلول وبكاها ، وشبب ومدح ورثى ووصف واستعمل كثيرا من الالفاظ العربية الغريبة ، وبعض اللهجات القليلة الشيوع . وكل ذلك مما موه على بعض الباحثين الحديثين فى الادب العربي فلم يدركوا حركة التجديد هذه العميقة التي حمل رايتها هذا الشاعر . وانما نسبوا التجديد الى ابي نواس الذي اراد ان يعالج بعض الافكار الجديدة الخارجة عن العرف والعادات ، ولكنه كان اتباعيا كلاسيكيا فى شعره بخلاف ابي تمام .

والدليل هو ان النقاد القدماء كانوا راضين عن ابي نواس جملة ، ما عدا افحاشه فى القول ، وجراته على العرف ، وخروجه عن العادات الحميدة ، اذ هو لم يتنكب عن عمود الشعر العربي . ولقد قال فيه الجاحظ « ما رايت رجلا أعلم باللغة من ابي نواس ولا أفصح لهجة مع مجانبة الاستكراه» . وقال ابن السكيت معاصر ابي تمام : « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلامرىء القيس والاعشى ، ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ، ومن المحدثين فلابي نواس فحسبك » .

أما ابو تمام فالقدماء مجمعون على خروجه عن عمود الشعر العربي ، هذا مع اطلاعه الواسع على اللغة وعلى اساليب العرب . يروى أن اعرابيا سمع قصيدته:

طلل الجميع لقد عفوت حميدا
وكفى على رزئي بذاك شهيدا

وسئل كيف ترى هذا الشعر ؟ فقال : « فيه ما استحسنه ، وفيه ما لا اعرفه ولم اسمع بمثله . فاما ان يكون هذا الرجل اشعر الناس جميعا ، واما أن يكون جميع الناس اشعر منه » .

ويروي ايضا أن اللغوي المشهور ابن الاعرابي سمع شعره فقال : « ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل » .

هذا مع اخبار كثيرة تشير الى تجديد ابي تمام والى تعقيد شعره ، كتعقيد تلك الحضارة التي اتسع سلطانها اذ ذاك الاتساع كله .

وللاتجاه الديالكتيكي الذي اتجهه ابو تمام استطاع ان يولد كثيرا من المعاني « كم ترك الاول للاخر » كما يقول . وقد عرض ابو العلاء المعري رايه فيه في رسالة الغفران فقال : « كان صاحب طريقة مبتدعة ، ومعان كاللؤلؤ متتبعة ، يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار » . ويذكر رايه في موضع آخر من الرسالة على لسان عنترة العبسي حين وقف ابن القارح في الجحيم فقال : « واني اذا ذكرت قولك « هل غادر الشعراء من متردم » لاقول انما قيل ذلك وديوان الشعر قليل محفوظ . فاما الآن فقد كثرت على الصائد الضباب وغرقت مكان الجهد الرباب (1) ولو سمعت ما قيل بعد مبعث النبي (ص) لعتبت نفسك على ما قلت وعلمت ان الامر كما قال حبيب بن اوس :

فلو كان يفنى الشعر افناه ما قرت
حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول اذا انجلت
سحائب منه اعقبت بسحائب

فيقول وما حبيبكم هذا ؟ فيقول شاعر ظهر في الاسلام ، وينشده شيئا من نظمه ، فيقول : اما الاصل فعربي ، واما الفرع فنطق به غبي ، وليس هذا المذهب على ما تعرف قبائل العرب ، فيقول وهو ضاحك مستبشر : انما ينكر عليه المستعار . وقد جاءت العارية في اشعار كثيرة من المتقدمين ، الا انها لا تجتمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب بن اوس » .

هذا وقد التزم ابو تمام النهج الذي سلكه في جميع شعره ، ولابد لنا من بيان ذلك في بعض الاغراض الشعرية ولو قليلا لاهميته فيما نقصد اليه . يقول حبيب :

ولكنني لم احو وفرا مجمعا
ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطني الايام نوما مسكنا
الذ به الا بنوم مشرد

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد

فاني رايت الشمس زيدت محبة
الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

فالوفر المجمع ، والشمل المبدد ، والنوم المسكن ، والنوم المشرد ، كل منها قرين الآخر . والاقامة والاغتراب والاخلاق والتجدد ، كلها تجري متشابكة متصلا بعضها ببعض . حتى الشمس ينبغي أن تغيب وان تشرق ، وان تظهر وان تحتجب ، حتى تزيد محبتها . التضاد هنا اساس التفكير كما يقول الجدليون .

ويصف ابو تمام الربيع ، فيجلب انتباهه انه ختام الشتاء ، ومقدمة الصيف ، فهو نعرفه بالتضاد ، ويبين ان الشتاء بما احتوى من امطار هو الذي هيا ثمرات الصيف . فالشتاء محمود برغم عوادي برده ووبله . انما نجد في الربيع مطرا يشتمل على صحو ، وصحوا يشبه في غضارته المطر . فالربيع اذن مطر في صحو وصحو في مطر . والغيث غيثان : غيث ظاهر وهو

1) في الطبعة التي حققتها بنت الشاطىء : « وعرقت مكان الجهل الرباب » ولم يظهر معنى هذه الجملة المحققة وربما كانت محرفة عما اثبتناه . وانما اوحى الى ابي العلاء بهذه الصورة بيتا ابي تمام الآتيان

المطر ، وغيث باطن مضمر وهو الصحو . اننا في نثرنا نظم ابي تمام يخيل الينا كأننا نلخص كلام هيغل في الدياليكتيك الذي يصنعه ، ولو عالج هذا الفيلسوف هذا الموضوع لما اتى بشيء اكثر :

نزلت مقدمة المصيف حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر

لولا الذي غرس الشتاء بكفه
لاقى المصيف هشائما لا تثمر

كم ليلة آسى البلاد بنفسه
فيها ويوم وبله مثعنجر

مطر يذوب الصحو فيه وبعده
صحو يكاد من الغضارة يمطر

غيثان فالانواء غيث ظاهر
لك وجهه والصحو غيث مضمر

وهو يرى من خلال هذا التضاد ان الحركة هي الاصل في حسن الطبيعة وجمال الارض ، على خلاف الاشياء المصنوعة الثابتة :

او لا ترى الاشياء ان هي غيرت
سمجت ، وحسن الارض حين تغير

ابو تمام في رأينا ابو الجدل الحديث المستند الى التغيير والى الحركة . ولكنه اذ انتهج الجدل هذا في شعره . كان ذا مذهب شعري مبتكر ، وان مس هذا المذهب الشعري الفلسفة ، كما ان هيغل بعده باحقاب كان ذا مذهب فلسفي جديد ، وان كانت دعائمه تستند الى بعض الاعتبارات الفنية .

ان الشعر العربي في الحقيقة لم يخل في يوم من الايام من هذه المقابلات المتضادة التي هي من خصائص الفكر . ولكن الفرق كبير بين ابرازها حين تشف عن حركة طبيعية دون ان يتجاوز التعبير هذه الحركة ، وبين اعتماد التضاد وتصالب الافكار وتقاطعها في اغلب الاحيان ان لم يكن في جميعها ، للبلوغ الى الغرض الفني .

ان الشجاع الحق ، والمقدام الواعي ، يلوح له الاحجام كما يلوح له الاقدام . ولكنه بعد التردد الطبيعي ولو كالبرق يرفض الاحجام ، لان فيه الذل ، ولانه يليق بالحياة الكريمة الصحيحة . فالانسان كل الانسان يقدم ولا يفر ولو لاح له في الخيال امكان الفرار . هذه هي جدلية الاقدام . وقد عبر عنها الشاعر العربي القديم الحصين بن الحمام اجمل تعبير واوجزه حين قال :

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد
لنفسي حياة مثل ان اتقدما

فرسم الشاعر العربي القديم هذه الحركة النفسية بعبارات دقيقة كاملة الدلالة متقنة الاداء ، وبقي كلاسيكيا في تعبيره ، لانه كان رفيقا بهذه العاطفة النفسية ولم يصورها بعنف ولا باستعارات متعمدة : كما يصنع ابو تمام .

لقد اراد هذا الشاعر ان يمدح الخليفة المعتصم في قصيدته التي على اللام وان يصفه بالشدة واللين معا . فهو يعتمد لفظي السهل والجبل مجازا فيقول :

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا
فانت لاشك فيك السهل والجبل

وهذا ما يختلف تماما عن تعبير ابي نواس الذي نظر اليه ابو تمام كما يقول المتقدمون :
كالدهر فيه شراسة وليان .

ان من صفات الدياليكتيك طرح الفكرة ثم نقضها ثم جمع الفكرة والنقيض معا فيما يدعى بالتركيب . ومع ان هذا البيت السالف لا يحبه علماء البلاغة لما فيه من تكلف ، نجده يشف عن هذه المراحل الثلاث من الاثبات والنفي او الفكرة وطباقها وتركيبها . ونجد مثل ذلك في هذا الاستهلال :

من سجايا الطلول الا تجيبا
فصواب من مقلتي ان تصوبا

فاسألنها واجعل بكاك جوابا
تجد الدمع سائلا ومجيبا

وهكذا يتجلى الفكر الدياليكتيكي بابرز صوره عند ابي تمام في اطار فنه الذي رفع لواءه . واذا كان الجمال الفني يحصل من مطابقة اللفظ للمعنى والمعنى للفظ ، وكانت هذه المطابقة حاصلة في الشعر الجاهلي

وشعر صدر الاسلام ، كان من اخص صفات هذا الشعر الاتباعي الكلاسيكي . ولكنا نجد هنا في شعر ابي تمام ان اللفظ احيانا يتحمل اكثر من معناه المخصص له ، ولذلك كان هذا الفن قريب الصلة بايحاء شعور الروعة والسمو والفخامة والخطابة ، واشد شفوفا عن المأساة لاصطراع العناصر التي يشتمل عليها . وهذا هو السبب الذي من اجله برز ابو تمام في المدائح والمراثي ؛ لان الاولى اقرب الى جو الفخامة والروعة ، ولان الثانية ملتصقة بالمآسي اشد الالتصاق . وقد ذكر القدماء قيمة مدائحه ومراثيه ، ونوهوا بها دون ان يبينوا لنا سبب ذلك ، ولا صلته بطبيعة تفكير الشاعر ، ولا آصرته بفنه الذي رفع اركانه . فالمقابلة بين الاضداد والحدود المتغايرة من شانها ان تظهر مشقة الجهد وبلوغ المدى البعيد

هذه الحدود المتغايرة يؤثر بعضها في بعض . ويشير الشاعر احيانا الى هذا التأثير المتبادل الذي يدعى في الفلسفة الحديثة بالفعل الجدلي وفي العلم الحديث بالفعل ورد الفعل (او الارتكاس) .

قال يصف جمله مبينا انه نشأ من رعيه الفيافي والفياض ، ثم نحل وضعف من جوبه تلك القفار والرياض ، فكأنما رعته بعد ما رعى نبتها :

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة
رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

وكذلك يصف شعلة الشيب في المفارق . الهموم تستثيرها وهي في المقابل تستثير الهموم :

تستثير الهموم ما اكتن منها
صعدا وهي تستثير الهموما

ولا شك انه كان واعيا لفنه هذا المستند الى الحدود المتغايرة المتقابلة اذ كان يجدها في الواقع حين يصفه . يذكر في مديح له لفظ نوافر الاضداد ليصف مجد الممدوحين الغريب في فن كان حقا غريبا في عصره :

قد بثثتم غرس المودة والشحـ
ـناء في قلب كل قار وباد

ابغضوا عزكم وودوا نداكم
فقروكم من بغضة ووداد

لاعدمتم غريب مجد ربقتم
في عراه نوافر الاضداد

ونحب اخيرا ان نؤكد اعتماد ابي تمام للحدود المتناقضة حتى في اغرب الاحوال . فهو في موقف المديح مثلا يتصور الممدوح غريبا وهو بين عشيرته واقربيه وكثرة المحيطين به ، كما يتصوره ايضا وهو يفيض بالحياة ميتا . ولولا مهارة ابي تمام وحذقه لسمج ذلك سماجة كبيرة . ولكن فنه الذي نظن انا جلونا اصوله يشفع بذلك كله :

غربته العلا على كثرة النا
س فاضحى في الاقربين جنيبا

فليطل عمره فلو مات في مر
ومقيما بها لمات غريبا

ولا غرو ان يعتمد شاعر فيلسوف مثل الطائي هذا النهج الشعري الفكري القائم على صراع الحدود ؛ في ذلك العصر الذي اشتد فيه التمايز بين طبقات الشعب وفئاته ، على خلاف ما كان الامر عليه في فجر الاسلام وريقه من تضامن عميق بين الناس . فلقد تكونت في العصر العباسي طبقات اجتماعية مستندة الى فروق اقتصادية بارزة ، بعضها متمول مترف مجدود ، وبعضها فقير مكدود مجهود . ولا ننس اننا هنا من زمن ابي تمام في عصر تبدأ فيه فتن وثورات متعددة .

كذلك تكونت طبقات عرقية كانت تتنافس ظاهرا وباطنا على الحكم . وأهمها الفرس الذين كانت تتألف منهم غالبية موظفي الادارة والدواوين ، وكانوا يدخلون على الدولة عاداتهم وأزياءهم القديمة التي ورثوها عن اجدادهم . وكانوا ينتحلون التشيع كانما يريدون ان يدلوا على الخلفاء العباسيين ، ويشيروا من طرف خفي الى اغتصابهم حق الخلافة ، وينالوا لقاء سكوتهم درجات اعلى في الدولة .

وقد بدأت تتوطد في زمن المعتصم طبقة الترك التي كانت تؤلف اغلبية الجيش وقواده . اما العرب

فكان منهم بيت الخلفاء والامراء والعلماء والقسم الاكبر الاعم من الشعب . واصبح الخليفة القوي بعد ذلك من يستطيع ان يحد من نفوذ الفرس المهيمنين على جهاز الادارة ومن سيطرة الترك الذي كانوا يملكون زمام الجيش .

ولم يكن بد لهذا العصر المعقد من ان تلوح صور عناصره المتنادة المتضادة المشتبكة فى فن شاعر صناع ملهم ، عاش حياة عصره واشترك فى احداثها ما امكن له الاشتراك . ولقد ادرك ابو تمام رسالة الشعر فى ذلك المجتمع المعقد ، وفهم غايته السامية النبيلة . فالشعر ليس مجرد فن كملت عناصره واتقنت اداته ، وبلغ الاوج فى الابداع والصناعة الفنية ، وانما هو وسيلة للحفز على المعالي ، وحث على تحقيق القيم الرفيعة ، وسعى لتاليف عناصر الدولة واشادة بابطالها الذين يخدمون القضايا العربية . انه شعلة توضح سبل المكارم وطرق التقدم . وهذا يتجلى فى بيت ابي تمام المشهور :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بغاة العلا من اين تؤتى المكارم

واذا لجا شاعر كبير مثل ابي تمام الى المديح والى الرثاء ، فانما مثله مثل النحات او المصور ، يمثل الخصال الحميدة ، والمآثر الكريمة ، ويصور الشمائل الانسانية العالية والمناقب الرفيعة ، لتكون قدوة تحتذى ، واسوة يؤتسى بها ، وسبلا تسلك . اما الاعطيات فكانت مثوبة للشعراء وتقديرا لفنهم ونوعا الرعاية لهم والرغبة فى تفرغهم وانصرافهم الى تجويد فنهم . كان الفن بالنسبة اليهم صنو المجد والبطولة . فكما ان المجد والبطولات تخترع المعالي اختراعا ، وتاتي بالامور الباهرة المعظمة الغريبة ، كذلك ينبغي ان يخترع الشاعر معانيه وصناعته اختراعا ، ويبدع فيها ابداعا ، لانه لا فن الا بالطريف المبتكر .

يقول ابو تمام فى ممدوحه :

غربت خلائقه فاغرب شاعر
فيه فابدع مغرب فى مغرب

ان الشعراء العرب كانوا متطين بالواقع متقيدين به ، لا يتصورون فى الغالب قيمة من القيم الا وهي متمثلة فى انسان ، ولذلك كانوا ينوهون بتلك القيم العالية فى ممدوحيهم ومرثييهم . كانت هذه طريقتهم فى الماضي ولا نستطيع ان نفهم فنهم بدون ذلك .

ولقد كانت المشاعر العربية تملأ قلب ابي تمام ، وهو الشاعر الطائي لا كما يدعي خصومه وبله المستشرقين ، فكانت تلك المشاعر تتلألأ كالنور من خلال مصوغ شعره الحالي ، ومؤثل بيانه العالي .

وهو لم يترك موقعة خاضها العرب اذ ذاك الا وخاضها بلسانه ، وابدع فيها ما شاء له الابداع ، وحباها صفة الخلود الفني . لم يكن قابعا فى بيته ، ولا منزويا فى برجه ، وانما كان يطوف فى البلاد العربية بالغا الى الثغور البعيدة والخطوط الامامية ، مقتحما رحى الميدان ، متسمعا الهام الواقع متلمسا اصيل البيان . بقي شعره فى عمورية اخلد من عمورية نفسها على اهمية هذه المعركة القومية التي كما جاء فى قوله عن الروم :

ابقت بني الاصفر الممراض كاسمهم
صفر الوجوه وجلت اوجه العرب

ولقد مدح الافشين القائد الكبير التركي النسب، الفارسي اللقب ، حين خدم الدولة والعرب . ولما ظهرت خيانته وقتله الخليفة واحرقه ، نهد ابو تمام فدعم اتجاه الخليفة واحرق الافشين بنار شعره وادخله نار الجحيم قبل يوم الجحيم :

صلى لها حيا وعذب ميتا
فيها ويدخلها مع الفجار

ونجد من ثنايا اشعاره كلها تلك العاطفة العربية العريقة العميقة التي تنوه دائما بجمع قبائل العرب . وتنبههم على مكايد الاقوام الاخرى ممن لم يبلغ الايمان الى قلوبهم . فهو يمدح حفص بن عمر الازدي الذي كان وجيها من وجهاء العرب فى بعض الثغور المتطرفة ويذكر ما لحفص هذا من فضل فى جمع القحطانيين والعدنانيين وتوكيد وحدتهم :

وانت وقد مجت خراسان داءها
وقد نغلت اطرافها نغل الجلد

واوباشها خزر الى العرب الاولى
لكيما يكون الحر من خول العبد

ليالي بات العز في غير اهله
وعظم وغد القوم في الزمن الوغد

وما قصدوا اذ يسحبون على المنى
برودهم الا الى وارث البرد

وراموا دم الاسلام لا من جهالة
ولا خطا بل حاولوه على عمد

فمجوا به سما وصابا ولو تات
سيوفك عنهم كان احلى من الشهد

ضممت الى قحطان عدنان كلها
ولم يجدوا اذ ذاك من ذاك من بد

فاضحت بك الاحياء اجمع الفة
كما احكمت في النظم واسطة العقد

وكذلك كانت الغاية من الرثاء التنويه بالمجد والبطولة والقيم الرفيعة . وقد برز ابو تمام في مناوحه كما برز في مدائحه . وحسبنا ان نشير ولو قليلا الى مرثيته في محمد بن حميد الطوسي .

فلقد ارسل الخليفة هذا القائد العربي لمحاربة بابك الخرمي الذي ثار في الجبال على الدولة العربية في حدود جمهورية اذربيجان الحالية . فلما بلغ منطقة بابك الجبلية عريبا من « هشتادسر » وزع قسما من جنوده لحفظ المسالك وعبا جنوده للقتال وتقدم بهم . ولكن العدو علم بأمرهم فكان بابك يشرف عليهم من الجبل وقد كمن الرجال تحت كل صخرة . فلما صعد اصحاب القائد العربي في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ لاجتياح معاقل العصاة ، خرج عليهم الكمناء ، وانحدر بابك اليهم فيمن معه ، وانهزم الناس ، فامرهم محمدبن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتل يأخذهم .

ويذكر التاريخ ان القائد العربي صبر مكانه ، وفر من كان معه غير رجل واحد ، ورأى جماعة وقتالا فقصدهم ، فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من اصحابه ، فحين رآه الخرمية قصدوه لما راوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه ، وضربوا فرسه بمزراق فسقط الى الارض ، واكبوا على محمد بن حميد فقتلوه . ولما وصل خبر هذه الهزيمة الى بغداد والى المامون عظم ذلك عنده جدا .

هنا تاتي رسالة الشعر لبعث الهمم من جديد، لقد هز مقتل ذلك البطل العربي نفس ابي تمام هزا عنيفا ، فها هو ذا يغمس طرف ردائه في مداد ، ثم يضرب به كتفيه وصدره الزاما لنفسه تأبين الشهيد وتخليد اسمه اخرى الدهر ، ولكي يرى الناس ان الابطال اذا استشهدوا في المواقع ، فهم احياء عند الله مخلدون في الفن . وها هو ذا ينشد مرثية من اجمل مراثي قرطبة :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر
وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

يقول فيها :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة
دما ضحكت عنه الاحاديث والذكر

فتى دهره شطران فيما ينوبه
ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه
من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وقد كان فوت الموت سهلا فرده
اليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف العار حتى كانما
هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر

فاثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت اخمصك الحشر

يصف الشاعر باشارات خاطفة ومجازات معبرة كيف استشهد المرثي ، وسرعان ما يبدل ببراعته الفنية ثيابه الملطخة بالدم الاحمر ويكسوه حللا سنية من السندس الاخضر :

تردي ثياب الموت حمرا فما دجا
لها الليل الا وهي من سندس خضر

هذه القصيدة كان لها وقع ضخم بين الامراء والقواد . ويؤثر القائد العربي ابو دلف العجلي هذه على الحياة نفسها فيقول لابي تمام : « وددت والله انها لك في » فيقول ابو تمام : « بل افدي الامير بنفسي واهلي واكون المقدم قبله » فيقول ابو دلف : « لم يمت من رثي بهذا الشعر » .

ولم يلبث الامراء والقواد بعد امد ان اعادوا الكرة على بابك ، وكان من ابرز هؤلاء القواد الاميران العربيان ، ابو دلف العجلي وابو سعيد الثغري ، الذي اشترك في المعركة السابقة والافشين التركي قبل خيانته . وكان النجاح الضخم في القضاء على بابك يرجع الى الخطة التي اقترحها القائد العربي ابو دلف كما ان الذي اسر بابك اذ هرب بعد اجتياح قلاعه اصحاب ابي سعيد الثغري . وقد ذكر ابو تمام ذلك كله في شعره .

كان ابو تمام اذن على حد تعبيرنا اليوم شاعرا ملتزما خدم المجتمع والدولة . ولكن هذا الشاعر الكبير يتجاوز الناحية الادبية الشخصية ، فيرى من جهة ثانية ان الشعراء والادباء يمتون جميعا الى اسرة واحدة ، هي اسرة الادب والفن والفكر ، يفرح احدهم بالآخر فرحا جعله الشاعر مثلا سائرا « وفرحة الاديب بالاديب » .

الادب ابوهم والآثار الفنية ابناؤهم . وهو القائل في علي بن الجهم الشاعر المشهور :

ان يكن مطرف الاخاء فاننا
نغدو ونسري في اخاء تالد

او يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذب تحدر من غمام واحد

او يفترق نسب يؤلف بيننا
ادب اقمناه مقام الوالد

كل هذا ليس الا جانبا من شخصية ابي تمام الادبية الانسانية العالية الممتازة . يقول علي بن اسماعيل النوبختي : « قال لي البحتري : والله يا ابا الحسن لو رأيت ابا تمام لرايت اكمل الناس عقلا وادبا، وعلمت ان اقل شيء فيه شعره » .

اما الذين لا يفهمون ابا تمام ولا يفهمون الادب العربي ، ويتحدثون عن الآداب الاجنبية دون ان يفهموها ايضا ، فمثلهم عندنا في الحمق والغباوة والجهل كمثل تلك المراة التي يذكر المؤرخون انها خرجت تستقي ومعها اختها . وكان ابو تمام قد رجع الى ربوع بلده وضرب خياما واظهر نعمة وأثاثا فصادفته المراة وتأملته زمانا ، ثم التفتت الى صاحبتها وقالت اتدرين الرجل ؟ قالت : لا والله ! قالت : بلى والله انا اعرفه . قالت : ومن هو ؟ قالت : انه والله اقيرع جاسم !

حاجة بحاجة

قال معاوية لعبد الملك بن عامر : ان لي اليك حاجة ، أتقضيها ؟
قال عبد الله : نعم ، ولي اليك حاجة اتقضيها ؟

قال معاوية : نعم

قال عبد الله : سل حاجتك ، فأجاب معاوية : هب لي دورك وضياعك بالطائف .

فرد عبد الله : نعم قد فعلت فهي لك منذ الساعة . قال معاوية : وصل الله رحمك فسل حاجتك . فأجاب عبد الله على الفور : ردها الي .

الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

- 3 -

تبين لنا في آخر المقال السابق ان الشعر العربي الذي قيل عن الربيع، من يوم نشوئه الى وقتنا هذا، ينم في مجموعه عن مذهب فلسفي في الحياة، وهذا المذهب هو الذي يضفي عليه شخصية واضحة المعالم، وهو الذي، بالرغم من تباعد العصور واختلاف الشعراء، يخلق نوعا من التجاوب والتكامل بين الاشعار التي نظمت في الربيع، وانك لتجد لتلك الفلسفة اثرا وراء معاني كل قطعة او قصيدة وكانه صدى يتردد او نغم خافت يرجع.

فلسفة استمتاعية:

وتخبرنا هذه الفلسفة عما يحبه الشاعر في الربيع وعن اسباب تعلقه به، ولماذا يفرح لقدومه ويتحسر لفراقه، وما هي طريقته في تذوق جماله، وهل يحبه حبا افلاطونيا أم بشريا. وكان من المأمول ان يكون لكل واحد من شعرائنا مذهبه الخاص به في هذه المسائل حتى تتنوع الشخصيات ويتنوع معها الشعر، ولكن شعراءنا اخذوا كلهم بمذهب واحد، او بالاحرى، وجدوا انفسهم مضطرين للاخذ به تحت عوامل قوية تفوق طاقتهم الفردية.

وقبل ان نلقي نظرة على تلك العوامل، يكون من الافيد ان نطلع على محتوى تلك الفلسفة.

والواقع اننا لانجدها موضحة في كتاب او رسالة، ولم يجرؤ اي واحد من الكتاب والمفكرين الاقدمين ان يبسطها ويحللها لانها، كما سنرى، تتناقض مع مبادىء الاسلام من حيث كون هذه المبادىء تبني على شيء من التقشف وكبح جماح النفس بينما هي تدعو الى نوع من الاستهتار والاباحية، وانما عبر عنها الشعراء لان الشعراء يتبعهم الغاوون ولانهم يستطيعون ان يضمنوا شعرهم من الافكار الجريئة مالم يكن يستطيع الكتاب الناثرون ان يعبروا عن جزء ضئيل منه. فلنحاول — اذن — ان نستحضر عن طريق الشعر صورة مختصرة لتلك الفلسفة.

انها تقدم لنا الانسان وقد وضع لذته الحسية، الشهوانية على راس القيم التي يتعلق بها في حياته، فاللذة هي الجانب الاول الذي تترتب بالنسبة اليه جوانب الحياة الاخرى، ولذلك، فهو لايحب الطبيعة لذاتها او لاسباب موضوعية خارجة عنه، وانما لكون الطبيعة من احدى لوازم لذته ومقوماتها، فهي المركز وهي الاطار لمجالس سروره ولهوه، فحبه ليس بحب اذا لم يداعبه النسيم ولم تناغه الطيور من فوق الادواح، وسكره ليس بسكر اذا لم يجلس امام روض تفتحت فيه اكمام الورد وسطع نور الاقحوان، وسروره ليس بسرور اذا لم تتجاوب انغام الاوتار مع شدو الاطيار وميلان الاشجار، فالطبيعة هي — بالنسبة اليه — ذلك المناخ الدافىء المنعش الذي يطفح فيه السرور وتتضاعف كل لذة.

تلك صورة موجزة كل الايجاز عن مذهب شعرائنا في الحياة عندما يتغنون بالطبيعة ويتجهون اليها، فتصويرهم لجمالها يقترن في الغالب مع وصف الملاذ والشهوات الحسية، وترى التجاوب بينهم وبين ما يحيط بهم من صور كونية مبنيا على ارضاء حاجاتهم في التنعم والاستمتاع. وهذا ماحدا بالمرحوم « احمد امين » الى ان ينعت، في بعض مقالاته، الادب العربي بانه « ادب معدة »، وقد اقام بقوله هذا ثائرة المرحوم « زكي مبارك » ونشأت بين الكاتبين مناقشة طريفة في الموضوع.

ملاحظة : تابع لما نشر في العددين الثاني والثالث من مجلة دعوة الحق — السنة الرابعة

ونحن لايعنينا في شيء ان ندخل في هذا النقاش ، وانما الذي يهمنا هو ان نركز هذه الملاحظة وهي وجود نزعة قوية في الشعر العربي تدعو الى وصف الطبيعة لا لكونها طبيعة ، ولكن لانها جزء من ملذات الانسان . وما هذه النزعة الا صورة من صور الانانية البشرية التي تريد ان تجعل الانسان محورا لكل الكائنات وتقيس الاشياء بالنسبة اليه .

وهي ـ بالاضافة الى ذلك ـ تعبر عن فلسفة مادية في جوهرها حيث انها تقتضي ، كما رأينا ، نوعا من الاستسلام للشهوة الحسية وحيث انها تفضل اللحظة العارضة المختلسة على الزمان وتسلسله وما يتولد عن هذا التسلسل من تطور وتفاعل بين الاحداث ، عملا بقول الشاعر :

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي انت فيها

فهي فلسفة نظر اكثر منها فلسفة عمل ، وهي فلسفة تنعم اكثر منها فلسفة كفاح ، وهي فلسفة سكون اكثر منها فلسفة حركة .

وهذه الفلسفة هي ابعد ماتكون عن ما يسمى بفلسفة السعادة ، لان السعادة تدل على حالة روحية قارة عميقة تملأ ضمير الانسان وتصاحبه في كل اعماله ، سواءا كانت شاقة ام مرحة ، بينما اللذة هي حالة عارضة ، سطحية قد يدركها المرء وسط الشجون والاتراح ، كما ان الاقبال عليها قد يكون علامة على نوع من اليأس والتشاؤم في الحياة .

بقي علينا ـ الآن ـ ان نقدم بعض النماذج الشعرية التي قيلت عن الربيع وتدعم النظرية التي ذهبنا اليها ، فهذا ابو الحسن القويري ، شاعر الصاحب ابن عباد لايرى في قدوم الربيع الا مناسبة يدعو فيها محبوبه لاخذ حظه من السرور :

ايها الصاحب الربيع تجلى
في رياض تحار فيها العقول

نرجس ناضر واحمر ورد
وشقيق بزينه التكحيل

وغصون تجر اذيال نور
في حواشي جداول وتميل

للزرازير في خلال الازاهيـ
ـر صفير وللحمام هديل

فاقم رسمنا صبيحة نيرو
ز به ربع انسنا مؤهول

بكؤوس مملوءة من مدام
انت لمن حساها عذول

ثم تأمل هذه الابيات لابن خفاجة التي تمتزج فيها الاشارات للجمال الانساني مع صور عن جمال الطبيعة ، فلا تدري أي الجمالين اعمق في النفس اثرا :

واني ، وان جئت المشيب ، لمولع
بطرة ظل ، فوق وجه غدير

فيا حبذا ماء بمنعرج اللوى
وما اهتز من ايك عليه مطير

ونفحة ريح ، للربيع ، ذكية ،
ولمحة وجه ، للشباب ، نضير

ونعسة طرف العين من سنة الكرى،
لرجع خرير ، او لشجو هدير

وقد لاح وجه الصبح ، يندى ، كأنه ،
وراء قناع الليل ، وجه بشير

رأينا في القطعة الاولى كيف تقترن عند شعرائنا لذة الشراب مع التملي بمحاسن الطبيعة ورأينا في الثانية كيف يلتقي الحب مع الطبيعة ، وبقي علينا ان نرى لونا ثالثا يقف بين الاستمتاع الحسي واللذة الروحية ، وهذا اللون هو الاجتماع بالاخوان في جو ملؤه الصفاء والمحبة ، واحسن من عبر عن هذه المشاعر هو ـ بدون شك ـ ابن زيدون شاعر الذكرى ، فهو الذي يقول في قصيدة من اخوانياته بعث بها الى صديقه ابي القاسم :

يا ابا القاسم الذي كان ردئي
وظهيري على الزمان وذخري

يا احق الورى بممحوض اخلا
ص واولاهم بغاية شكري

طرق الدهر ساحتي من تنائيـ
ـك بجهم من الحوادث نكر

ليت شعري والنفس تعلم ان ليـ
ـس بمجد على الفتى: «ليت شعري»

هل لخالي زماننا من رجوع ؟
ام لماضي زماننا من مكر ؟

اين ايامنا واين ليال
كرياض لبسن افواف زهر

وزمان كانما دب فيه
وسن او هفا به فرط سكر

حين نغدو الى جداول زرق
يتغلغلن في حدائق خضر

في هضاب مجلوة الحسن حمر
وبواد مصقولة النبت عفر

تتعاطى الشمول مذهبة السر
بال والجو في مطارف غبر

في فتو توشحوا بالمعالي
وتردوا بكل مجد وفخر

وضح تنجلي الغياهب منهم
عن وجوه مثل المصابيح غر

كل خرق يكاد ينهل ظرفا
زان مرأى به باكرم خبر

والحقيقة ان ابن زيدون من المستثنيات في هذا الباب ، فقد تفرد بمزية جعلته يسمو بشعره في الحب والطبيعة الى مستوى عال يكاد يدرك سماء الوجدان الروحي ، فهو في القالب يصور لذته الحسية تصويرا عفيفا يكسوها حلة المثالية ويؤثر المعاني الرفيعة النبيلة ؛ فانظر اليه وقد هاجت ذكريات حبه امام مناظر طبيعية رآها بمدينة الزهراء في هذه الابيات التي تغلب عليها لهجة حزن صادقة :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والافق طلق ومرأى الارض قد راقا

وللنسيم اعتلال في اصائله
كانه رق لي فاعتل اشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم
كما شققت اللباب اطواقا

يوم كايام لذات لنا انصرمت
بتنا لها حين نام الدهر سراقا

نلهو بما يستميل العين من زهر
جال الندى فيه حتى مال اعناقا

كان اعينه اذ عاينت ارقي
بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

ورد تالق في ضاحي منابته
فازداد منه الضحى في العين اشراقا

سرى ينافحه نيلوفر عبق
وسنان نبه منه الصبح احداقا

كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا
اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا

فلسفة تفرضها وضعية الشعراء في المجتمع :

يحق للباحث ان يتساءل عن اسباب غلبة هذه النزعة الاستمتاعية على شعرنا العربي في الطبيعة وعن مصدرها ، مع ان المجتمع الاسلامي كانت تسري فيه تيارات روحية وصوفية قوية انعكست بعض آثارها على ابواب اخرى في الشعر وعلى جوانب اخرى من الحياة الثقافية والاجتماعية ، وبعبارة اوضح ، كيف امكن لهذه الفلسفة المادية البحتة ، المتنافية مع روح الاسلام ، ان تنشأ وتنمو في احضان المجتمع الاسلامي وان يصبح لها تاثير عميق على الحياة العقلية والعاطفية في ذلك المجتمع ؟

لاشك ان تلك الفلسفة صادرة عن واقع اجتماعي وانها تعبر عن احد الجوانب في حياة المجتمع ، فهل معنى هذا انها انعكاس تام وصادق لنفسية المجتمع العربي الاسلامي ؟ وهل معناه ان حياة التنعم والالتذاذ كانت من المثل العليا بالنسبة لذلك المجتمع ؟ ان التاريخ يفند مثل هذا الراي تفنيدا باتا ويقدم لنا شهادات ناطقة تبين ان اسباب الالم والشقاء والبؤس كانت من الكثرة حتى انها لتمنع معظم افراد المجتمع من التفكير فيما يسمى بحياة الدعة والتنعم ، مما دعا الى ظهور تيارات فكرية قوية تدعو الى الزهد او التصوف ؛ وهذا تاريخ الاندلس القريبة منا كله حوادث خطيرة وتقلبات ونكبات بالنسبة لعامة الناس ، ومع ذلك ، فان شعر الاندلسيين يغفل عن احوال المجتمع ومصائبه ولا يقدم لنا الا صورا باسمة مشرقة لحياة كلها استمتاع واخلاد الى الدعة والرفاهية .

اذا كانت هذه الفلسفة لا تعبر عن روح المجتمع في عمقه وفي مجموعه فما هو الجانب او المظهر الاجتماعي الذي تترجم عنه ؟ انها تصور جانب الترف والرفاهية في المجتمع ، وبعبارة اخرى ، اذا رجعنا الى التقسيم التقليدي للمجتمع الذي يميز بين طبقتين ، طبقة الاغنياء والموسرين وطبقة الفقراء والمعوزين ، فان الشعراء كانوا يصورون في قصائدهم حياة الطبقة الاولى طبقة المحظوظين ، طبقة المترفين الذين ينفقون في كمالياتهم اضعاف ما ينفقون على ضرورياتهم ، وما كان لشعرائنا ان يخرجوا عن ذلك النطاق لانهم بحكم تبعيتهم لتلك الطبقة وارتباطهم بها مضطرون لاتباع ذوقها واحساسها الفني ولاشباع رغبتها في ايجاد شعر يكون في آن واحد مرآة لحياتها الباذخة وتمجيدا لمجالس سرورها وملذاتها .

ومعنى هذا ان معظم شعرائنا كانوا – في الواقع – شعراء قصور وان لم يسكنوا كلهم القصور ، فهم ، بدل ان يصوروا الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها ، لم يهتموا الا بالجانب المشرق الناعم المترف ، واهملوا الجانب المتجهم العبوس ، جانب البؤس والحرمان ، وهم بذلك انما يجيبون ، كما راينا ، احدى رغبات الطبقة المترفة ، وطبيعي ان يؤثر المترفون الشعر البشوش الذي فيه تسلية ومتعة على الشعر الذي يتعمق في حقائق الحياة وحلوها ومرها والذي يشف عن صور ناطقة للمجتمع بما فيه من جور ومآس ومهازل ومكر وغدر وخيانة ، والشعراء الذين حاولوا ، مثل المعري وغيره ، ان يقولوا الحق ويصوروا بكامل الصدق ما تقع عليه اعينهم لم يلاقوا من تلك الطبقة الارستوقراطية الا الجفاء والصدود وظلوا يعيشون على هامش عصرهم وربما صادف شعرهم الاهمال والنسيان .

ولذلك فقد حرص الشعراء وهم الذين يعيشون في ظل تلك الارستوقراطية ويستفيدون من رفدها وجراياتها ، على ان يكون شعرهم قبل كل شيء ، محصلا على رضاها واستحسانها منسجما مع مشاغلها ولون عيشتها ، مزكيا ملاهيها وملذاتها وتعجبني في هذا الباب فقرة للاستاذ المرحوم احمد امين في كتابه ضحى الاسلام (ج. 1 ص 125) يقول فيها ، في معرض الكلام عن العصر العباسي الاول :

« كثر النعيم ، وكثر العنصر الفارسي العريق في المدنية ، الممعن في الترف ، وكثر الجواري يجلبن من الاصقاع المختلفة ، وكثر الجمال وسفر ، اذ لم تكن عامة الاماء يطالبن بحجاب ، فقويت النزعة الى اللهو والخلاعة والمجون التي وصفنا ، وشعر قوم من الشعراء بهذه النزعة من الناس امثال بشار وصريع الفواني وابي نواس ، فقادوا زمامها والهبوها وسهلوا السبيل اليها » .

« ان سكر القوم وشعروا بالحاجة الى ابيات من الشعر تروي عاطفتهم ، وتزين لهم عملهم ، وتحملهم على المضي في شربهم ، راوا في شعر هؤلاء ارواء لغلتهم ، وان تشببوا في فتاه او غير فتاه ، فشعر الشعراء كفيل ان يجدوا فيه بغيتهم في صريح من القول غير كناية » .

وكيف لاينساق الشعراء مع تيار اللذة ونخبة القوم من خلفاء وملوك وامراء ووجهاء ومفكرين يقدمون لهم الامثلة الحية على هذا النوع من التفكير سواء في سلوكهم او في شعرهم ، اذا ما قدر لهم ان يقرضوا الشعر ؟ فهؤلاء الشعراء الامراء يرون في الحياة جانبين : جانبا يعرفه الانسان في الهم والتعب والكد وآخر ينال فيه بغيته من شهوات الدنيا ومغرياتها وهو كالغاية بالنسبة للاول ، ولننصت الى الشاعر الملك المعتضد بن عباد يعبر عن هذا المعنى بأوضح تعبير فيقول :

قسمت زماني بين كد وراحة
فللراي اسحار وللطيب آصال

فامسي على اللذات واللهو عاكفا
واضحي بساحة الرياسة اختال

وهذا ابو خالد هاشم بن عبد العزيز وزير محمد بن عبد الرحمان الاموي ملك الاندلس يريد ان يجمع بين صولة الرياسة ولذة الحياة المتنعمة

اهوى معانقة الملا
ح وشرب اكواس الطلى

ويسرني حسن الريا
ض وقد توشت بالحلى

واذوب من طرب اذا
ما الصبح جرد منصلا

واهيم في قود الجيو
ش ونيل اسباب العلا

واهز مرتاحا اذا
سرت المواضي في الطلا

قل للذي يبغي مكا
ني هكذا اولا فلا

وهذا المعتمد بن عباد يرى ان الحياة مهما طالت فهي مغتنم وان الهم لامبرر لوجوده :

علل فؤادك قد ابل عليل
واغنم حياتك فالبقاء قليل

لو ان عمرك الف عام كامل
ما كان حقا ان يقال طويل

اكذا يقود بك الاسى نحو الردى
والعود عود والشمول شمول

لايسبك الهم نفسك عنوة
والكاس سيف في يديك صقيل

بالعقل تزدحم الهموم على الحشا
فالعقل عندي ان تزول عقول

من شعراء المشرق نورد هذه الابيات لعبد الله ابن المعتزالتي تعرب عن الفكرة نفسها :

الا علاني انما العيش تعليل
وما لحياة بعدها ميتة طول

دعاني من الدنيا انل من نعيمها
فاني عنها بعد ذلك مشغول

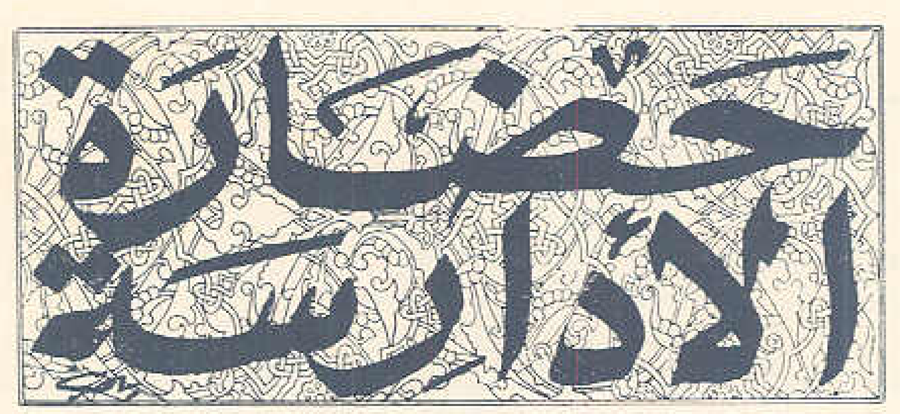
خذ لذة من ساعة مستعارة
فليس لتعويق الحوادث تمثيل

تلك امثلة لشعر الارستقراطية العربية تقدم لنا نمطا من تفكيرها وعقليتها ونظرتها الى الحياة وتبين لنا كيف ان تلك الارستقراطية كانت هي التي تقود ركب عشاق اللذة وتلهب حولها هذا الجو الراقص المرح السادر في نعمائه .

فلا عجب — اذن — اذا راينا شعرنا في الطبيعة ، تحت تاثير عوامل اجتماعية قوية ، ينحصر في نطاق ضيق بعض الشيء ، نطاق التمتع والتنعم ، ولا عجب اذا راينا تلك النزعة الاستمتاعية تظل غلابة في شعرنا العربي الى اوائل القرن العشرين ، بالرغم من تباعد الازمان وتصرف الاحداث وتعاقب الثورات والانقلابات ، ظل كما هو منذ العصر العباسي ، لم يدخل عليه تغيير الا في بعض الجزئيات ، ولذلك ، فان التفكير الاجتماعي نفسه لم يتغير وان النظرة الى الحياة بقيت على حالها ، مما جعل الشعراء يحافظون في اوائل هذا القرن على مفاهيم وتقاليد ترجع الى اكثر من الف سنة .

ولا عجب كذلك اذا راينا بعض الافاق الانسانية تظل مغلقة على شعرائنا فيما نظموه عن الطبيعة ، هذه الافاق سنجد لها اصداء كثيرة في الشعر الاوربي الذي ترعرع في ظروف اجتماعية اكثر رحابة ومرونة واوسع حرية ، كما سنقف على صور منها في شعرنا العربي المعاصر .

(يتبع)



للأستاذ ابراهيم حركات

اهمية أعمال الدولة :

من البديهي ان يكون لدولة الادارسة جوانب حسنة ، كما ان لها جوانب من الضعف ، وقد برهن الادارسة على شيء غير قليل من الحنكة في استغلال الفرص وخطب ود الفاطميين والامويين تارة اخرى اذ لم يكن ينفعهم امام ضغط القوات التي تصارعهم في الداخل والخارج ، الا ان يسلكوا سياسة المرونة ، وكان في دخول الادارسة الى المغرب ، انتصار للعربية لا يستهان به ، ولم يعرف عنهم تعصب جنسي كما ان سيرتهم في سياسة الملك على العموم ، كانت طيبة يسودها اللين والتاثر – الى حد كبير – بتعاليم الاسلام ، وما من شك في انهم عملوا على نشر الدين الحنيف في ربوع الصحراء ، ذلك لان صنهاجة الجنوب لم يعتنقوا الاسلام الا منذ القرن الثالث ، وهو القرن الذي نشط فيه الادارسة للعمل الاسلامي ، وخاصة في النصف الاول منه .

وقام الادارسة الى ذلك، بمجهود مشكور في ميدان العمران ، بتاسيس عدة مدن ، لاسيما فاس التي قدر لها ان تلعب فيما بعد ، اعظم دور في تاريخ المغرب السياسي والفكري ، وبدات فاس تستمد حضارتها في عهد الادارسة من القيروان وقرطبة ، لتصير بعد ذلك ، مركز اشعاع حضاري في المغرب العربي .

نظام الحكم والادارة :

من العسير ان يتوصل الباحث الى معلومات وافية عن نظام الحكم والادارة في عهد الادارسة غير انه يمكن ان يستنتج ، اعتمادا على المصادر القليلة جدا في هذا الباب ، ان الوزراء لم يكونوا في عهد الادارسة متعددين ، يعكس النظام الذي كان موجودا لدى الامويين في الاندلس ، حيث وزعوا مهام الدولة على بضعة وزراء .

وقد استعان الادارسة بالبربر والعرب على السواء في تسيير شؤون الدولة ، بيد ان ولاة الاقاليم اصبحوا يعينون من امراء العائلة المالكة ، منذ اعتلى محمد بن ادريس منصة الحكم، وبناء على رواية البكري فان مناطق النفوذ الادريسي اصبحت موزعة في عهد هذا الامير كما يلي :

1 – صنهاجة وغمارة لعمر .
2 – هوارة في ناحية وهران لداود .
3 – البصرة وطنجة وما حولهما للقاسم .
4 – ناحية بني ملال ليحيى .
5 – ازكورة وسلا لعيسى .
6 – وليلي وناحيتها لحمزة .
7 – لمطة (قرب كولمين) لعبد الله .

بينما احتفظ محمد بفاس والتسيير المركزي ، وعند قدوم العرب ايام ادريس الثاني ، عين منهم عددا كبيرا من الموظفين المركزيين والاقليميين من قضاة وجباة وغيرهم ، بل عين منهم وزيره وهو عمير بن مصعب الازدي ، كما استقضى بفاس عبد الله بن مالك الخزرجي . وقد اعتبر طيراس حكومة ادريس الثاني نواة لنظام المخزن ، وكان من محاسن هذا النظام اللامركزي أن اهتم كثير من الامراء الاقليميين بالعمارة في اقاليمهم ، الى جانب الدعاية لصالح الاسلام .

وكانت مداخيل الدولة من الزكوات والاعشار ، ولم يثقل كاهل السكان بضرائب اضافية .

اما فيما يرجع الى النقود ، فقد ضربت دراهم باسم ادريس الثاني سنة 181 و 183 ، والظاهر ان التعامل بالنقود المحلية ، كان يجري الى جانبه ، التعامل بنقود الخلافة العباسية وغيرها ، فقد عثر في وليلي على نقود باسم قيس بن يوسف ضربت عام تيف ومائة وثمانين — بل ان النقود قد بدأ ضربها في عهد ادريس الاول بتدغة سنة 174 ونقش في احد وجهيها : (لا اله الا الله — لا شريك له — باسم الله — ضرب هذا الدرهم بتدغة سنة 174) وفي الوجه الثاني صورة هلال ، ثم : (محمد رسول الله (وتحته) مما امر به ادريس بن عبد الله — جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا) .

وقال المرحوم عبد الرحمن بن زيدان انه : (راى هذه السكة ، ووزنها غرامان و 69 جزءا من الغرام) .

وقد كان المعتاد في الدولة الاسلامية ان يضرب بعض الامراء والقادة المحليون نقودا باسمهم الى جانب نقود الدولة ، فقد تأكد ان خالد بن الوليد ضرب نقودا في طبرية ايام عمر بن الخطاب ، ولم يشذ المغرب عن هذه الطريقة ، حيث ان داود بن ادريس ضرب باسمه نقودا بينما كان تابعا لاخيه محمد .

الجيش :

كان يجمع في البادية بين عناصر مختلفة من البربر المتطوعة المنتمين الى غياثة ومغيلة وبني يفرن وسدراتة واوربة وزواغة ، ثم اصبح في عهد ادريس الثاني منظما حيث انضم اليه 500 فارس من العرب الواردين من الاندلس وافريقية ، ومن المعلوم ان ادريس الثاني كان قد تلقى تدريبا عسكريا طويلا على يد راشد قبل ان يصبح ملكا ، الا ان جيش الادارسة كان في الغالب قليل العدد .

لغة الادارة :

كانت بدون شك ، اللغة العربية ، بدليل نقوش السكة وخطبة ادريس الثاني عند التنصيب ، والملاحظ ان المناطق التي استقر فيها الادارسة ، انتشرت فيها اللغة العربية انتشارا واسعا ، وما زلنا نلاحظ هذا الاثر العميق في الريف والسوس ، وهما من مناطق البربر الاصلية ، وحتى احتكاك البربر بالامويين الذين وضعوا المغرب تحت نفوذهم ازيد من ربع قرن ، كان له اثره في نشر العربية بين السكان .

مذهب الدولة :

دخل الاسلام الى المغرب في القرن الاول مبنيا على تعاليم الكتاب والسنة ، حتى اذا كان مطلع القرن الثاني وبدأ الخوارج يتسربون الى المغرب في صفوف الجيش الاسلامي ، وجدوا المغرب ميدانا خصبا لنشر مذاهبهم ، خصوصا والولاة الامويون لم يعودوا يطبقون تعاليم الكتاب والسنة تطبيقا حقيقيا ، ولما جاء الادارسة ، وجدوا الخوارج في سجلماسة وغيرها ، كما وجدوا البرغواطيين في تامسنا ، وقد دخل المذهب الحنفي الى المغرب عندما جاءت جيوش العباسيين الى شمالي افريقية ولكن هذا المذهب لم يكتب له الانتشار، لان الدولة لم تتبنه ، والظاهر ان مؤسسي الدولة الادريسية لم يأخذوا المسلمين بمذهب مالك ، خاصة وان وان مذهب مالك ، لم يصبح مذهبا حقيقيا الا بعد ان انتشر تلاميذه في بقاع المملكة الاسلامية وصاروا يتبسطون في كتابه واقواله بالشرح والتدقيق ، ولا يمكن ان تقول على اي حال بان مذهب مالك انتشر في المغرب بفضل الادارسة ، فاصحاب الفضل بحق ، هم المرابطون الذين عملوا على اقرار المذهب في المغرب كله ، ومهما يكن من شيء ، فان عهد الادارسة قد عرف مذاهب متعددة : الخارجية ، الشيعية ، المالكية، حسب الظروف المكانية والزمانية التي اكتنفت حياة هذه الدولة .

وعلى كل حال ، فان الادارسة كانوا اميل الى المذهب الشيعي منهم الى غيره ، حتى انهم كانوا ينتهزون اول فرصة تسنح لهم ، ليلفوا الخطبة باسم الامويين ، ويقروها باسم العبيديين ولا اظن ان هذا شيء يدعو الى الاستغراب ، فكل من الادارسة والفاطميين يشتركون في شرف النسب ، اذا سلمنا بان الفاطميين من سلالة النبي ، ثم ان الفاطميين يقرون عصمة الامام كشيء واجب ، وهذا مما يفيد الادارسة معنويا في اوساط البربر ، ولو انهم لم يتعصبوا للشيعة تعصب الفاطميين انفسهم ، هذا الى جانب اعتبارات سياسية جعلت الادارسة يميلون اليهم .

ومن المؤكد ان مذهب مالك قد دخل ايضا في عهد الادارسة بفضل الاندلسيين والمغاربة اما في الاندلس نفسها ، فقد ادخله زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون ، ثم تلميذه يحيى بن يحيى الليثي الذي درس بدوره على مالك ، وهو بربري من طنجة قوي نفوذه لدى بني امية في الاندلس اواخر القرن الثاني ، حيث اصبح تعيين القضاة بمشورته ، ومع ان الموطأ قد

روي بخمس عشرة رواية ، فانه لم يبق منها الا رواية محمد بن الحسن الشيباني ، ورواية يحيى الليثي وقد توفى سنة 234 هـ، واذا كان الامويون بفضل نفوذهم السياسي قد عملوا على اقرار مذهب مالك فى الاندلس، فان المغرب قد ساهم فى اقرار هذا المذهب به مجهودات فردية ، فقد قيل ان اول مغربي عمل على نشر مذهب مالك بالمغرب ابو ميمونة دراس بن اسماعيل الجراوي فى اوائل القرن الرابع ، وينسب اليه مسجد بفاس ، وقد توفى سنة 357 هـ، وعلى كل ، فان فقهاء المغرب الاوليين درسوا اما مباشرة على مالك ، او تلقوا علمهم عن فقهاء الاندلس والقيروان .

الحالة الاقتصادية : كانت الاحوال الاقتصادية تختلف باختلاف الظروف الطبيعية والسياسية ، اما فى بداية عهد الدولة فقد كانت الحالة الاقتصادية حسنة بفضل الغنائم التي حصل عليها الامراء فى حرب المشركين بالاضافة الى انتهاج سياسة تتفق ومبادىء الاسلام الاساسية ، غير انه من الصعب ان ناخذ نظرة مفصلة عن الحالة الاقتصادية لهذا العهد ، ونظرا لعدم عناية الدولة بالميدان الصحي فقد كانت الاوبئة تفتك بالسكان فتكا ذريعا ، الى جانب الجراد الذي كان ياتي على المزروعات ، فتتفاحش اثمان البضائع والمواد الغذائية ، ففي سنة 260 و 285 و344 انتشر الوباء بشكل خطير فى الاندلس والمغرب ، وفى سنة 260 ايضا حدثت مجاعة عظيمة مات من اجلها عدد كبير من السكان ، كما ان الطبيعة قست على المغرب ، فحطم البرد فى سنتي 339 و 342 الاشجار والثمار وقتل المواشي والطيور وفى سنة 379 استمرت الريح الشرقية ستة اشهر ، وتسببت عنها اوبئة فتاكة ، ولكن كانت تاتي ظروف يعم الرخاء فيها الى حد كبير، حتى كان الفلاحون يضطرون احيانا الى ترك الزرع فى سنابله لعدم وجود من يشتريه .

البناء والعمران : انشأ الادارسة بالمغرب مدنا عديدة من اهمها المدن التالية :

1) **فاس :** تقع قرب وادي فاس فى موقع يجعلها قريبة من الريف والمغرب الشرقي والمحيط الاطلسي ، وقد سبق اختطاط فاس الحالية ، مشروعان حاول ادريس الثاني انجازهما على التوالي، اولهما بناء المدينة عند سفح جبل زلغ حيث حطم السيل المباني والمزارع ، ثم بناؤها عند وادي سبو حيث لقيت نفس المصير .

وهكذا تم بناء المدينة للمرة الثالثة وبصفة نهائية ، بعد ان وقع اختيار عمير الازدي على مكانها الحالي الذي لم يكن سوى غيضة تكتنفها الاشجار والمزروعات ، ويقطن بها مجوس البربر ، وقد حصل الاتفاق على تنازلهم عن هذه الغيضة مقابل ستة الاف درهم ، وقد شك طيراس ومؤرخون آخرون ، فيما اذا كان بناء عدوتي فاس كلتيهما فى عهد ادريس الثاني ويرجعون بناء احداهما الى ادريس الاول .

وعلى اي ، تمت عمارة المدينة فى النصف الاول من القرن الثاني ، بواسطة الاسر الوافدة من الاندلس فى عهد الحكم الربضي ، وقد ظلت العدوتان مدة طويلة منفصلتين عن بعضهما باسوار ضخمة حتى حدث عدة مرات ان تنازلت احدى العدوتين امام هجمات الفاتحين بينما يتحصن سكان العدوة الاخرى فى مدينتهم لمدة شهور عديدة ، كما وقع فى عهد الادارسة المتأخرين وفى ايام الزناتيين .

وفى عهد ادريس الثاني ، وهو باني فاس على اكثر الروايات سنة 193 تم بناء اول جامع للخطبة وهو جامع الاشياخ ، كما بني مسجد الشرفاء ، وانشئت فنادق للتجار وحمامات ومرافق مختلفة خلال حكم الادارسة وادخلت اصلاحات كثيرة على فاس فى ايام الدولة المتعاقبة .

2) **البصرة :**

بنيت فى اواسط القرن الثالث الهجري ، واول من تولاها من الادارسة ابراهيم بن القاسم بن ادريس وتقع بين اصيلا والعرائش بعيدة عن البحر ، وكانت تعرف فى اول الامر ببصرة الكتان ، وقد تخربت فى وقت مبكر .

3) **جراوة :**

فى الشمال الشرقي من المغرب ، بناها ادريس ابن محمد بن سليمان او ولده عيسى الملقب بابي العيش ، وقد حدد ابن غازي بناءها فى عهد ابى العيش هذا سنة 237 وكانت تحتوي على جامع من خمس بلاطات ، وعلى خمسة حمامات ، وكان لها اربعة ابواب ويسكن حولها بنو يزناسن ، وزواغة وزناتة ، كما كان يقع بقربها قرى مدغرة على البحر المتوسط .

4) **قلعة حجر النسر :**

بنيت فى الجنوب الشرقي من البصرة سنة 317 على يد ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس ،

وفيها حوصر ادارسة الريف فى عهد موسى بن ابـي العافية ، وقد دافعوا عنها باستماتة ، ومن المرجح ان هذه القلعة تقع قريبا من مضارب قبيلة سوماتـة ، بدليل انقاضها التي لا تزال موجودة، اما اهم اثر تركه الادارسة على الاطلاق ، فهـو :

جامعـة القرويـيـن :

نسب تاسيسها الى فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري احد العرب المهاجرين من القيروان ، وقد بنت القرويين من المال الذي ورثته عن والدها ، وكـان الشروع فى البناء سنة 245 هـ ، اما مواد البناء نفسها فقد استخرجت من عين المكان ، وحتى الماء استنبط من بئر كانت هناك ، وكان المسجد يتالف من 4 اساكيب و12 بلاطة ، وبلغت مساحة المسجد 1248 م2 ثـم زيد فيه لاول مرة فى عهد عبد الناصر بواسطة الامير احمد الزياني عامله على فاس ، فصار على 13 اسكوبا و18 بلاطة ، بينمـا بلغت مسـاحتـه 4 الاف م2 ※

※ وفى عهد يوسف بن تاشفين اصبح يشتمل على 16 اسكوبا و21 بلاطة بينما بلغت مساحته 5846م مربع

وفى ايـام عبد الرحمن الناصر بنيت الصومعـة الحالية ، وتم الفراغ من بنائها سنة 345 على يد احمد ابن ابي بكر الزياني ، وكان بناؤها من الحجر المنحوت ، حتى شرع فى تبييضها منذ سنة 688 ، وفى ايام يوسف ابن عبد الحق بنيت حجرة المؤذنيـن .

وتعتبر القرويين اقدم جامعة فى العالم ، او من اقدم الجامعات على الاقل ، وكان المسؤول عن تسييرها قديما قاضي المدينة ، وكانت شؤون المسجد والتدريس تكون جزءا من اختصاصات القضاة ، وكانت المـواد الدراسية ترتبط بالدين واللغة العربية ، من فقه وتفسير وادب الخ .. وعرفت هذه الجامعة نشاطـا عظيما فى مختلف فروع المعرفة ايام الموحديـن والمرينيين ثـم الاشراف ، وعاشت القرويين منذ البداية على نظام الوقف الذي اتسعت موارده بعد المرابطين خاصة ، اي بعد ان سادت الروح الدينية والعلمية فى اوساط اهل فاس خاصـة ، وعلى العموم فقد كان العلماء متطوعيـن يلقون دروسهم بينما يشتغلون خارج القرويين بوظائف معينة كالعدالة والكتابة والقضاء ، وفى عهد المرينيـين بنيت مدارس كثيرة لايواء الطلاب ، وجهزت بخزائـن تعين الطلاب على تحصيل العلم كما اسست خزانـة عظيمة فى مسجد القرويين ايام بني مرين .

وفى ايام العلويين بدا ادخال النظام على القرويين بتقرير الكتب والمواد الدراسية ايام السلطان محمد بن عبد الله ، كما انشئت المطبعة الحجرية التي ساعدت كثيرا على نشر الكتب فى مختلف العلوم والفنون ، وفى ايام السلطان محمد بن عبد الرحمن .

اما فى العصر الحاضر ، فقد ادخل فى سنة 1931 اصلاح جديد على القرويين بتقسيم مراحل الدراسة فيها الى ابتدائي وثانوي ونهائي ، فى مقابل تجريدهـا من كل صبغة علمية ، فلم يعد يدرس بها سوى مـواد الفقه واللغة ، حتى اذا كانت سنة 1942 عين اول مدير للقرويين درس على الطريقة العصرية الى جانب الطريقة التقليدية ، وهو الاستاذ محمد الفاسي الذي وضـع نظاما دقيقا للامتحانات والمـواد والكتب المقررة ، وان ظل الاصلاح شكليـا لا جوهريا .

وفى سنة 1957 وضعت اللجة الملكية لاصـلاح التعليم برنامجا ينبني على توحيد مـواد الدراسـة ومناهجها فى مختلف معاهد المغرب ، ولكن لم يدخـل هذا التوحيد فى مرحلة التطبيق الا بعد انشاء المجلس الاعلى للتربيـة الوطنية الـذي خلف اللجنـة الملكيـة لاصلاح التعليم ، فاصبح التخصص يبدأ فى المرحلـة الثانية من السلك الثانـوي ، ومنـذ سنـة 1931 والصراع قائم بين المحافظيـن مـن علمـاء الدين ، والمسؤولين عن شؤون التعليم من متطرفين ومعتدلين ونقطة الخلاف تنحصر حول اعطاء اهمية اكثر للعلوم الدينيـة ، او مسايرة القرويين لكل مناهج التعليـم العصـري .

وقد تركت جميع الدول التي تعاقبت على عرش المغرب منذ الادارسة آثارا متعددة ، من بينها فى عهد المرابطين ، المنبر الرائع الذي صنع فى ايام المرابطيـن وباب الخلفاء الذي صنع فى نفس الفترة سنـة 531 هـ وبلغ طوله حوالي اربعة امتار ، ومن آثار الموحديـن الثريا العظيمة التي ابدع الصناع فى زخرفتها ، اما فى عهد بني مرين ، فقد صنعت ساعة مائية عظيمة ، كما بنيت الخلوة العليا ايام السلطان ابي فارس ، وفى عهد السعديـين بنيت القبة الغربية ذات السواري الثمان وفى ايام العلويين وقع ترميم شامل لمباني القرويين ، وبنيت مكاتب الادارة وقاعة كبيرة للمطالعة .

الحـركـة الفكريـة :

اذا كانت المصادر تتوفر نسبيا لمن يدرس تاريخ الادارسة السياسي ، فهي لا تكاد توجد بالنسبة لدارس الحركة الفكرية ، ولا يدل هذا مطلقا على انه لم يكن هناك علماء او ادباء ، انما الشيء الذي يلاحظه الباحث في هذا الباب ، ان الادارسة لم يكونوا ذوي ثروة تساعدهم على تشجيع الحركة العلمية والادبية الى حد يكثر معه الانتاج وتنتشر حركة التاليف ، حتى ان تاريخ الادارسة ، كتبه مؤرخون معظمهم متاخر جدا عن عصر الادارسة ، اما المعاصرون ، فليس الا قليل من المغرب الاقصى على ما يظهر ، ونظرة قصيرة على تاريخ الامويين بالاندلس ، والعبيديين بافريقيا ، تدلنا على مدى حركة الانتاج الواسعة نسبيا في كل من افريقيا والاندلس ، في نفس الوقت الذي كانت الحركة الفكرية بالمغرب ، مسايرة بدون شك للحركة الفكرية بالقطرين الشقيقين ، وقد حاولت عبثا ان اجد مؤلفا مغربيا مما بقي من عهد الادارسة ، فهل كانت الحركة الفكرية بالمغرب عقيمة الى هذا الحد ؟ بكل تأكيد لا .

غير انه كان من عادة الدول الاسلامية أن تغدق الاموال الطائلة على الادباء والعلماء ، ليتفرغ كثير منهم للانتاج ، مكتفيا في معيشته بما يدره عليه امراء الدولة وكبار المسؤولين فيها ، اما فقر الادارسة اشتغالهم بنشر الاسلام ، وبساطة حياتهم ، فلم تسمح لهم حتى بانشاء جيش قوي لمواجهة الطامعين فيهم فضلا عن القيام بعمل جبار في ميدان الحضارة .

واهم من كتب عن تاريخ الادارسة ابن ابي زرع فهو ينقل كثيرا عن البرنوسي المعاصر لهم ، غير ان كتاب البرنوصي يعتبر لحد الآن مفقودا ، كما كتب محمد بن يوسف الوراق عن المدن التي عرفت ازدهارا كبيرا في عهد الادارسة ، خصوصا سجلماسة ونكور وفاس ، وقد توفي هذا المؤرخ سنة 292 ، وكثيرا ما اعتمد عليه ابن عذاري في « البيان المغرب » .

وكانت حركة العلوم الدينية مزدهرة في عهد الادارسة ، حتى ان البرغواطيين كان من بينهم من فقهوا في علوم الدين وعاصرروا الادارسة ، وفيهم من تلقى علومه عن الادارسة كيونس الشذوني الاندلسي الاصل ، وكانت رحلته مع زيد بن سنان الزناتي الواصلي وبرغوت بن سعيد الصفري ، ومن عجيب المفارقات ان يجتمع اصحاب هذه المذاهب المختلفة في رحلة للدراسة معه ، او على الاصح ، ان يجتمعوا للدراسة ثم يرجعوا الى المغرب وقد تفرقت بهم المذاهب .

اما الحركة الادبية ، فقد عرفت نشاطا عظيما حفظت لنا منه المراجع نتفا قليلة متفرقة ولكنها تنبيء بحق عن الروح المذهبية والدينية التي كانت تسود الادب في ذلك العصر .

وقد عرف الادارسة معظم الابواب التقليدية ، غير ان الشعر السياسي كان طاغيا على الابواب الاخرى نظرا للصراع القائم بين مختلف النزعات آنئذ ، وكان بين امراء الادارسة عدد كبير من الادباء والشعراء ، ومنهم ادريس الثاني ، ومن شعره الابيات التالية التي يعاتب فيها بهلولا الخارجي الذي خرج عن بيعته ودعا لابراهيم بن الاغلب :

ابهلول قد شممت نفسك خطة
تبدلت منها عولة برشاد

اضلك ابراهيم من بعد داره
فاصبحت منقادا بغير قياد

كانك لم تسمع بكيد ابن اغلب
غدا آخذا بالسيف كل بلاد

ومن دون ما منتك نفسك خاليا
ومناك ابراهيم شوك قتاد

وقد حضر داود الجعفري المتوفى سنة 261 الى جانب ادريس الثاني في احدى غزواته مع الصفرية ، فلاحظ تقلبه على السرج وقلة استقراره ، فاجابه ادريس بقوله : (ذاك مني زمع الى القتال وصرامة فيه ، فلا تظنه رعبا) ثم تمثل ببيتين نسبا الى الامام علي وهما :

اليس ابونا هاشم شد ازره
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي مما يؤول من النصب

وينم ادب المولى ادريس الثاني عن حماسته الفياضة وعزة نفسه وثباته في الحرب ، ولدينا ابيات اخرى لابراهيم بن القاسم بن ادريس يعاتب فيها

اموي الاندلس على استكانتهم لاستبداد المنصور بن ابي عامر ، وان كان الادارسة يكرهون كلا من الفريقين، بيد ان تدخل المنصور كان اشد عليهم من تدخل ملوك بني امية .

فيما ارى عجبا لمن يتعجب
جلت مصيبتنا وضاق المذهب

ايكون حيا من امية واحد
ويسوس هذا الملك هذا الاحدب ؟

تمشي عساكرهم حوالي هودج
اعواده فيهن قرد اشهب

وقد اشترك البربر بطبيعة الحال فى الحركة الادبية ، وهكذا نرى سعيد بن هشام المصمودي يخاطب البرغواطيين فى وقعة بهت التي قتل فيها عدد كبير من البربر ، ونلاحظ فى هذه القصيدة الطويلة التي قدم لنا منها ابن عذارى بضعة ابيات ، تقليدا واضحا لمعلقة عمرو بن كلثوم وزنا وقافية ، بالاضافة الى تشابه المناسبتين ، بل نلاحظ اكثر من ذلك واهم ، تاثير القرآن فى اسلوب الشاعر الذي يقول :

قفي قبل التفرق فاخبرينا
وقولي واخبري خبرا مبينا

هموم برابر خسروا وضلوا
وخابوا لا سقوا ماء معينا

يقولون النبي ابو عفير
فاخزى الله ام الكاذبينا

الم تسمع ولم تر يوم بهت
على آثار خيلهم رنينا

رنين الباكيات بهم ثكالى
وعاوية ومسقطة جنينا

هناك يونس وبنو ابيه
يوالون البوار معظمينا

فقد ظهر الالم فى شعر الادارسة الذين احس الاولون بحنين الى مواطنهم الاصلية وفى الابيات التالية ياسف ادريس الثاني على فراق احبته ، ولا ادري من هم هؤلاء الاحبة الذين يعنيهم :

لو مد صبري بصبر الناس كلهم
لكل فى روعتي او ضل بي جزعي

بان الاحبة فاستبدلت بعدهم
هما مقيما وشملا غير مجتمع

كأنني حين يجري الهم ذكرهم
الى جوانح جسم دائم الهلع

ويقول شاعر آخر سكن بين البربر فى ورغة وسماهم اعاجم :

الا هل اتى اهل المدينة انني
بورغة بين الاعجمين غريب

اذا قلت شيئا ، قيل ماذا تريده
لهم بين احرار الوجوه قطوب

اما المدح ، فيجري على الطريقة التقليدية من وصف بالكرم والشجاعة وما الى ذلك بل يتجلى فيه التكسب احيانا بشكل يزري بقيمة الشاعر ، من ذلك قول بكر بن حماد فى احمد بن القاسم بن ادريس احد ولاة البصرة :

ان السماحة والمروءة والندى
جمعوا لاحمد من بني القاسم

واذا تفاخرت القبائل وانتمت
فافخر بفضل محمد وبفاطم

وبجعفر الطيار فى درج العلى
وعلي العضب الحسام الصارم

اني لمشتاق اليك وانما
يسمو العقاب اذا سما بقوادم

فابعث الـي بمركب اسمـو بـه
على ان اكـون عليـك اول قـــادم

واعلـم بانـك لـن تنـال محبـة
الا ببعـض ملابـــس ودراهـــم

ويلاحظ خلل واضح فى الشطر الثاني من البيت الاول .

واما فيما يخص الوصف ، فلا يمكن ان توخذ عنه نظرة كافية لقلة ما دون منه فى مصادر متفرقـة ، وفى البيتين التاليين ، يصف احمد بن فتح التاهري جمال نساء البصرة (المغربية) وقد بلغت بهذا الشاعر ان برع فى جمع اربعة اوصـاف لجمال المراة البصرية مع الدقة فى الوصف ، وذلك كله فى بيت واحـد :

مـا حـاز كل الحسـن الا قينـة
بصـريـة فى حمـرة وبيـــاض

الخمـر فى لحظاتهـا ، والـورد فى
وجناتهـا هيفـاء غيـر مفـاض

هذه نظرة موجزة جـدا عن الحضارة المغربية فى عهد الادارسة ، وهي ميدان بكر لم يتناوله بعد قلـم بالاستيفا ءوالدرس العميق لقلة المصادر مع الاسف .

احب أن يظـل السـر مكتـومـا

خرج الحجاج يوما للصيد وانفرد من حاشيته فى الصحـراء ، فلقيـه رجل وهو لا يعرف انه الامير فقال له الحجاج : ايها الاعرابي كيف اميركم ؟ قال : ظلوم غشوم ، فسأله : ولم لا تشكونه الى عبد الملك ، فاجـاب : لانـه اظلـم واغشـم .

وبعد قليل لحقت بالحجاج حاشيته فعرف الاعرابـي انه الحجـاج . فقال : السر الذي بيني وبينك احب ان يكون مكتوما ، فضحك منه الحجاج واعجبتـه بديهتـــه .



الحديث عن تاريخ الادب العربي عامة معقد وصعب ، وهو عن تاريخ الادب المغربي خاصة اشد تعقيدا واكثر صعوبة ، بل يحس الباحث فى صفحاته شعورين يكاد ان يكونا متناقضين ، فاما الاول فعسر الدرس وضناؤه ، واما الثاني فمتعته ولذته ، وهو مضن عسير لما يسود هذه الصفحات من غموض نتج عن عدم اعتناء السلف بالتاريخ وعده من قبل الخرافة، وعن اهمال الخلف لما بقى من تراث يندب حظه على رفوف المكتبات ، لا يزيده الاعراض غير نقص من قيمة نفائسه وذخائره . ثم هو ممتع لذيذ لما يساور دارسه من غبطة فى النفس ، ورضى فى الضمير ، لاشك انهما يخالجان كل من يكشف مجهولا او يصل الى شيء جديد يضيفه الى ما وقف عنده الفكر الانساني فى مختلف فروعه .

وبالرغم من ان مغرب ما قبل الاسلام لم يشهد قيام حضارة ثابتة قوية تزدهر فى احضانها حركات العلم والادب والفن ، وبالرغم من انه فى عصوره الاسلامية الاولى لم تكن له مشاركة فعالة فى غير العلوم الدينية دون فنون الادب الذي يكتفي فيه بالتقليد والمحاكاة ، والذي لم يكن مميزا بغير طابع الشرق والاندلس ، بالرغم من هذا وذاك لا يكاد الباحث يصل الى العصر الموحدي (514 ــ 668 هـ) حتى تنشر امامه صفحات عهد مشرق ينبض بالحياة والحركة فى شتى ميادين الحضارة والثقافة .

فقد اسس المهدي بن تومرت (485 ــ 524 هـ) دولة كبرى تضاهي عاصمتها فى مراكش مدينة السلام العباسية ، وتمتد رقعتها من المحيط الاطلسي حتى حدود مصر ، ومن الصحراء الكبرى حتى بلاد الاندلس . وكان هدفه ان يوحد البلاد الاسلامية تحت لوائه ، فتسمى بالخليفة ، وبعث انصاره ينشرون سرا دعوته فى اقاليم العباسيين والفاطميين ، ولم يكن مطمئنا لما هي عليه . وكان للخلفاء بعده كبير اهتمام بالدين وشؤونه لدرجة ان امروا بقتل شارب الخمر وتارك الصلاة غلوا منهم فى اقامة الحد . وساد عندهم مذهب الاشعرية والشيعة والظاهرية ، ونشرت فكرة المهدوية . ولعل عدم تقيدهم بما وقف عنده فقهاء المالكية ومحاولاتهم فى الاستنباط والاجتهاد يدلان على ما كان لهم من حب لحرية التفكير ، ظهر اثرها فى النهضة العلمية والادبية التي شهدها هذا العصر ، والتي قامت على اساس من المنطق والعقل ، فدرست الفلسفة فى المعاهد والمدارس ، ونوقشت مسائلها فى بلاط الخليفة ، ، وخاصة يوسف الذي كان يضم مجلسه ابن رشد وابن طفيل . ولا ادل على ازدهار هذا العلم من تلك الاسئلة التي وجهت الى علماء سبتة من طرف فريدريك الثاني ملك ايطالية ، والتي رد عليها الفيلسوف ابن سبعين فى اجوبة يضمها كتاب « المسائل الصقلية » .

وكان لابد للادب ان ينهض وتنفق سوقه ، فاعتنت به الدولة وشجعت اصحابه وزخرت اندية البلاط بالكتاب والشعراء ، وفتحت ابوابها للادباء الوافدين ، وعقد الخلفاء ــ وكان اكثرهم يتذوقون ويتعاطون القريض ــ مجالس كانت تحفل بالمناظرة والمساجلة ، بذلوا العطاء لروادها فى بذخ واسراف فكان لهما اثر كبير على تشجيع حركات العلم والادب. ففي « وفيات الاعيان » ان عبد المؤمن (495 ــ 558هـ) منح الشاعر التيفاسي الف دينار على بيت شعر واحد انشده اياه . وفى « نفح الطيب » ان يعقوبا »555 ــ

595 هـ) اعطى ابن منقذ رسول صلاح الدين اربعين الف دينار على قصيدة مدحه بها بلغت اربعين بيتا .

فى احضان هذه النهضة وبين اجوائها قضى ابن حبوس حياته منذ غضاضة شبابه وفورته الاولى بعد ان شهد احتضار دولة المرابطين (462 ـ 542) وما كان يطبعها من سيطرة فقهاء متزمتين تعصبوا لمذهب مالك ونبذوا ما سواه ، وحرموا المنطق والفلسفة ، وحالوا دون اي تفكير حر ، لدرجة ان سعوا فى احراق كتب الغزالي بمجرد وصولها .

وانه لمن المؤسف حقا ان نجهل الكثير عن هذا الشاعر الكبير الذي ذهب ضحية الاهمال ، فضاعت كل تفاصيل حياته وما صاحبها من شعر ، وضاعت معها اكثر الكتب التي تناولت اخباره وادبه بالبسط والتحليل .

ولعل صفوان بن ادريس هو اول من عرفنا به فى كتابه « زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر » ويشتمل على اشعار المغاربة والاندلسيين ممن عاصروا دولة الموحدين ، وبالرغم من انه ذكر كثيرا من شعره فانه لم يورد اخبارا عن الشاعر نفسه ، ويكاد يكون ما قاله خاليا من اي تعريف به .

واهم كتاب يحدثنا عن ابن حبوس وان فى سطور قليلة هو كتاب « الذيل والتكملة على الموصول والصلة » لابن عبد الملك المراكشي (المتوفى سنة 703 هـ) ومع انه ذاع وانتشر فى البلاد العربية الاخرى واعتمد عليه كثير من المؤرخين المشارقة ، فقد ضاع اكثره ، ولم تعد محفوظة غير اجزاء قليلة منه ومن الجزء الذي ترجم فيه المؤلف لشاعرنا توجد نسخة فى خزانة المرحوم عباس بن ابراهيم (ت 959 هـ) نقل عنها ترجمته فى كتابه « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » بما فيها من بياض وبتر يتخللان السطور .

كذلك ذكره عبد الواحد المراكشي (581 ـ 625 هـ) الذي لم يترك صغيرة وكبيرة عن عهد الموحدين الا سجلها فى كتابه « المعجب » كما ذكره ابو الخطاب ابن دحية (ت 633 هـ) فى كتابه « المطرب فى شعر اهل المغرب » الذي حققه وقام بطبعه الدكتور مصطفى عوض الكريم معتمدا على نسخة توجد فى المتحف البريطاني بلندن . وتحدث عنه من المعاصرين المستعرب بيرس فى مجلة (هسبيرس) من غير ان يعتمد على درس او تحليل ، كما كتب عنه الاستاذ محمد الفاسي مقالا قصيرا فى مجلة الثقافة المغربية لم يتعمق درس جوانب حياته وادبه .

ومترجمنا هو ابو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس بفتح الحاء وتخفيف ضم الباء . وهو غير محمد بن حيوس بالياء بدل الباء ، وكان من شعراء الشام . وقد لاحظ ابن خلكان عند ترجمته له ما عسى ان يقع من الخلط بينه وبين الشاعر المغربي فقال « وفى شعراء المغاربة ابن حيوس مثل الاول لكن بالباء الموحدة المخففة وانما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ورايت خلقا كثيرا يتوهمون ان المغربي يقال له ابن حيوس ايضا وهو غلط والصواب ما ذكرته . » وقد يلتبس اسمه كذلك مع ابن حنون بنونين اولاهما مخففة او مع ابن حيون بياء مشددة . اما بنو حنون فيمتون بصلة الى الاصل البربري ، ويعدون فى الاسر الفاسية العريقة فى النبل والعلم ، ومنهم الفقيه العدل يحيى بن حنون ، واما بنو حيون ويسكنون كذلك مدينة فاس فمن الاسر الاندلسية التي تسربت الى المغرب وانتشرت فى مدنه ، وابو عبد الله محمد بن حيون يعد فى الحفاظ الثقات من قدماء هذا البيت الذي يدل على عروبة ارومته لفظه الثقيل .

والذي يظهر من لقب الشاعر وشيوعه بين البربر انه لم يكن فى الاصل عربيا كما قد يتوهم من الخلط الذي بينه وبين شاعر الشام ، وانما كان بربريا من سكان المغرب الاصليين . ولكننا فى عصر تم فيه تعريب المغرب وطبعه بالطابع العربي ، وانطلقت الالسنة البربرية وقد حلت عقدتها تخوض ميادين الخطابة والنثر والشعر فى لغة عربية فصيحة وبليغة مما لا يجعل لاصل ابن حبوس اثرا ملموسا على شعره

وفى « الذيل والتكملة » ان حبوسا مولى بني ابى العافية الذين ملكوا المغرب الاقصى ايام بني امية الاندلسيين فمن بعدهم ، واصلهم من بني مقرول بن تسول احدى قبائل حومة تازا ، وكان موضع بني ابي العافية حاضرة سلطانهم الى ايام يوسف بن تاشفين (ت 500 هـ) فانتقض ملكهم وذهبت ايامهم .

وعلى غير ما ورد خطأ فى النسخة التي نشرت من « زاد المسافر » من انه « من نظر بجاية » فانه ولد بفاس سنة خمسمائة للهجرة ، بين دروبها الضيقة نشأ ،

وفي حلقات مساجدها درس . ولكننا لانعرف شيئا عن كيفية نشاته ونوع دراسته واسماء مدرسيه ، سوى ما حكى ابن عبد الملك من انه اخذ عن ابي بكر الابيض ، وكان من فحول الشعراء متقننا في علم الكلام واللغة والنحو . ومن يدري لعله درس بجامعة القرويين التي لاشك انها كانت في هذا العصر نموذجا للتعليم الذي كان يطغى عليه طابع الفقه والدين ، ولعله كان يتوق الى سواه ويتصل ببعض احرار الفكر وخاصة دعاة الموحدية الذين كانوا يعملون في الخفاء .

واكثر من هذا لا نستطيع ان نستنطق المصادر سوى انه سافر الى تلمسان فاقام بها قليلا ، ثم انتقل الى مراكش ، وكانت شهرته ذائعة بالرغم من انه لم يكن في غير اول الشباب فاتصل بالمرابطين وحظي عند امرائهم ، وخاصة عند علي بن يوسف بن تاشفين (ت 537 هـ) وفي (المعجب) « انه كان في دولة لمتونة مقدما في الشعراء حتى نقلت اليهم عنه حماقات فهرب الى الاندلس » .

والراجح انه لايمثل نوع هذه الحماقات غير فكره الحر الذي دفعه الى الثورة ضد الجمود المرابطي بصفة عامة ، وتحجر عقلية الفقهاء بصفة خاصة . وله قصيدة في الموضوع نرجح انه نظمها في هذه الفترة التي قضاها في مراكش والتي سبقت ظهور الموحدين يقول فيها :

الدين دين الله لم يعبأ بمبـ
ـتدع ولم يحفل بضلة ملحد

قالوا بنور العقل يدرك ما ورا
ء الغيب قلت قدي من الدعوى قد

بالشرع يدرك كل شيء غائب
والعقل ينكر كل ما لم يشهد

من لم يحط علما بغاية نفسه
وهي القريبة من له بالابعد

❋

اعداؤنا في ربنا احبابنا
جرحوا القلوب واقبلوا في العود

❋

ستنالهم منا الفداة قوارع
ان لم تفلهم غولها فكأن قد

وتصب فيهم سحبنا بصواعق
تلك التي جلبت منية اربد

❋

يلغى كتاب الله بين ظهورهم
وجميع مسنون النبي محمد

والقصيدة كما يرى ثورة صريحة ضد الفقهاء الذين تمسكوا بقشور الفروع ، وثورة في نفس الوقت ضد بعض فلاسفة العصر ممن كانوا لا يقولون بغير العقل . وهي في الواقع اثر من آثار الدعوة الموحدية يدعو فيها للرجوع الى الكتاب والسنة . والذي يتضح من ابياتها ان ابن حبوس كان وسطا في تفكيره ، يأخذ بالمنقول في غير جمود وفي غير معاداة للتاويل والاستنباط ، تضيء عقله نظرة فلسفية لا غلو فيها ولا مبالغة .

ولعل هذا كله جعله يميل الى التشاؤم في تفكيره على ما يظهر في قصيدته التي يقول فيها :

اعد لنابحيك عصا
واقضم ماضغيك حصا

وعامل بالخديعة من
لقيت وبادر الفرصا

وهز لمعتر سيفا
وهز لآخرين عصا

وسوء ظننا بكل اخ
يقاسمك الثنا حصصا

والواقع ان هذا التشاؤم ليس ناتجا عن كره للناس دائم عميق كما عند بشار الذي كان بطبيعته يكره الجنس البشري وكان يضيق صدره حتى باصدقائه واحب الناس اليه يتعمد اغاظتهم والاساءة اليهم حتى يتركوه ، ولا ناتجا عن دعوة الى التقشف والزهد في الدنيا وذم متاعبها والتقرب الى الله بالابتهالات والعمل الصالح كما عند ابي العتاهية ، ولا عن نقد للحياة الاجتماعية وما يشوبها من اكدار وآلام كما عند المتنبي ، ولا عن وصف دقيق للحياة وما يحفها من عذاب وشر ونفاق وفساد يهاجمها في نقد ساخر لاذع كما فعل ابو العلاء لم يكن شيء من هذا سببا في تشاؤم ابن حبوس ، وانما كان سببه كره موقت للناس ، وضيق صدر بمن حوله ، اعتراه في هذه

الفترة التي بدأ يضطرب فيها زمام اللمتونيين ، واخذت تتفشى بعض تعاليم الدعوة الموحدية التي كانت تنشر في تكتم وسر . ونخشى ان يكون ما ساقه في قصيدته موجها ضد اولئك الذين ابعدوه عن البلاط وحالوا بينه وبين الوصول اليه ، اما بالوشاية او غيرها ، في وقت كانوا يتمتعون بنعائمه ، ويعيشون في ظلاله .

كل هذا كان دافعا له الى الفرار بنفسه ومغادرة البلاد ، حتى لا يبطش به المرابطون ؛ وكانوا قساة غلاظ القلوب فهرب الى الاندلس حيث اتصل هنا ولا شك بدعاة للموحدية آخرين ، وعمل على نشر مبادئها في مجال اكثر حرية واتساعا .

ولا نعرف عن مقامه في الاندلس شيئا اكثر مما تفيدنا به هذه الحكاية التي كتبها بقلمه والتي رواها المراكشي في « المعجب » عن عبد الله ولد الشاعر حيث قراها عليه من خط ابيه : قال : « دخلت مدينة « شلب » من بلاد الاندلس ، ولي يوم دخلتها ثلاثة ايام لم اطعم فيها شيئا ، فسألت عمن يقصد اليه فيها ، فدلني بعض اهلها على رجل يعرف بابن الملح ، فعمدت الى بعض الوراقين فسألته سحاءة ودواة فأعطانيها ، فكتبت ابياتا امتدحه بها وقصدت داره ، فاذا هو في الدهليز ، فسلمت عليه فرحب بي ورد علي احسن رد، وتلقاني احسن لقاء وقال : احسبك غريبا ، قلت : نعم . فقال لي : من اي طبقات الناس انت ؟ فأخبرته اني من اهل الادب من الشعراء ، ثم انشدته الابيات التي قلت ، فوقعت منه احسن موقع ، فأدخلني الى منزله، وقدم الي الطعام ، وجعل يحدثني ، فما رايت احسن محاضرة منه ، فلما آن الانصراف ، خرج ثم عاد ، ومعه عبدان يحملان صندوقا حتى وضعه بين يدي ففتحته فأخرج منه سبعمائة دينار مرابطية فدفعها الي ، وقال : هذه لك ، ثم دفع الي صرة فيها اربعون مثقالا ، وقال هذه من عندي . فتعجبت من كلامه ، واشكل علي جدا ، وسألته من اين كانت هذه لي ! فقال لي : ساحدثك ، اني اوقفت ارضا من جملة ما لي للشعراء غلتها في كل سنة مائة دينار ، ومنذ سبع سنين لم ياتني احد لتوالي الفتن التي دهمت البلاد فاجتمع هذا المال حتى سيق لك ، واما هذه فمن حر مالي ، يعني الاربعين مثقالا . فدخلت عليه جائعا فقيرا وخرجت منه شبعان غنيا » .

الذي نستنتج من بين سطور هذه القطعة ان حالة الشاعر بالاندلس لم تكن تدعو الى الرضى والاطمئنان ، لدرجة ان مرت عليه ثلاثة ايام دون ان يتناول فيها طعاما . ولعل مقامه بها لم يستمر على هذا النوع من الحياة البائسة ، خاصة انه قضى فيها اكثر من عشرين سنة . ولا يعقل ان يكون قد امضى كل هذه المدة على نفس الحالة التي وصفها والتي كان عليها قبل ان يتصل بابن الملح . وتدل الحكاية في نفس الوقت على ركود السوق الادبية ايام المرابطين ، وعلى اهمال المغاربة لمن ينجبون من نوابغ وقبرهم لما يظهر في ابنائهم من مواهب وعبقريات ، في حين تدل على ما كان لاهل الاندلس من اهتمام بالغ برجال الفكر والادب . والقصيدتان اللتان قالهما في ذم الشعر والزمان يدلان في وضوح على مدى ما يقاسيه الاديب المغربي في حياته من مآسي وآلام . يقول في الاولى :

يا غراب الشعر لا طر ... ت وعليت الوقوعا
واذا استيقظ شهم ... قرم زدت هجوعا
هبك لا تقتنص عزا ... لم تقنصت الخضوعا
رمت ان ترقى سريعا ... فترديت صريعا
ربما اصطاد بغاث ... شبعا واصطدت جوعا
ولقد غال حبيبا ... منك ما راع صريعا (1)

ويقول في الثانية :

يعز علي النبل اني غدوت ... اكنى اديبا واسمى فقيرا
واني ثبت لكف الزمان ... يعرق عظمي عرقا مبيرا
وما ذاك اني هيابة ... اخاف الرحيل واشنا المسيرا
ولكن بحكم زمان غدا ... يحط الجياد ويسمى الحميرا

---

1) يقصد بحبيب ابا تمام صاحب الحماسة وبصريع صريع الغواني الشاعر المشهور

والقطعة الى جانب هذا مثال لنثر ابن حبوس ، بل هي كل ما بقي لنا منه واسلوبه فيها ، مرسل لا تعقيد فيه ولا اغراب .

وللاسف الشديد لم تنقل الينا الكتب التي بين ايدينا ولو بيت شعر واحد مما قاله طوال المدة التي قضاها في الاندلس .

وبالرغم من موافقة افكار ابن حبوس لمبادىء الموحدين ، وبالرغم من مشاركته لهم في نشر الدعوة السرية لها ، فانه لم يعد الى المغرب الا سنة اربعين وخمسمائة بعد ان تم فتح الاندلس على يد الخليفة الثاني عبد المومن ، وكان قد دانت له قبل ذلك بلاد المغرب الاقصى والاوسط مع ان انتصارات المهدي على المرابطين بدات اربعا وعشرين سنة قبل هذا التاريخ ، وهي المدة التي استغرقتها اقـ.ـة الشاعر بالاندلس . ولعله كان يخشى فشل الموحدين في اقامة الدولة ، ففضل ان يبقى بعيدا عن جو الفتن والحروب .

واذن فقد عاد الى المغرب ليصبح « شاعر الخلافة المهدية (1) » يصاحب الامير في اقامته ورحلته ، ويشهد معه الوقائع والحروب ويمدحه ويصف فتوحه وانتصاراته . وقد تكون قصيدته في فتح بجاية هي اول شعره بعد عودته وفيها يقول :

من القوم بالغرب تصغي الى
حديثهم اذن المشرق

بايديهم النار مشبوبة
فمهما تصب باطلا تحرق

يقودهم ملك اروع
تفرد بالسؤدد المطلق

الى الناصرية (2) سرنا معا
ولما تفتنا ولم تلحق

ولكنا في هذا الظرف وبعد العودة من فتح بجاية، نلاحظ ظهور شخصية ابى جعفر ابن عطية القضاعي الذي كان يشغل منصب الكتابة في الدولة المرابطية ، والذي اختفى بمجرد استيلاء الموحدين على مدينة مراكش ، وانضم مستترا الى فرقة الرماة المسيحيين الذين كانوا الى جانب بقية الجيش يحاربون احد الثوار الخارجين عن الدولة . والسبب في ظهوره انه بعد انتهاء المعركة ، وقع عليه اختيار الفرقة ليصوغ كتابا للخليفة عن هذا الانتصار . فما كان منه الا ان ابدع واجاد مما جعل الخليفة يعجب برسالته ويتوق لمقابلته ويعينه وزيرا . ويغلب على الظن ان علاقة ابى جعفر بشاعرنا لم تكن على ما يرام ، خاصة انه كان يعرف تمرده ايام المرابطين ، وقد يكون فكر في الانتقام منه ، ولكن ابن حبوس لم يترك له فرصة لذلك فمدحه بقصيدة يقول في اولها :

الا زار من ام الخشيف خيالها
ومن دونها البيداء يخفق آلها

وفي آخرها يقول :

وزير العلى عندي من القول فضلة
رويتها في مدحكم وارتجالها
وما كنت اخشى مدة الدهر ان ارى
تميد بي الدنيا وانتم جبالها

وسرعان ما افل نجم الوزير حين احضره الخليفة الى مراكش ، وكان في طريقه الى الاندلس ، وامر بحبسه وقتله لاسباب منها انه افشى سرا كان قد افضى به اليه . ولم يلبث عبد المومن بعد الحادث ان استدعى الشعراء وامرهم بهجو ابن عطية فلما انشدوه قال : « ذهب ابن عطية وذهب الادب معه » وللاسف الشديد لم يصلنا من هذا الشعر غير بيتين خاليين من كل جودة قالهما ابن حبوس هما :

اندلسي ليس من بربر
يختلس الملك من البربر
لا تسلم البربر ما شيدت
بالملك القيسي من مفخر

وبقي ابن حبوس محافظا على مركزه في البلاط لا ينتظر غير الفرصة تسنح ليمدح الخليفة ، وبالفعل تهيأت له في الندوة التي اقامها عبد المومن على ظهر جبل الفتح (3) والتي استدعى لها شعراء العدوتين ولم

---

1) نسبة الى المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية .
2) يقصد بجاية وتسمى الناصرية نسبة لمؤسسها ناصر الصنهاجي .
3) هو جبل طارق وقد سماه عبد المومن جبل الفتح احتفالا ببيعة اهل الاندلس .

تكن عادته ان يستدعيهم ، وانما كانوا يستأذنـون فيؤذن لهم . وفيها برز ابن حبوس وكان اول مـن انشد الخليفـة قـال :

بلـغ الزمـان بهديكـم مـا املا
وتعلمت ايـامـه ان تـعـدلا

وبحسبـه ان كـان شيئـا قابلا
وجـد الهدايـة صـورة فتشكـلا

وفيها يقول :

فلانتـم الحـق الـذي لا يمتـرى
فيـه وليـس بجائـز ان يجهـلا

ولانتـم سـر الالاه وامـركـم
مـلأ العوالـم مجمـلا ومفصـلا

الى آخر القصيدة التي نستكشف من بيـن استعاراتها وتشبيهاتها اسـاس المبادىء الموحـديـة ولم يكن الشاعر قد صرح به من قبـل .

وبينما الخليفة عائد من رحلته الى عاصمـة خلافته ، توقف عند مدينة سلا ، حيث عبر نهر ابـي رقراق ، وضربت له خيمة جلس يستعرض فيها فرق الجيوش ، فلم يلبث ان ذهل لكثرتها ودقة تنظيمها ، فخر ساجدا شكرا لله وقد بل الدمع لحيته ، فلـم يكن من ابن حبوس فى هذه اللحظة الا ان استوحـى من جلال الموقف هذه القصيدة التي انشدها امـام الخليفـة والتي يقول فى مطلعها :

الا ايهـذا البحـر جـاورك البحـر
وخيم فى ارجائـك النفع والضـر

وجاش على امواهك العقل والحجا
وفاض على اعطائك النهـي والامـر

وتذكرنا هذه الصورة بالبيت الذي انشده ابـن دراج القسطالي امام المنصور بن ابي عامر :

تحمـل منه البحر بحـرا من القنـا
يـروع بهـا امواجـه وبهـول

بل وتذكرنا بمدح النابغة للنعمان وتشبيهـه له بالفرات الذي ارتطمت امواجه على شاطئيه وقـد مدته الروافد فزادت فى فيضانه .

ويستمـر ابن حبوس فى مخاطبة الخليفة :

فانت خديم الشمس والبـدر عنوة
وتخدمه فى امره الشمس والبـدر

وهي صورة غريبة لم يكن منتظرا من الشاعر ان يستلهمها من مظهـر البحـر .

ونجده فى قطعة مدح اخرى يعبر فى صور متتابعة عما وصلت اليه فتوحه فيقول :

اميـر المؤمنيـن لقـد اضـاء الـ
ـزمان بنـور عدلـك واستنـارا

يسيـر اليكـم مـن نـاء عنكـم
يـدور اليكـم مـن حيث دارا

فمـن قـد فـر عنكـم مـن عـدو
فنحـوكـم اذا يبغـي الفـرارا

ولـو خوفتـم اعـلام رضـوى
لمـا سكنت ولا وجـدت قـرارا

ولسنا نعلم اذا كانت موجهة الى عبـد المومن او الى ابنه ابي يعقوب ، ولكن الذي لا شك فيه انه قالهـا فى اخريات ايامه . مما يجعلنا لا نستبعد انشادهـا لخليفة عبد المومن .

ولعل ءاخر ما انشأ الشاعر بيتان جميـلان لا شك انه يخاطب بهما ابا يعقوب وهما :

عصفت بدعوتـك الريـاح الهـوج
وسطـا بامـرك دابـل ووشيـج

وتقدمتـك الـى العـدو مهابـة
يشقـى بهـا فى سـده ياجـوج

وبين مراكش وفاس قضى شاعرنا آخر حياتـه برعاه الخليفة ويجزل له العطاء ، الى ان كانت نهايته سنة سبعين وخمسمائة . وقد حكى ابن دحية ــ وكان فى رحلة علمية للمغرب ــ انه قابله فى مراكش قبـل وفاته بست سنيـن ، ثم فى فاس حيث اضافـه بمنزله ، واهداه نسخة من ديوانه قدمها بدوره الـى الامير الكامل الايوبي وكان مؤدبه . وذكر ابن عبد الملك انه وقف من ديوانه على مجلد متوسط فيه ما يناهـز ستة الاف وخمسمائة بيت .

واذا كان لنــا ان نقول كلمة اخيــرة عن ابــن حبوس فهي انه كان شاعر فاس الاول ، وانه كان من فحول الشعراء ، وان لم يرق مرتبة الممتازين . وقد قارنه المراكشي بابن هانىء الذي كان معروفا بمتنبي المغرب حين قال : « وكانت طريقته في الشعــر علــى نحو طريقة محمد بن هانىء الاندلسـي في قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وإيثار التقعير الا ان محمد بن هانىء كان اجود منه طبعا واحلا مهيعا » .

وابن هانىء تلميذ للمتنبي من غيــر شــك او انكار ، يقلده في تصنعه للافكار ، وفي اسلوبه الضخم وتعبيره الجزل ، وفي تكلفه الحكم والامثال ، وفي تعلقه بالغريب والشــاذ ، وغلوه في المبالغــة . بل ونجــد في شعره ميلا كبيرا الى الالفاظ الغريبــة والقوافــــي الشــاذة ، وكأنه يقصد الى اثبات مهارتــه لدرجة ان جاء بعض شعره هزيل المعنى ، ضخــم الالفــاظ . وبالرغم من نفسه الطويل وشاعريته المتينة ، فانــه لم يقف على الطبيعة يصفها ويتغنى بجمالها، ولم يفسح المجال لعاطفته التي تكاد لا تظهر الا في حديثه عن الدين والشيعة الامامية ، في حين أن في شعر ابن حبــوس عاطفة حية تتأثــر بما حولها وتؤثر فيه ، نحس ونحن نقراه نعومة ولينا وسلاسة واسترسالا لا تصنع فيه ولا غرابة ، بل نحس موسيقى حلوة عذبة تصل الى اعماق القلب قبل ان تبلغ آفاق العقل ، ومن غيــر تكلف او اجهاد . والحق ان شعر ابن حبوس وان كنا نجد فيه جمالا وروعة بدلان على قريحة فياضة فهــو دون شعر ابن هانىء الذي يفيض عن عبقرية جياشــة وشخصيــة قوية وان في اطار التقليــد والمجــاراة . وخلو شعر ابن حبوس من فنون الزخرف والتصنيــع ليس الا مظهرا لطابع العصر عامة والفكر فيه خاصة . فقد تأثر الادب الموحدي بأدب العباسيين والاندلسيين والمرابطين، ولكنه لم يفقدشخصيته التيميزته بالبســاطة وشيوع الادب الديني فيه من دون ادب الخمر والغزل، ولو وصلنا من ابن حبوس شعر اكثر من هذه القصائد والمقطوعات التي اوردنــا من غير ان نطيل بذكر كــل ابياتها والتي هي كل ما ابقت عليه يد الاهمال ، لكانت نظرتنا اليه ادق مما رأينا . وعسى ان يعثر يوما على ديوانه ، وتتاح لنا فرصة دراسة عميقة مفصلة نسجل بها صفحة مشرقة للادب المغربي في هــذا العصر ، تضاف وكثير من مثيلاتها الى صفحات الادب العربــي الذي آن له أن يجمع شتات تراثه المتناثر هنا وهنالك.

مــن نعــم اللــه

قــال فيض بن اسحاق : كنت عند الفضيل بن عيــاض يومــا اذ دخل رجل وساله حاجة والح في السؤال ، فقلت للرجل : لاتؤذ الشيخ .

فقال لي الفضيــل : اسكت يافيض ، اما علمت ان حوائج الناس نعمــة الله علينا ؟ فحذار ان نمل النعم فتتحول نقما ، الا نحمد الله ، ان جعلنــا موضع من يسأل لا موضع من يسأل .

العلاقات الدبلوماسية المغربية

في عهد الدولة العلوية الشريفة

للاستاذ الملازم الاول

احمد احمد البسيري

- 2 -

وكما كان الشان مع دولة فرنسا كان كذلك مع انجلترا مع تشارل وجامس وجورج الاول ، هـؤلاء الملوك الثلاثة الذين عاصروا مولاي اسماعيل ، وانشاوا معه علاقات ديبلوماسية ترمي غالبا الى اطلاق سراح الاساري الانجليزيين الذين كانوا في قبضة يد السلطان، ولنتخذ من ذلك مثلا، اثناء حكم الملك جورج الاول من سنة (1718) الى سنة (1727) بعث سفارة خاصة الى ملك المغرب مهمتها التفاوض في قضية الاساري الانجليز الموجودين بالمغرب ، ومن اهم رجال هذه البعثة المؤرخ الشهير المستر (جون وندوس) الذي الف كتاب (رحلة الى مكناس محل اقامة امبراطور فاس والمغرب) .

وعلى الجملة فان هذه العلاقات تشهد بما توفر للملك ولممثليه في جميع الدول من الذكاء والصبر والمثابرة على العمل ، وتمسكهم العظيم بتقاليدهم الديبلوماسية الرفيعة ولا عجب في ذلك فهذا (جون افلن) الشهير بيومياته خلف لنا وصف الرسل الذين قدموا الى لندن للمفاوضة مع الملك تشارل فيقول « شاهدت حفلة استقبال لسفير مراكش وحاشيته ليست بكثيرة العدد ، وقد استقبل في بيت الضيافة بحضور صاحب الجلالة الملك والملكة فتقدم الى ان صار امام العرش دون ان يؤدي أي نوع من انواع الرسميات او يطاطىء راسه ، وشرع يتكلم واحد الانجليز المسلمين يترجم ما يقول ، وكانوا جميعا يرتدون الملابس المغربية ، وكان السفير جميل الصورة تبدو عليه الحكمة والدهاء ، وكانت هداياهم مكونة من السباع والنعام ورسالتهم حفظ السلام في طنجة » .

هذه لمحة وجيزة في شان العلاقات الديبلوماسية بين مولاي اسماعيل وملوك الدول الاسلامية والاروبية ، والدور الذي لعبه في صيانة التعاون القومي ، ورفع المغرب الى المستوى اللائق به ، فما زعزعته العراقيل ولا صدته الحوائل ، ولكن هذا الصرح العظيم ما لبث ان اخذ في التداعي والانهيار بعد وفاته .

وحدث ما لابد ان يحدث من سوء الحال في البلاد التي ذهبت مصالحها هدرا في سبيل مآرب الحاكمين « البخاريين » الذين اصبحوا يتصرفون في امور الدولة كيفما شاؤوا حتى انه حدث في فترة لا تتجاوز اثنين وثلاثين سنة بعد موت المولى اسماعيل ان قام هؤلاء الحكام بتولية وعزل اربعة عشر سلطانا حتى ان مولاي عبد الله تردد على العرش سبع مرات غير انه لم يكن خاضعا للبواخرة ولا لغيرهم فكان بينه وبينهم صراع عنيف ادى في الاخير الى تغلبه عليهم واضعافهم .

ويمكن القول بانه قد ترتب عن تدخل هؤلاء الحكام في المغرب احداث الفتن والقلاقل في جميع الانحاء ، وذهب ضحية هذه الفتن كثير من الرؤساء المخلصين ورجال الامة والادارة والحكم الذين كانوا يملكون الكفاءة الشخصية والمقدرة السياسية ، ولما جاء السلطان مولاي محمد بن عبد الله استطاع بشدته وقوته ان يقضي على البخاريين ، وان يمسك زمام الحكم كما كان في عهد المولى اسماعيل ، وان يحطم اصحاب المصالح والاغراض ممن ليست لهم الكفاءة للاستيلاء على مناصب الدولة ، وان يوجه عنايته

ملاحظة : نشر القسم الاول من هذا البحث في العدد الرابع من هذه السنة

الكبرى للمحتل الاجنبي فيحمل البرتغال على افراغ الجديدة ويحاول دون جدوى ان يخرج الاسبان من مليلية سنة 1784 ، ويتابع تطبيق هذه الخطة الحكيمة وذلك بابرام معاهدات واتفاقات مع كثير من الدول النصرانية مع انجلترا ، واسبانيا ، وامريكا ، وفرنسا ، والدانمارك ، وهولندا ، وايطاليا ، والبرتغال ، والسويد ويعد المغرب من اوائل الدول التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة ، هذا وان هذه الدول حصلت على امتيازات قضائية ما كان القانون الدولي يسمح بها في ذلك العهد ، وامتيازات تجارية ودينية وغيرها ، وكانت صلته مع آل عثمان صلة محكمة .

وقبل ان نتكلم عن علاقة المغرب مع كل دولة من هذه الدول يجب ان الفت النظر الى ان هناك اشياء يجب مراعاتها ، وهي ان كثيرا من الامم في هذا العهد كانت لاتتورع احيانا عن استخدام القوة كلما توترت العلاقات بين امة واخرى ، لذلك نرى انه من اجل حفظ السيادة المغربية ضد الهجومات الاجنبية والتدخل الاجنبي الى ترابه كان للمغرب اسطول يحميه من كل عدو يريد اغتصابه ، وبما ان المغرب كان يحتمل عليه الهجوم من جهة البحر فقد اعطى سيدي محمد الاهمية الكبرى لهذا الاسطول حتى اصبحت بعض الدول الاوربية تؤدي ضريبة سنوية لتضمن امن سفنها ، وكانت هذه الضريبة تخول لها حق الحماية من هجومات القراصنة الذين كانوا يشتغلون بالقرصنة .

ويحسن بنا ان نشير هنا الى ان جميع الدول عندما تنصب ممثليها في المغرب كان تصحب معه اموالا وهدايا ، وهذه الاموال والهدايا كانت تختلف بالنسبة لعظمة الدولة والاخطار التي تهددها والمصالح التجارية التي تسخرها كل واحدة منها في البحار .

وعلى كل حال فان الدولة في عهد مولاي محمد ابن عبد الله قد تغلغل نفوذها في البحر وامتطى صهوة الامواج ، ولا حاجة بنا في هذه الحالة الى سرد ما بلغته الدولة في هذا السبيل لان ذلك يخرج بنا عن الغاية التي نقصدها من هذا البحث ، فلندخل في الموضوع ولنبدا اولا بالكلام عن علاقة سيدي محمد بن عبد الله مع لويس الخامس عشر والسادس عشر الفرنسيين .

فالاول لم تبدا معه العلاقة المحكمة الا بعد واقعة العرائش حيث عقد معه الصلح والمهادنة على عشرين شرطا ، اما الثاني فكان امتدادا للاول ومما يزيد على ذلك هو عقد معاهدة اخرى سنة 1802 وبهاتين المعاهدتين تحكمت روابط المودة والصداقة بين الدولتين على يد سفراء عظام نذكر منهم على سبيل المثل : علي مرسيل والطاهر بنيس ، ومما يدل على تحسين العلائق يومئذ هو الكتاب الذي بعثه الملك لويز السادس عشر للسلطان يعلن فيه ازدياد مولود له .

وكانت بينه وبين دولة اسبانيا علائق متينة ايضا ، ويرجع اصلها يوم ان كتب السلطان مولاي محمد بن عبد الله الى ملك اسبانيا (كارلوس الثالث) يطلب منه اطلاق سراح الاساري المسلمين لما علم ما هم فيه من الشدة والعنف يقول في ذلك « ومن اعظم هذا كله هي اغفالكم عن البحث في اساري المسلمين حتى يتبين لكم العالم والجاهل بجهله ، فافعلوا مثل ما نفعل نحن باساراكم من الفرائلية لانكلفهم بخدمة ولا نخفر لهم ذمة ولا نحملهم ما لا يطيقون ولا نلزمهم ما لا عليه يقدرون » .

وبمجرد وصول هذا الكتاب الى كارلوس امر باطلاق سراح الاساري وطلب الصلح والمودة ، وكانت تدور المفاوضة بين الدولتين بواسطة السفير المشهور احمد الغزال .

وفي سنة 1780 عقدت معاهدة اخرى ترمي الى تركيز المودة والصداقة والعلائق الطيبة بين الدولتين قال شيني قنصل فرنسا لذلك العهد « ان الخلاف الذي وقع بين فرنسا وانجلترا غير الحالة السياسية باوربا فرات اسبانيا ان ذلك سيساعدها على تجديد العلائق مع المغرب » .

وفي سنة 1782 كتب ملك اسبانيا للسلطان محمد يطلب منه التوسط بينه وبين صاحب الجزائر وذلك في شان تفادي الاسرى .

وفي سنة 1793 عقدت ايضا مع اسبانيا معاهدة صلح من شروطها عقد صلح مع ملك نابولي الذي هو ولد ملك اسبانيا ، وقد ذكر ذلك السفير ابن عثمان في كتابه « الاكسير في فكاك الاسير » .

وفي عهد السلطان مولاي محمد ظهرت دولة جديدة الى عالم الوجود وهذه الدولة هي امريكا ، فبادر المغرب الى الاعتراف بها لاول وهلة مما ادى الى انشاء علاقات ديبلوماسية مع كل من جفرسون وبنجامين ، وفرانكلين ، وجون ادوماس ، هؤلاء الذين وقع معهم المغرب وثيقة الصداقة سنة 1787 وجددت سنة 1791 ثم سنة 1837 .

وثمة عامل آخر من الترابط المتين بينه وبين باقي الدول الاجنبية منه ما كان مع السويد والدانمارك والبرتغال ، ونابولي ، وانجلترا ودولة آل عثمان السادة القطاريف ففي سنة 1776 عقد الصلح مع السويد على ثلاثة وعشرين شرطا ، ومع (كريستان السابع) ملك الدانمارك على عشرين شرطا ومع دولة البرتغال على اثنين وعشرين شرطا .

ومع انجلترا ظلت ايضا الروابط موصولة دائما بين البلاطين منذ عهد البعوث التجارية والسياسية في عهد الملكة (اليزابيت) حتى اننا في هذا العهد نجد السلطان مولاي محمد يبني دارا بوادي مرتيل خصيصة لزوار الانجليز ، ومن ذلك السماح لهم بالوسق من موانيء المغرب مدة بدون اداء شيء من الضرائب .

ويمكن القول بان الصداقة والترابط الذي وقع بين المغرب وهذه الدول لم تبلغ الدرجة التي بلغتها دولة آل عثمان بدليل ان سلطان المغرب كان يدعو دائما يوم الجمعة لسلطان تركيا مصطفى الثالث ولاخيه بعده عبد الحميد ، وكان بينهما تحالف متين حتى ان كل واحدة منهما تدافع عن الاخرى ولو ادى ذلك الى الموت ، والجدير بالذكر ان المغرب لم يحسن علاقته مع دولة روسيا نظرا لجانب الدولة التركية التي كانت علاقتها معها متوترة .

ولقد تبودلت بين البلاطين التركي والمغربي هدايا نفيسة ، ورسل عظام اتصفوا بالعقل والذكاء ، ومن اشهر هؤلاء الرسل الحاج الخياط عديل الفاسي الذي ارسله سلطان المغرب الى مصطفى العثماني بهدية وبرسالة يهنئه فيها بالملك .

وكذلك السفيران الطاهر بناني الرباطي والطاهر ابن عبد السلام السلاوي اللذان ارسلهما بهدية عظمى يقول فيها صاحب كتاب (الاتحاف) « وفيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجواهر والياقوت ونفيس الاحجار ، وفيها اسياف محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الالوان ، وفيها حلي من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس » .

يقول بعض المؤرخين لما توصل بهذه الهدية ابتهج السلطان ابتهاجا كبيرا بهذه العناية الكبرى ، فراى من اللازم عليه مكافأته بهدية تماثلها .

وفي سنة 1780 ارسل سلطان المغرب السفير عبد الكريم راغون التطواني للتعزية فيما اصاب الاسطول العثماني من دولة روسيا ، واصحبه بهدية نفيسة .

ثم وجه بعد هذه السفارة عبد الكريم العوني بهدية اخرى وبكتاب في شأن اهل الجزائر كما ارسل بعد هذا كاتبه ابا القاسم الزياني سفيرا للاستانة بهدية عظيمة للسلطان عبد الحميد .

من هذا العرض الموجز يتضح لنا ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله اعطى عناية كبيرة في توثيق عرى الصداقة بينه وبين جميع الدول الاجنبية وخصوصا منها الاسلامية ، ولم يترك رحمه الله اي وسيلة الا استخدمها في هذا السبيل ، ولا طريقا الا سلكها حتى جعل من المغرب دولة قوية وراقية ومحترمة في نظر جميع الدول مما نرى ان ديبلوماسيته المجيدة كانت تسير في عهده على روح سالمة تحررية ، ولو ان جميع الملوك عملوا مثل ما عمله هذا السلطان لكان المغرب اليوم من اعظم دول العالم .

الا انه مع الاسف الشديد بعد موت هذا الملك توالت على المغرب احداث مختلفة وهذه الاحداث لم تكن داخلية فحسب وانما ساعد على تجسمها العامل الخارجي بصفة خطيرة ، فلقد جاء القرن التاسع عشر كله هدفا للاطماع ومنافسات الدول الاوربية ، وخصوصا انجلترا وفرنسا واسبانيا وايطاليا والمانيا ، هذه الدول التي ارادت ان تتدخل في شؤون البلاد بشكل اوسع من الناحية السياسية والاقتصادية ، وتتذرع لهذا التدخل باسم التجارة او الاصلاح او انشاء علاقات الى غير ذلك من الاسباب التي كانت تفضي الى التدخل العدائي في النهاية .

وقد تربع على عرش المملكة المغربية خلال هذه الفترة اربعة من الملوك هم :

سليمان بن محمد

عبد الرحمن بن هشام

محمد بن عبد الرحمن

الحسن بن محمد

هؤلاء الملوك الذين عملوا كل ما في استطاعتهم ليقفوا وقوف الابطال في وجه كل خطر يهددهم وينشئوا علاقات ومعاهدات ترمي الى ارجاع المغرب الى مكانه الدولي ، والى الحيلولة دون تسرب الدول الطامعة فيه كدولة فرنسا مثلا ، هذه الدولة التي كانت اشدهم خطرا ، واكثرهم علاقة منذ ان اصبحت جارة المغرب من ناحية الجزائر ، واوفرهم حظا وتوفيقا .

(يتبـــع)

مستقبل الصحافة

ترجمة الاستاذ ابراهيم الهواري

ما هو مستقبل الصحافة؟ اذا حاولنا الجواب عن هذا السؤال فاننا نحاول ايجاد حل لمختلف المشاكل التي ولدها تاريخ الصحيفة .

وان اول عامل يدفعنا الى الاعتقاد بمستقبل الصحافة هو تقدمها فى مختلف جهات العالم : ففي انجلترا 609 جريدة يومية ، اما السويد واللكسمبورغ والنرويج والبلجيك والدانمارك وسويسرا ففيها ما يربو على 300 كما ان الاعداد المطبوعة من هذه الجرائد قد تضاعف منذ سنة 1951 .

وفى امريكا تقدم استخراج العدد المطبوع فى كل من امريكا الشمالية والجنوبية والمكسيك بصفة خاصة ...

اما فى آسيا وافريقيا وبخاصة الدول الناشئة بها فان ظاهرة الميل للصحافة تبدو واضحة المعالم . ففي اليابان التي واكبت نفس التطور الصحافي فى امريكا الشمالية واوروبا الغربية وعلى الرغم من انها انقصت من عدد جرائدها اليومية من 186 سنة 1952 الى 179 سنة 1957 ، فان عدد النسخ المطبوعة بها قد ارتفع من 3 الى 4.500.000 اما فى الهند فالمطبوع من الجرائد قليل لكن عدد الجرائد فى ازدياد كي يصل الى ايدي السكان فى مختلف الجهات فيمحو الامية من جهة وينشر اللهجات المحلية التي طغت اللغة الانجليزية عليها من جهة ثانية ، ونفس ملاحظتنا على الهند تنطبق على الباكستان ، اما افغانستان والشرق الاوسط باجمعه فان التوسع الصحفي يرتبط فيها بالنهضة الوطنية لذلك فان النسخ المطبوعة فيها تنمو باطراد ففي كل من العراق وايران وسوريا ولبنان يطبع من 20 الى 40 جريدة يومية .

وينسحب ما قلناه على الشرق الاوسط على الدول الافريقية ، فالجرائد فيها تغزو حتى المناطق البعيدة الشديدة التخلف : ففي ساحل الذهب تطبع 75 000 نسخة يوميا و9 جرائد اسبوعية وفى مدغشقر 27 اسبوعية و7 يومية ، الا ان الملاحظ ان هذه الجرائد مكتوبة فى القالب باللهجات المحلية ، فالجرائد اليومية فيطانجنيقا مثلا والجرائد الاسبوعية فى اوغندة تطبع بثلاث لهجات محلية متباينة ، وفى اتحاد جنوب افريقيا حوالي 23 جريدة ما بين اسبوعية ونصف شهرية اغلبها باللهجات المحلية والقليل منها بالانجليزية

وفى عالمنا الحديث تواصل الصحافة تقدمها فى البلدان التي قطعت اشواطا فى الحضارة، اما فى الدول الناشئة النمو فهي تستعمل كاداة لمحاربة الجهل واذكاء الروح الوطنية المتحررة .. وان الدور الذي تلعبه الصحافة فى افريقيا واسيا اليوم ليذكرنا بدور الجرائد فى القرن التاسع عشر فى اوربا الوسطى ابان تاجج الحماس الوطني الذي قاد الى تحقيق الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية .

الراديو والتليفزيون

لكننا فى مجال التوسع الصحفي هذا نلاحظ ظاهرة محيرة لا نجد لها تفسيرا مقنعا ، هذه الظاهرة تتجلى فى بعض جزر المحيط الهادي اذ نجدها قد استغنت تماما عن الجرائد دون ان تحس اية ضرورة ملحة تدعو الى خلقها واكتفت فى هذا المضمار باعطاء نشرة اخبارية غالبا ما تكون رسمية ، كما نلاحظ ان الراديو والسينما فيها قد حلا محل الجريدة ففي جزر هبريد الجديدة Nouvelles Hébrides

لا توجد جريدة على الاطلاق بينما بها ثلاث دور للسينما، وفى جزر غينية الجديدة الاسترالية ثلاث نشرات اخبارية صغيرة واربع سينمات ، وهناك جزر فى فى المحيط الهادي تشذ عن هذه الظاهرة لكنها قليلة .

اما فى امريكا الشمالية فغزو الراديو والتليفزيون وزحزحتهما للجريدة يظهر اكثر ، الا ان فى افريقيا واسيا وان كان للراديو اثر بالغ فى نشر الاخبار والدعاية فان الحاجة الى الصحافة بقيت ملحة وضرورية .

ومهما يكن من المشكلة الناجمة عن علاقات الصحف ببقية وسائل الدعاية والاخبار التي تزاحمها فى العدد والنوع فان علينا ان نميز بين طبيعة البحث عن الحقائق وبسطها عند كل منها : فشاشة السينما رغم التحسينات والتطورات المتتالية التي لحقتها فانها لا تستطيع تعويض الجريدة ، ونفس الحكم يجري على الراديو وخاصة التليفزيون لانه فضلا عن توفره على امكانيات الراديو فانه يمتاز عليه باعطاء الصورة . . هذه الصورة التي يمكن تحسينها فى المستقبل القريب بالالوان وتوسيع الشاشة وتجميع الاشعة .

فوجود الراديو والتليفزيون اذن ليس عاملا هداما لقيمة الصحف بل انه كثيرا ما يدفعها الى التنافس المثمر لان الراديو والتليفزيون يخضعان للتسيير المباشر للحكومة .

الوكالات الوطنية

فى السنوات الاخيرة بدا التفريق بين حرية الاخبار وحرية الصحافة ، فالاولى تعنى بجمع الانباء بينما تنحصر مهمة الثانية في توزيعها على الناس ، ولقد كانت الحريتان مختلطتين فى القديم ثم انفصلتا فيما بعد .

وخطورة الاخبار تكمن فى ان وكالة الانباء اذا كانت غير امينة او ذات نفع خاص فانها تشوه الراي العام لتحقيق اغراضها الفردية كما كان الشان فى فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية . . ولمحاربة هذا الخطر المحتمل فى ترويج الانباء المضللة اهتدى الى انشاء وكالات وطنية او حكومية حيث الصالح العام فوق كل اعتبار ، وقد تأسست اول وكالة وطنية ابان الحرب العالمية الاولى ثم استؤنفت الجهود بين الحربين العظيمتين فانشئت لاول مرة وفى بلدان مختلفة وزارات الانباء .

وليس تأسيس كل من الوكالة الوطنية ووزارة الانباء الا محاولة للدفاع عن الرأي العام وحمايته من التسمم ، لكن الاخبار السيئة تتسرب احيانا فى شكل ماكر مموه وفى هذه الحالة لا نعتمد الا على امانة الصحفي وحدها .

وكلامنا هذا عن الصحفي وامانته يسلمنا الى السؤال التالي : الى اي مدى يمكن للصحفي ان يحتفظ بحريته فى الكتابة ؟ لان الصحفي غالبا ما ينزع الى تمثيل دور البطولة فيما يكتب متحدثا عن مغامراته القاسية فى استيقاء الانباء والمتاعب الكبرى التي عاناها ليفوز باخبار بعينها قبل غيره .

ولعل هذه الهالة من الافتعال المثير هي التي تسوق بعض الصحف الى الانحطاط بالكتابة الى الاهواء الرخيصة والمشاعر المبتذلة اثارة للغرائز وكسبا للقراء من المراهقين الحالمين ، ولئن سأل سائل: كيف نحد من حرية الصحفي او الصحيفة التي تعنى بالكتابة في مواضيع مثيرة اذا كانت هذه المواضيع هي السبب الاوحد فى رواجها ؟ فان جوابنا اذ ذاك سينحصر ببساطة فى القول بأن هذه الصحف تتنكر للدور الهام الذي هي مدعوة للقيام به فى عالمنا المعاصر الذي اصبحت فيه الصحف حاجة ضرورية . الا ان بعض الدول الاحتكارية تعدت هذا الاعتراض الذي ارتأيناه ولم تكتف بترك الصحف لضمائر مسيريها بل جنحت الى سن منهاج صارم موجه تنضوي تحته سائر الصحف ، وهو المنهاج المتبع فى روسيا ، لكن هذا التخطيط الملتزم الموحد وان امتاز بالحد من متاجرة الصحف والمجلات فهل يعصمنا من خطر التوجيه الاحتكاري نفسه ؟ ان دور الصحف فى الدولة الاحتكارية ينتقل من السعي وراء المصالح الخاصة الى الدفاع عن الحزب الواحد او الحكومة المسيطرة فيصبح من المستحيل انتقاد الحكومة او الحزب الحاكم مع ان التنبيه على اخطاء الحكومات من اوجب واجبات الصحافة فى الدول الديمقراطية .

القــراء والصحف

فما هي الحلول الموفقة لمشاكل الصحافة اذن ؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال يجدر بنا ان نحدد ما ينتظره الانسان المعاصر من الصحافة . هناك نوعان من الصحف : الصحف المهتمة بالراي والصحف اللاهية المسلية ، وقد عرفت صحف الراي وقتهـا الذهبي فى القرن التاسع عشر فى اوربا الغربية الا ان عصرنا الحديث حيث كثرت العناية بالراديـو والتليفزيون قد ساعد على ابعاد القاريء الجاد ؛ لان القراءة الخصبة لا تسمع ولا ترى فى الجهازين المذكورين .

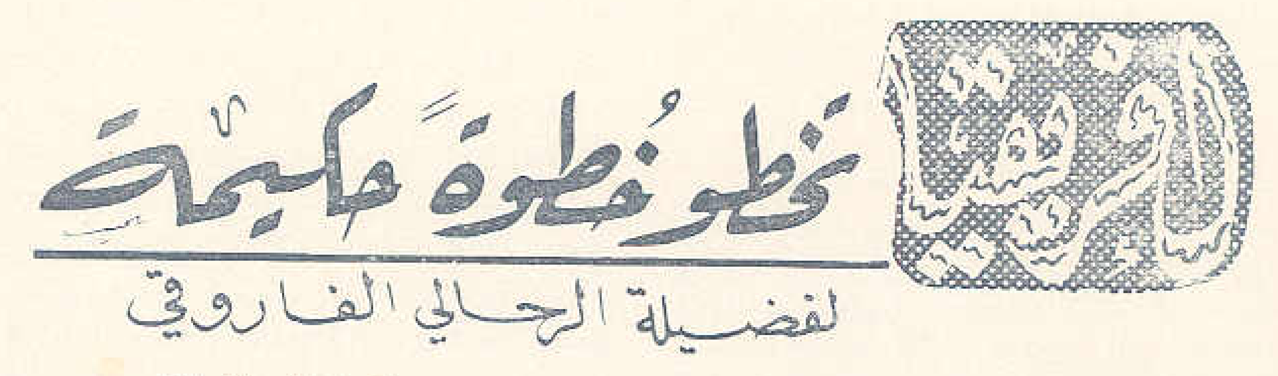
فاذا تخلينا مؤقتا عن الصحف وما ينتظره الانسان المعاصر منها فى توجيهه وتثقيفه والتفتنا الى القـراء فاننا لن نعفيهم من مسؤولية تشجيعهم لاتجاه غير لائق فى جريدة او صحيفة معينة .. الا اننا نستطيع خلق قراء ممتازي الاذواق اذا اعتنينا بتربية الجيل ، تلك التربية الضاربة الجذور التي لا تكفي الصحف وحدها لغرسها فى جبلتهم .. فتربية الذوق والحس النقدي هما العاملان اللذان يقدران على قيادة القاريء نحـو صحيفة او مجلة ذات مستوى محترم ونافع .

واخيرا ، فان ما قدمنـاه يكفي ليدفعنا الـى الاحساس بان مستقبل الصحافة يكمن فى تعاون الصحف والمجلات مع وسائل النشر الاخرى وفى مساعدة القراء ذوي التربية القويمة والصحفيين الامناء ؛ لان الصحافة كسائر الاكتشافات الانسانية الاخرى يمكن ان تتخـذ اداة للنفع او للضرر ، الا انها بتضافر القراء النيرين ورجال الصحافة المخلصيـن تستطيع ان تحتفـظ بمكانتها الهامة فى الدول الديمقراطية الحديثة .

هـ ــ كالفــي

كثرة الكـلام

قال احمد بن الطيب كنا مرة عند بعض اخواننا واعجبه من نفسه البيان ومنا حسن الاستماع حتى افرط فعرض لبعض من حضر ملل ، فقال : « اذا بارك الله فى الشيء لم يفن وقد جعل الله فى حديث اخينا البركة » .



نحو خطوة حكيمة

لفضيلة الرحالي الفاروقي

يعرف الجنوب الغربي من العالم القديم باسم « افريقيا » وهي احدى القارات التي يحدها بحران ومحيطان وهي التي حكمها الاستعمار الاوربي باسمائه المختلفة ، وداس كرامتها بجنوده المعتدية ، وبدل معالمها وغير اسماءها عمدا واستقر باوساطها واطرافها كرها ، وما زال يستقر بها في رعب وقلق غير انه في السنوات الاخيرة : مما بعد الحرب الاخيرة ، استيقظت من سباتها العميق ، واستجابت لوحي التحرر في تيار سريع مثل ما استجابت من قبلها امم اخرى في آسيا : فهبت تحارب عن حرية الوجود وكرامة الانسان لتلاقي مسؤوليتها في الحياة ، وتتخير النظام والمصير ، فتستريح من النفوذ الاجنبي الذي طال عليه الامد وكثر منه الشر ، بان جزاها اعتداء ووضع الحدود افتراء . وحولها الى مناطق استغلال ورواج واستيطان .

وظلت الشعوب معه في حوار مستمر، وكفاح قسي حتى اضطر الى التراجع امام تصلبها والحاحها وتكتلها ، فكان منها من استقل قديما او حديثا ، وكان منها من لا يزال يتطلع الى ذلك اليوم المشهود ويستميت في الكفاح من اجله .

ثم الذين واتتهم فرصة الاستقلال اخيرا ، منهم من حاز استقلاله كاملا ، ومنهم من انخدع وانساق مع الغير فكان نصيبه قليلا .

وبالرغم من استفاقة الشعوب ، وكفاحها الطويل، واستقلالها المتباين ، فما زال العدو الازرق يكابر في التسليم بحقها ويراوغ في استقلالها ، فتراه يضع الغوامض في طريقها ، ويكيد لها شتى المكايد .

ولقد تحدى الاساءة الى الانسانية ، وتعدى حد القساوة والانانية كما هو بارض الجزائر التي رات منه كل جريمة نكراء وعرفت فيه كل وسيلة لا تشرف الشعوب ولا تكسب العظمة . لان الجزائر ارادت ان تعيش في حدودها حرة طليقة تتنفس الصعداء .

وكما هو بارض الكونغو التي جعل منها ميدانا للتطاحن والتناحر ليفسد سير استقلالها ويلقي بها في احضان فتنة عمياء ، لان هذه البلاد رفضت ان يرتع ويلعب في بحبوحتها .

ونحن لا تهمنا مساوىء الاستعمار فقد ضجت منها الارض ، وانما يهمنا الحديث عن واجب الافارقة في هذه الساعة الفارقة بين عهد الكرامة وعهد المهانة ، وعن العلائق التاريخية والروابط المتينة التي تربط المجموعة الافريقية بعضها ببعض . وتثير الحماس في نفوس القادة والزعماء ان يضمنوا راحتها بتقاربهم وتفاهمهم وعلى الاخص في طور كفاحهم وفي فور استقلالهم ، حتى يقطعوا الطريق على العدو الرابض ويسدوا عليه الابواب والمنافذ .

ان افريقيا تنتظر من كل افريقي تضامنا وتآزرا في محنتها ، وتوحيدا للخطة في حركاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية لخلاصها من المتآمرين الذين لا يعجبهم ان تصبح قوية متماسكة تسير بارادتها وتتجه صوب مصالحها .

فان الاستعمار الذي الف استغلال المواعد والموارد ، كان يظن ان استقلالا تحت اشرافه ولو بشكل من اشكاله كاف لترضية هذه الشعوب وتصفيقها .

ولكنه عندما اكتشف نوايا الاحرار وادرك انهم لا يرغبون فى استقلال مشلول ومشكوك فيه جن جنونه وطاش عقله فراح يبيت المؤامرات ويشيك الطريق امام الناشئين فى الاستقلال ويبيد المتحمسين له، انتقاما منهم واحتقارا لشانهم .

فاما ان يتحرك رجالات افريقيا المتحررة وياخذوا على انفسهم تصميما لنجدتها ونصرتها ومساواة عناصرها، كي يتسنى لهذه القارة ان تكسب الاستقلال وما بعد الاستقلال ، فتحيا حياة كريمة وتساهم بفكرها وموادها فى السياسة العالمية والحضارة الانسانية ، وفى ازالة المسافة الموجودة بين السادات والعبيد ، وبين البيض والسود ، واما ان يستفحل الامر ويعظم الخطر ويستشري الفساد .

وكان من توفيق القدر ان وضحت معالم الطريق وتبددت الشكوك بمؤتمر الدار البيضاء الذي خطا خطوة حكيمة وضرب وجه الامر وعينه ، فعبر بصراحة عن ايمانه بحريتها الكاملة ووحدتها الشاملة . والعمل من اجل الوصول الى ذلك الهدف الاعز بعزم وحزم . وعسى ان تتلوه مؤتمرات تؤكده واعمال ايجابية تحققه لانه اما ان يكون الامر كذلك ، واما ان يتمركز الشبح المخيف المضطرب ، ويتربع فى وسط هذه القارة من جديد ليوقع العداوة والبغضاء بينها ويحول دون تقدمها ونشاطها ، بمزاولة النفوذ ، وممارسة الحقوق ممارسة كاملة .

وايقافا لخطر اللصوصية الاستعمارية ، والصهيونية المجرمة العابثة ، واحباطا لمساعي المذبذبين والمنافقين ، وجب ان يتطور الفكر الافريقي ويتحرر من القيود والرواسب حتى لا تصبح افريقيا مفرقة لاهلها منطوية على صدور غير بريئة قد تطوح بهذه القارة العظيمة فى سبيل الاطماع الكاذبة والاغراض السافلة .

ولسوف يكتب التاريخ ما شاء الله ان يكتب ، من وفاء بالعهد وولاء للحق واخلاص للعموم او ... وما دمنا نتحدث عن وضع افريقيا الحالي فلا يفوتنا القاء نظرة خفيفة على افريقيا الغربية الحديثة العهد بالاستقلال ، والتي تصلنا بها صلات وثيقة تقوم على اساس الروح الاسلامية الخالدة ، والنزعة الانسانية الخالصة فى عهود متقادمة ومتفاوتة اهمها ، عهد المرابطين والشرفاء السعديين .

كانت افريقيا السوداء التي يقع المغرب فى شمالها والمحيط الاطلسي فى غربها ــ قبل التغييرات السياسية والتقسيمات الاستعمارية ــ دولة اسلامية فى اكثرها واسعة فى ساحتها وثروتها ، يطلق عليها فى القديم اسم « غانا » . وتداول حكمها ملوك مسلمون كانوا على اتصال دائم بالعالم الاسلامي ولم تنقطع علاقتهم مع المغرب والمشرق اصلا . وقد اشتهر من بين هؤلاء الملوك « موسى كنكان » الذي كان يعمل بهمة وعزيمة على تدعيم الوحدة الافريقية الاسلامية ، وربط اجزائها بعضها ببعض وذلك فى اواخر القرن السادس عشر الميلادي .

وحينما بدت طلائع الاستعمار ، وبدات شياطينه تتسرب الى هذه الرقعة من العالم الافريقي فى القرن التاسع عشر ، تصدى الملوك المسلمون للدفاع عن دينهم ووطنهم ، وكان من ابرز الملوك الذين استماتوا فى معاركة الاستعمار الفرنسي « سامور ملك غينيا » . واستمرت محاربته له ما يزيد على ستة عشر عاما حتى احدقت به مؤامرات العدو من كل جهة ــ بعد ما بذل الاموال الطائلة واشترى الذمم الفارغة ، واستخدم القوة الكاسحة ، فتمكن منه حينئذ ، ونفاه الى جهة تبتعد ، وترك من ورائه ذكرا حسنا وتاريخا ابيض .

ومن ذلك الحين الذي سقطت فيه الممالك ، عمد الاستعمار الفرنسي الى استئصال الاسلام ومحو حضارته ، واهانة رجاله ، وقطع كل صلة تربطه بالعالم الاسلامي من الداخل والخارج ، وانتهى بعمله الاجرامي الى تشتيت الشمل ، وتقتيل الروح الاسلامية ، وتقسيم البلاد اقساما ــ كما هو شانه فى كل بلد كتب له الشقاء .

وكفى الاسلام فخرا ان ابناءه هم الذين كافحوا الاستعمار كفاحا شديدا فى كل مرحلة من مراحله . وان الروح الاسلامية تستعصي على اعدائها ، وتتعاظم فى اصحابها ، كلما جد الجد ونادى النفير ، وتحرك القلوب فى كل موطن من المواطن نحو التحرر والاستقلال ونحو الخير والكمال .

ولولا الاسلام الذي كان اقوى عامل فى اثارة القلوب وحصانة الشعوب ، لنجح الاستعمار فى مشاريع الادماج ، ومسخ الشخصيات ، وتبديل القوميات .

وان واجب الاخاء الانساني والاخاء الاسلامـــي يقتضي مضاعفة الجهود لمساعدة هذا الجزء الافريقي بالامكانيات المعنوية والادبية ، وذلك بارسال بعثات حية تنير السبيل بوحي المثاني ، وتمثل الاسلام باسمـــى المعاني ، فتنقذ المعرضين من ابناء هذه البلاد لافكـــار التضليل والشعوذة والالحـــاد .

فهناك جهل وغفلة لان طبيعة الاستعمار كانت لا تسمح بتنوير العقل وتطوير الفكر ، بل كانت تعمل على التجهيل والتفكير والافقار ، وهناك سند قوي مـــن العناصر المخلصة للاسلام وهم يشفقون ان تقع البلاد فى سيل جارف من الزيغ والفساد ، وهناك فـــراغ فى الافكار يتعين ان تملاه العقائد الصحيحة والافكـــار المستقيمة والامثلة الرائعة . واذا كان ثم شيء مذكور فهو من صنع المبشرين والمستعمرين المتمالئين .

فمن الضروري ــ والحالة هذه ــ الالتفات الـــى تلك البقاع التفاتة العطف والاخاء ، وتوثيق اواصـــر المودة بها عن طريق تربية النفس فى الاسلام ، وشرح نظره فى الحياة ، وبيان فضله على الانسان كل ذلـــك للمحافظة على الآثار الموروثة ، وللموازرة الوحـــدة المرغوبة التي لا تكون قوية سوية الا اذا ارتكزت علـــى قوة الايمان والعقل ، وقامت على الاحساس بالعـــزة والكرامة .

وكل ما صرفه المغرب من الجهود فى هذا السبيل لا يتعدى الجانب المادي . وما احراه ان يضيف الـــى ذلك عنايته بالتوجيه الديني والادبي ، واعتباره لذلك اعتبارا ضروريا حتى يكون للمغرب سابقة فى هـــذا المضمار ونفوذ معنوي مثل ما كان له من قبل والله ولي التوفيـــق .

اخرج الطبراني عن ابي هريرة قال :

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى ايام التشريق فقال : يقول الله عز وجل يوم القيامة ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فابيتم الان تقولوا : فلان بن فلان وفلان اكرم من فلان ، واني اليوم ارفع نسبي واضـــع نسبكم ، الا ان اوليائي المتقون .

ماوراء القضية الموريطانية

بقلم الاستاذ محمد البرحالي

- 2 -

على ان مجرد وجود التناقض في السياسة الفرنسية لا يعنينا كثيرا من الناحية النظرية والمبدئية، لان هذا التناقض يكاد يكون القاسم المشترك لجميع انواع السياسات التي تتبناها كافة القوى الاستعمارية في الغرب او غيره ، انما الذي يهم كثيرا هو ملاحظة الظاهرة الغريبة التي اشرنا اليها في مطلع المقال والتي تتمثل في حرص الحكومة الفرنسية على استدراج الامم المتحدة واغرائها باحتضان العهد الحالي في موريطانيا وتبني التناقضات الفرنسية التي يعبر عنها وجوده ، مع كل ما ينطوي عليه ذلك من نتائج سيئة وعواقب خطيرة لها تاثيرها على الاوضاع الدولية بصفة عامة ومصالح الشعوب الصغيرة بوجه خاص .

وهذا ما دعانا في صدر هذا الحديث الى التمييز بين انواع المؤامرات الدولية من هذا النوع ، واعتبار القصة التي حيكت فصولها في موريطانيا واقحمت على الامم المتحدة ـ من اكثر هذه المؤامرات اغراقا في الغرابة والشذوذ .

ولو ان هذا الاقحام كان قد استنفذ اغراضه بالفعل واصبحت الجمهورية الموريطانية تمتع بكرسي العضوية في المنظمة الاممية لكان من ذلك سبيل الى نشوء سوابق دولية خطيرة تضاعف من غرابة الوضع الناشيء عن قبول اسرائيل سابقا في حظيرة الامم المتحدة .

وفي حالة مثل هذه يغدو مبدا الانفصالات الدولية المدبرة مبدا مقبولا يتسم بالقدر الكافي من الشرعية والمعقولية ، وبذلك يصبح في امكان القوات الامبريالية العالمية ان تنطلق في فرض سياسات التجزئة والتقسيم على حساب الكيانات الدولية المستضعفة ، سيما ومقتضيات المنافسة العالمية في الميدان الاقتصادي والسياسي والعسكري تدعو الى انتهاج مثل هذه السبل وتحتم سلوكها .

والعالم العربي بالضبط يبدو من اكثر المناطق العالمية تعرضا للاخطار الناشئة عن مثل هذه الاتجاهات وتاريخ التوسع الغربي بالبلاد العربية حافل بالامثلة الكثيرة على ذلك ، بل ان البعض من هذه البلاد لا يزال يواجه الى اليوم اصداء كثير من المحاولات التآمرية الدولية التي لها خطورتها في هذا المقام ، فالعراق وسوريا تجابهان بالفعل وبصورة دائمة اصداء الدعوة الانفصالية الكردية ، والجزائر هي الاخرى عرضة لمشاريع تقسيمية خطيرة تستهدف العمل على نسف وحدتها الترابية الديمغرافية وذلك عن طريق الوسائل المؤدية الى اصطناع مناطق عربية خالصة ومناطق اخرى متفرنسة تضم الفرنسيين ومن يمكن اصطناعهم من الجزائريين المسلمين ، والذي يبدو واضحا ان العملية الانفصالية التي تمت في موريطانيا قد لا تكون في اساسها الا مرحلة تمهيد وتجربة لتنفيذ مشاريع تقسيمية جديدة من هذا النوع في نواح اخرى من الوطن العربي ، بل ان هناك من الارهاصات ما يوحي بان الوضع السياسي المقام في موريطانيا قد يصبح بالنتيجة لكل ذلك قاعدة ارتكاز واسعة لكثير من المصالح السياسية والاقتصادية التي تهم الغرب في افريقيا . وارتباط الجمهورية الموريطانية هكذا بمصالح الغرب الكبرى هو الذي ساهم في ضمان مساندة السياسة الغربية ـ على العموم ـ لاستقلال موريطانيا وساعد على توفير الاصوات اللازمة لقبول عضويتها في هيئة الامم المتحدة .

ملاحظة : نشر القسم الاول من هذه الدراسة في العدد الرابع من مجلة دعوة الحق ـ السنة الرابعة

وليس من شك في ان هذه المضوية كان من الممكن ان تصبح امرا مقضيا لو لم يقدم الاتحاد السوفياتي على اللجوء لحق النقض واقصاء هذه الدولة المفتعلة عن حظيرة الهيئات الدولية الكبرى وتحديد النطاق الدولي بذلك حولها تحديدا ضيقا وخانقا .

وعلينا الان بعد هذا ان نتساءل : ماذا كان سيتم عليه لو احجم الوفد السوفياتي في مجلس الامن عن اتخاذ هذه البادرة الصارمة ؟ ليس من الضروري — على ما اعتقد — ان نوغل — اكثر مما فعلنا — في استقصاء مختلف النتائج السياسية والدولية التي قد تترتب عن ذلك ، غير انه يبقى علينا ان نتذكر — في هذا المجال — ان طبيعة الموقف السوفياتي من عموم القضية الموريطانية والعناصر التي تساهم في تحديد هذا الموقف وتوجيهه لم تنطلق في الواقع الا عن معطيات سياسية ودولية موقتة ليس هناك ما يؤكد استقرارها وثباتها . وقد كان من حسن التوفيق لنا ان استفدنا من هذه المعطيات استفادة تامة ومناسبة ، بيد انه يبقى علينا — مع ذلك — ان نتوفر في المستقبل على رصيد كاف من الوسائل الدولية الناجعة لمجابهة احتمالات قد تواجهنا على الصعيد الدولي في موضوع المشكلة الموريطانية على العموم .

اننا نتوفر الان بالفعل على مساندة القسم الاكبر من دول العالم العربي وعلى تايد كثير من الشعوب الصديقة التي لم تتوان مطلقا في تفهم مشروعية القضية التي ندافع عنها واتصال هذه القضية بصميم كياننا القومي ومصالحنا الذاتية الحيوية . وقد عرفت هذه الدول والحكومات كيف تعبر لنا عن مساندتها المطلقة في جلسات الامم المتحدة وخلال المناقشات العلنية التي جرت اثناء هذه الجلسات في موضوع موريطانيا ، وكان لهذه المساندة بالاضافة الى جهود المغرب الخاصة تاثير بالغ في تنوير الراي العام العالمي وتبصيره بالحقائق الثابتة التي تنبني عليها وجهة النظر المغربية .

وواضح ان مجموع البوادر التي تبناها المغرب في هذا الصدد بالتعاون مع الاصدقاء والاشقاء قد افضت بالفعل الى نتائج طيبة لها قيمتها وتاثيرها على مستقبل القضية الموريطانية وحاضرها ، الا ان استمرار وجود الكيان المفتعل القائم في الاقليم الموريطاني المغربي وطبيعة البرامج التوسعية الفرنسية الجديدة في افريقيا وسعة نطاق الدسائس الدولية الناشئة عن تشابك المصالح الاستعمارية وارتباطها بسياسات الاحلاف القائمة ، كل هذا من شانه ان يجعل من تعاون هؤلاء الاصدقاء والاشقاء معنا ضرورة حيوية اكثر الحاحا في المستقبل منها في اي وقت مضى ذلك ان الوضع المصطنع في موريطانيا لا يمكن ان يبقى موضوعا في نطاقه الضيق كمشكلة مغربية محدودة بحدود المظاهر السياسية والترابية التي تميز وجودها ان هذا الوضع يجب ان يوضع — بحق — في اطاره الحقيقي الكامل على اساس انه يكون مظهر مشكلة عربية افريقية مشتركة وباعتبار ما لهذه المشكلة من تاثير على مستقبل الاوضاع التحررية بالقارة السوداء والوطن العربي واذا كان من الضروري وضع القضية الموريطانية في هذا الاطار ، وتوسيع نطاق المفهوم السياسي الذي تعبر عنه فمرجع ذلك الى ان هذه القضية ترتبط متين الارتباط بمجموع الاوضاع التوسعية الجديدة في افريقيا ويقوم وجودها كمظهر على زيادة تركز هذه الاوضاع وتطورها تطورا خطيرا ومقلقا . ومظهر هذا التطور تبديه تسلسلات الحوادث بالقارة الافريقية غداة نشوب الثورة بالجزائر واعلان استقلال المغرب وعندما بدا يتاكد ان الاماني القومية للشعوب السوداء قد اخذت تتبلور في حركات جماهيرية منظمة ذات نزوع ثوري تحرري واضح ، وكان من الطبيعي الا يتم هذا التطور التاريخي الافريقي دون ان يصحبه تطور آخر في اساليب التركز الاستعماري بالقارة سواء في الميدان السياسي او الاقتصادي او غيره ، وقد تعددت مظاهر هذا التطور الاستعماري فبدات تتخذ صورا مختلفة متعددة تبدو تارة في شكل سوق مشتركة وتتجسم تارة اخرى في اشكال غير هذه الا انها متحدة في الهدف والنتيجة ، فمنذ عدة سنوات مثلا تمكنت الاحتكارات الغربية الكبرى من اكتشاف طرق جديدة لمد شبكات استغلالاتها الواسعة عبر القارة السوداء ، فكان من ذلك مشروع السوق الاوروبية المشتركة ذلك المشروع الذي يقتضي — في جملة ما يقتضيه — ربط مناطق الصحراء الكبرى باقتصاديات الغرب وتعبئة الثروات الهائلة التي تزخر بها هذه المناطق وذلك في سبيل تعزيز جانب الطاقة الاقتصادية الغربية وتركيز هيمنتها على مقدرات الاقطار الافريقية الفنية واستدراج شعوب المغرب العربي خاصة بما في ذلك موريطانيا الى الانصهار انصهارا مطلقا في بوتقة التوسع الاحتكاري الغربي في اشكاله التعاونية الجديدة .

ومنذ سنوات كذلك والارهاصات تتوالى بامكانية امتداد اجهزة الدفاع الغربي وتغلغلها في قلب القارة عن طريق القواعد الصاروخية والذرية المقامة في شرق افريقيا ومن الممكن اقامة الكثير منها ايضا في مناطق

الصحراء وموريطانيا ، حيث يصبح من المحتمل اقحام هذه المناطق في نظام التعبئة العسكرية الدولية وحيث يجوز على هذا الاساس تحويلها الى قطاع هام من القطاعات الستراتيجية المستقلة في ميادين التجارب والاستعدادات الحربية ذات النطاق العالمي الواسع . وقد استطاعت القيادة الفرنسية خلال السنة الماضية ان تحيل بالفعل بعض نواحي الصحراء المغربية الى ميدان تجريبي لثلاث تفجيرات نووية متتالية ، ومن المتوقع جدا ان يزداد نطاق هذه التجارب اتساعا واستفحالا وذلك بعد اقرار البرلمان الفرنسي للمشاريع الذرية الفرنسية وتحويلها الى قوة ضرب رادعة ، وليس من المؤكد اطلاقا ان يستمر الستراتيجيون الفرنسيون في الابقاء على الصحراء كمجرد ميدان للعمليات التجريبية المختلفة ذات الاساس الذري أو الهيدروجيني ، ان هناك من الاسباب والعوامل ما يمكن ان يحفز فرنسا على توسيع آفاق عملياتها النووية في الصحراء (موريطانيا مثلا) والاقدام على تحويل هذه المنطقة الى ميدان رئيسي لاطلاق الصواريخ ذات الرؤوس النووية ، وذلك في نطاق التعاون مع جهاز الدفاع الغربي الذي قد يجرا المسؤولون فيه على اقامة قواعد معينة لانواع من الصواريخ الحربية العابرة للقارات تتخذ مناطق لها بعض مناطق الصحراء والاقطار التي الى الجنوب . ويتفق كل هذا مع المعطيات الستراتيجية الدفاعية في الغرب حيث يعتبر نصف القارة الشمالي بمثابة موئل طبيعي لعمليات الدفاع بل واستعدادات الهجوم ، وذلك في حالة ما اذا تم للسوفييت اكتساح غربي اوربا واصبحت القوات الحمراء على عتبة الاطلسي وبمواجهة القارة الامريكية .

وعلى الرغم مما يبدو حاليا من استقلال المشاريع الذرية الفرنسية وتميزها عن مناهج التسلح النووي المقبل لمنظمة الحلف الاطلسي (مع امكانية تعاونها في هذا الميدان مع بعض الاقطار التابعة للحلف) فانه ليس هناك ما يؤكد حتمية استمرار هذا الاستقلال وعدم ارتباط فرنسا ايضا بمشاريع ذرية ذات نطاق دولي واسع قد تجعل من بعض مناطق الصحراء ودول الجامعة موطىء قدم لاستعدادات المسؤولين عنها وتاهباتهم ، وذلك مصدر الخطورة على مجموع القارة الافريقية التي لا مناص من اقحام الاجزاء الخاضعة منها للنفوذ الفرنسي في المستقبل (بما في ذلك موريطانيا) ضمن نطاق التخطيطات الدفاعية العامة التي يتبناها الجهاز العسكري التابع لسياسة الدفاع الغربي .

وفي غمار هذا الجو الذري الغربي الذي اخذ يجتاح القارة الافريقية بصورة عارية مكشوفة وامام اتساع نطاق الاستثمارات البترولية بصحراء الجزائر وتركز القواعد الذرية البريطانية في شرقي افريقيا — في خضم هذه التطورات الضخمة التي تتوالى على مسرح الاحداث بافريقيا وفي دوامة التعقيدات الخطيرة التي اصبحت عليها الحرب الجزائرية واستفحال حركات التوسع الاقتصادي الاسرائيلي في قلب افريقيا يبرز مشروع استقلال موريطانيا وانشاء كيان دولي متميز في هذا الاقليم المغربي يتمثل في جمهورية اسلامية موريطانية تحتضنها الى جانب فرنسا دول الجامعة الفرنسية وتنعم بامكانيات الاندماج العضوي الشامل في نطاق هذه الجامعة وضمن الاطار الفرنسي المحدد لها

ولم يكن من العسير مطلقا استبانة خيوط التآمر الدولي في بروز هذا المشروع بعد ان تاكدت الوشائج المتينة التي تصله بالدول الافريقية الاعضاء في الجامعة الفرنسية وبعد ان غدا من الواضح ان الجمهورية الموريطانية مهياة للقيام بدور طلائعي في غربي افريقيا ضد الامكانيات الثورية التحررية التي تزخر بها هذه المنطقة . وقد تاكد مدلول هذه الظواهر السياسية الخطيرة — بصفة خاصة — غداة انعقاد مؤتمر (ابيدجان) واجتماع « برازافيل » حيث بدا التكتل الدولي بين فرنسا وموريطانيا ودول المجموعة يتخذ شكلا تهديديا خطيرا قد تصبح له آثار بعيدة المدى على مستقبل القارة الافريقية كلها ، وقد كان مؤتمر الدار البيضاء مظهرا ايجابيا لرد الفعل العربي الافريقي على هذه التحديات الاستعمارية ، ولم يكن امام القيادات الافريقية العربية المتحررة في المؤتمر الا ان تعبر عن شعورها بمدى فعالية التضامن الافريقي العربي ومقدار ما يمكن ان يساهم به في تحديد نتائج هذه التحديات وتقليص ظلال خطورتها تقليصا باتا وحاسما ، ولاشك ان اصدقاءنا من الافارقة واشقاءنا العرب سيعرفون كيف يستخلصون النتائج الكافية من دراسة هذه الاحوال الملتوية التي خلقها النشاط التوسعي الجديد بافريقيا والتي يرتبط بها الوضع القائم في موريطانيا ارتباطا قويا ومتينا . وان استقراء الاوضاع الافريقية على هذا الاساس يساعد في الواقع على تكوين كثير من الاستنتاجات الهامة التي لها اعتبارها في الموضوع ؛ ولعل من ابرز هذه الاستنتاجات ما يمكن ان نجمله في النقط الاتية :

1 — ان البادرة الفرنسية التي تم بمقتضاها عزل موريطانيا عن المغرب لا يجوز ان تعتبر كمظهر استمرار بسيط للاوضاع التقسيمية التي اجبرت عليها هذه البلاد نتيجة اعلان الحماية الفرنسية والاسبانية ، بل يجب النظر الى هذه البادرة باعتبار انها جزء لا يتجزا من المناهج الامبريالية الجديدة التي يتبناها الغرب حاليا والتي تستهدف اعادة تركيز الكيانات السياسية فى افريقيا الحديثة على شكل معين يضمن وقوعها باستمرار تحت مناطق النفوذ ويؤمن ولاءها للمصالح الغربية الدائمة فى القارة . وفى اطار هذه السياسة تم بالفعل تدمير بعض الكيانات السياسية التي لم يكن وجودها مما يستجيب لهذه المقتضيات الاستعمارية الملحة، وهكذا امكن تهييء الجو الضروري لنسف قواعد الاتحاد بين السودان والسنغال ضمن اتحاد « مالي » واقيمت العراقيل — من جانب آخر — فى طريق انجاز مشاريع الاتحاد القديمة بين جمهورتي غانا وغينيا ، كما تم ايضا فصل الاقليم الموريطاني عن المغرب ، وحصل على هذا النحو تفكيك كثير من الكيانات الاتحادية والقومية الاخرى فى القارة نتيجة لما كان يسود اتجاهاتها من حوافز تحررية استقلالية وبالنظر لما بدا على بعضها من اعتناق لمبادىء الحياد الايجابي والتضامن الافريقي ومناواة للتغلغل الاستعماري والتسلل الاجنبي .

2 — يرتبط الوضع الحالي فى موريطانيا بمشاريع الاستغلال المعدني التي تهيمن عليها بعض الاوساط الراسمالية الاحتكارية فى الغرب والتي تهدف الى امتصاص الثروات الطبيعية التي يزخر بها باطن الارض الموريطانية .

وهذا النوع من الارتباط بين المناورات السياسية ومشاريع التوسع الاستغلالي لا يختص بالحالة الماثلة فى القضية الموريطانية وحدها ، بل انه يمتد على ابعاد اوسع من ذلك ويعكس منهاجا منظما تندرج فى نطاقه كثير من العمليات الواسعة الجديدة التي يشنها الغرب على القارة الافريقية كالوضع القائم فى « كاطانكا » حيث يرتبط النظام الانفصالي الذي يتبناه البلجيكيون بالاستغلالات المعدنية الكبيرة فى هذا الاقليم الكونغولي الهام ، وكذلك الشان فى الجزائر حيث يزداد التصلب الفرنسي شدة وضراوة بقدر ما تزداد اهمية المخزونات البترولية التي تنطوي عليها صحراء الجزائر ، ويبدو الوضع الحالي فى موريطانيا — بكل ما ينطوي عليه من سلابيات وتعقدات بمثابة امتداد للحالة المعقدة التي خلقها النشاط التوسعي الاجنبي فى هذين القطرين الافريقيين ، ولا شك ان استمرار هذا الوضع وامتداد الآثار الخطيرة الناشئة عنه من شانه ان يؤدي الى حدوث مضاعفات استعمارية اخرى تحمل فى طواياها كثيرا من التحديات القوية لمبدا الوحدة الافريقية والتضامن العربي الافريقي وتمهد السبيل لمناورات دولية جديدة تستهدف بعض الكيانات القومية الحالية بافريقيا وتتهدد وجودها ووحدتها فى الصميم .

3 — تبرهن الظواهر العامة التي تتميز بها الاوضاع الاستعمارية الجديدة بافريقيا ان قيام اوضاع انفصالية فى كاطانغا وموريطانيا وغيرها قد غدا ضرورة اكيدة لمواجهة التيارات الحيادية والتحررية التي اخذت تكتسح مختلف انحاء القارة السوداء ، ويرى الاستراتيجيون الغربيون فى هذا الصدد ان طبيعة التطور الحاصل فى افريقيا يحتم اقامة حواجز دولية متينة لتحديد النطاق حول البلاد التي تحتضن هذه التيارات وعزلها على الصعيد الافريقي والدولي عزلا محكما وناجزا .

ولا جرم ان من بين العوامل الكثيرة التي كانت اساسا لاستقلال موريطانيا : الرغبة فى تحديد النطاق الدولي حول جمهورية مالي — بعد ان تم تفكيك اتحادها مع السنغال — واحكام اطار العزلة حواليها ووضعها فى مركز دقيق يسهل وسائل التآمر عليها مثل ما هو عليه الامر بالنسبة لجمهورية غينيا وغيرها .

وقد تم بالفعل نتيجة لاستقلال موريطانيا — انجاز بعض جوانب التكتيك الاستعماري الذي يستهدف الضغط على حكومة « مالي » وتصفية النظام السياسي التحرري الذي يسود هذا القطر ، وذلك بتعاون وثيق بين حكومة « نواكشوط » وحكومات فولتا العليا والسنغال وساحل العاج وغيرها من اعضاء الجامعة الفرنسية ؛ وليس هناك من مجال للقول بان عمليات التطويق هذه تستهدف خاصة جمهورية مالي دون غيرها لان طبيعة الصراع القائم فى افريقيا والاهداف التي تحدد وجهته وميدانه لا تحد — فى الواقع — بحدود قطر معين او حكومة مخصوصة وانما تستهدف اكثر من ذلك العمل على تحديد تيار البعث التحرري فى مجموع القارة وعزل كافة المواقع التي ينطلق عنها هذا التيار كالقطر المغربي وجمهورية غينيا وغيرهما ، وقد كان من الطبيعي ان يقوم الوضع الحالي فى موريطانيا ليضطلع بدوره الهام فى هذا المضمار .

هذه بعض العوامل الدولية الكبرى التي تكمن وراء قصة الجمهورية الاسلامية الموريطانية ، واستقراء هذه العوامل وتمحيص نتائجها يقود ولا ريب الى ابراز حقيقة اساسية نود نحن هنا في المغرب ان تصبح ماثلة في ذهن كافة الشعوب والحكومات بالعالم العربي والقارة الافريقية ، تلك هي المشكلة الموريطانية — كما اكدناها من قبل — ليست في واقعها وباعتبار الظروف الدولية المحيطة بها والنتائج الخطيرة المتأصلة عنها — مجرد مشكلة مغربية محدودة بحدود الاعتبارات القومية الخاصة بشعب المغرب ، انها — في الواقع — مشكلة عربية افريقية مشتركة لانها ترتبط وثيق الارتباط بالمعضلة الاستعمارية العامة في الوطن العربي والافريقي ، ولان استمرار وجودها واستمرارها يشكل مظهر انكسار لقوى الوحدة والتضامن في هذا الوطن ويعرض انبعاث شعوبه لتحديات استعمارية جديدة .

واذا صح ان تقدر جوانب القضية الموريطانية على هذا الاساس فانه سيكون من الميسور جدا تقييم الاهداف التي يجب ان تقود الدول المتحررة في افريقيا والعالم العربي الى مساندة وجهة نظر المغرب في هذه القضية وشد ازره في الكفاح من اجلها ، وهذا التقييم للاهداف يعني كذلك بحق تقييم البواعث التي تتحكم في تحديد هذه الاهداف ، والبواعث التي يجب ان تقود الدول العربية والافريقية المساندة لنا في موضوع موريطانيا — لا ينبغي ان يكون مصدرها مجرد الشعور العاطفي الذي توحيه مشاعر الاخوة العربية والتضامن الافريقي وغيره ، بل يجب ان تكون صادرة عن وعي حقيقي وعميق لواقع المشكلة القائمة في موريطانيا وانعكاسات هذه المشكلة على صعيد الحياة السياسية عند شعوب افريقيا والعالم العربي وامكانيات تاثيرها على مصالح واحوال هذه الشعوب، يجب ان تكون هذه البواعث مدعاة الى مساندة المغرب ومؤازرته بصورة تتكافأ مع ما تحرص عليه الجماهير في العالم العربي وافريقيا من مكافحة للتفجيرات الذرية ومقاومة لمختلف الدسائس السياسية والاقتصادية الدولية ومناوأة للتوسع والاستعمار ، وهذا هو مفهوم المبدا الذي نود التأكيد عليه مرة اخرى والذي يعبر عن وجهة النظر القائلة بوجوب اعتبار المشكلة الموريطانية مشكلة عربية افريقية صرفة يرتبط حلها بصميم القضايا التي تهم الشعوب المناضلة في العالم العربي وافريقيا ، واعتبار هذا المبدا يجب ان يؤدي بالقيادات السياسية العربية والافريقية الى احتضان مناهج اكثر فعالية وجدوى في مساندة كفاحنا من اجل القضية الموريطانية ، ويقتضي ذلك — بحق — الشعور بقسط اوفر من الحماس لعدالة الكفاح الذي يخوضه المغرب في موريطانيا ، كما يعني ذلك ايضا ضرورة الاهتمام اكثر من اي وقت مضى بتطورات القضية على الصعيد الافريقي والعالمي وتبني وسائل نضالية في غمار المعركة القائمة حولها على الصعيد الدولي ، واذا كان مفهوم التضامن الافريقي العربي يقتضي كل هذه الاشياء فانه يستوجب من الدول العربية بصورة خاصة الاضطلاع بمسؤولياتها في هذا الميدان ، وتعبئة المزيد من الجهود السياسية والدولية المتكافئة وخطورة الوضع المتمثل في تجزئة المغرب وفصم وحدة ترابه لان المشاكل العربية متحدة في الاصول والنتائج ، وليس هناك ما يوجب اقامة الفواصل والفروق بينها .

في الميدان الدعائي :

— الصحافة العربية التي يبدو انها لا تعير الموضوع ما يفرضه الواجب من العناية والاهتمام .

— الاذاعات العربية وخاصة الاذاعات الخارجية الموجهة لاقطار آسيا وافريقيا ، وللجمهورية العربية المتحدة امكانيات واسعة في هذا المضمار .

— السفارات والمفوضيات العربية التي يمكنها ان تساهم بنصيب طيب في ميدان الدعاية لهذه القضية واظهار الاوساط السياسية والثقافية والنقابية الدولية على مختلف الحقائق التي ترتبط بها .

في الميدان الدولي :

تنظيم الكفاح السياسي الدولي من اجل موريطانيا وذلك بصورة تضمن القدرة على مواجهة المناورات الاستعمارية في هذا الشأن وتؤمن وسائل التغلب على هذه المناورات بصورة فعالة واكيدة .

في الميدان العربي :

اشراك الجماهير العربية في الاهتمام بحقائق المشكلة القائمة في موريطانيا ، وتوفير الاسس الضرورية ليصبح وعي الشعب العربي لها وقدرته على استيعاب مضمونها القومي العربي اكثر قوة وعمقا واصالة ومن الوسائل لذلك : المحاضرات العامة ، الندوات الشعبية، الاشرطة السينمائية وغيرها .

على ان وضع القضية في هـذا الاطار الدولـي الواسع لا يعني مطلقا اغفال الدور الرئيسي الذي يجب ان يضطلع به المترب في مجال الكفاح من اجلها .

ان المشاكل القومية الدقيقة التي يضعها امامنا وجود المشكلة الموريطانية تقتضينا العمل على زيادة تعميق وعي الجماهير وتاصيل ادراكها لهذه المشكلة وهذا التعميق للوعي الجماهيري سيبقى ضروريـا لامكان العمل على تركيـز الصفـة القومية للقضيـة الموريطانية وبلورة المفاهيم السياسية التي تعبر عنهـا هذه القضية وترتبط بها ارتباطا اساسيا وجوهريا .

ان من اولى النتائج لوجود الوعي الحقيقي للمشكلة توافر القدرة على مواجهة المسؤوليات المتاصلة عنهـا وهذه القدرة لها مقومات عدة ، بعضها مادي وبعضها معنوي ، ولكن الجانب المعنوي منها اكثر قيمة واشد الحاحا وتأثيرا ، ويتمثل في مظاهر اساسية كقـوة التصميم وشدة العزم وايجابية التفكيـر ومثاليـة الوسائل والغايات كما يتمثل ايضا في الروح المبدعـة التي تقود الى تخطيط الحل الناجح للمشكل وتعيـن على مواجهة الاعباء الناشئة عنه بعقلية نضاليـة تنظيمية هادفـة (1) .

هذه بعض العناصـر الضرورية التـي يجب ان تساهم في تكوين صفة الشعب المناضل من اجل الحق ، المكافح في سبيل اقرار الانصاف والعدل ، والواعـي للمثل النبيلة التي تهديه طريق هذا الكفاح والنضـال وتقوده في النهاية الى باحـة الظفر والنصر .

ان المعركة القائمة من اجل موريطانيا هـي ذات واجهات متعددة تمتد علـى ابعاد مترامية في داخـل الوطن المجزا وفي خارجه ولا شك ان ضمـان النجـاح في هذه المعركة يتوقف بالذات على مقدار توافـر هذه المقومات المعنوية في جماهيـر شعبنا واستعداد هذه الجماهير للقيام بدور نضالي طلائعي في سبيل الدفاع عن محتوياتها الرفيعة وبذلك فقط تكـون مؤهليـن لمواجهة التحديات الخطيرة التي تهدد وحدتنا القومية والتي يمثلها الوضع الانفصـالي في الجزء الجنوبي مـن وطننا الغالـي .

وممـا لا ريب فيه ان مستـوى وعـي الشعب للمشكلة الموريطانية قد بدا يتخذ مظهرا يوحي بكثيـر من الامل ويوذن فعلا بان امكانياتنا النضـالية القومية لا تزال ـ كما كانت ـ في مستوى التحديات الدوليـة التي تواجهنا باستمرار سواء في عهد ما قبل الاستقلال او في عهد الاستقلال نفسه .

وكل ما يهم الآن ان ندرك جيدا مدى قيمـة هذه الامكانيات وان نعرف كيف نجعل منها قوة انطلاق كبرى نحو القضاء على مظاهر التجزئة والانفصـال والانهزامية في ربوع وطننا الكبير بما في ذلك موريطانيا وعلى ذلك فقط يتوقف مصيـر معركتنـا الكبـرى في الاقليم الموريطاني ويتوقف ايضا مستقبلنا كامـة ذات كيان موحد واستقلال ناجز وسيادة كاملة .

---

1) لا يتسع المجال لايراد التفاصيل والاستشهادات حول هذا الموطن من البحث ولعلنا سنعود الى ذلك في مقال آت بحـول اللـه .

معرض الكتب

إفلاس الحضارة

للدكتور محمد عزيز الحبابي
تعريب: محمد برادة

يسرنا ان نقدم الى القراء فصلا من كتاب للدكتور محمد عزيز الحبابي تحت عنوان : Du Clos à l'Ouvert (vingt propos sur les cultures nationales et la civilisation humaine).

تصدره لجنة المغرب للتأليف والترجمة والنشر هذه الايام . وهو اول كتاب تدشن به الجمعية الوليدة نشاطها .

والفصل الآتي من الترجمة العربية التي ينجزها الاستاذان : محمد برادة وعلم علم ، وستصدر قريبا عن نفس الجمعية .

« ما قيمة الحقيقة التي لاتحولنا الى افضل مما كنا عليه ... ؟ ان الفلسفة التي لا ترفع القيمة الانسانية تعتبر لغوا لاطائل من ورائه » (1) . هذه الارادة القوية فى التعالي على الحاضر والتطلع الى تكوين مجتمع مثالي ، كثيرا ما نجدها فى ايامنا هذه فى اشكال متباينة وباساليب مؤثرة . وهذه الارادة تتجلى فى الوقت نفسه كرغبة من جهة ، وكتعبير عن الاستياء من جهة اخرى ؛ لأن الانسانية تظهر كانها قد ضلت الطريق نتيجة لخطأ جسيم فى التوجيه .

فالحضارة قد حادت عن السبيل القويم ولم تستجب لمطمحنا فى الكمال واتمام الصلح بين الأنا وذاته ، ومساعدتها على التفتح التام . ان نظم الحكم المختلفة للحكومات المعاصرة وكذلك لجميع الثورات والمنظمات النقابية والمذاهب الفلسفية والاقتصادية والاخلاقية ، كلها نتجت عن انعدام التوازن بين نزوعاتنا وآمالنا ورغباتنا من جهة ، وبين اعمالنا والنتائج التي حصلنا عليها ومشاريع المستقبل من جهة اخرى ؛ لذلك فاننا اصبحنا نعيش فى قلق عميق من خلال تناقض وضعنا . ان كلمة « حضارة » لها وقع مؤثر وايحاء صوفي فى النفس الانسانية ، لكن اذا ما قابلناها بالواقع المجرد من كل الأصباغ فانها تفقد هذا المعنى وتتخذ معنى آخر يشير الى الانوار الاصطناعية المركشة التي يرتديها الممثل على خشبة المسرح والتي اعدت لتلمع تحت شمس ليس مصدر نورها فى الحقيقة الا الكشاف (Projecteur) ، ولا تصلح الا فى حياة عالم مسرحي مصطنع .

ان حضارة المدن عندما عوضت مقاييس العدالة والكرامة بمقاييس القوة (2) والدخل ، وصنفت الناس الى « منتجين » و « غير منتجين » وعندما آثرت التنافس على التضامن (3) ولم تحسن تنظيم تقويم

---

1) هـ. مافيت فى كتابه (رفض العبث) (Refus de l'absurde) ص 5 باريس لاكولب 1953 .

2) لدرجة ان عظمة الدول اصبحت تقاس فى ايامنا بما لها من قوة عسكرية . وقد قال كلود جيليان فى تحقيق صحفي كتبه عن الولايات المتحدة مايلي : ان المتحدث تكون له قيمة اذا كان قويا وهذه القاعدة مطبقة فى امريكا) (جريدة لوموند يوليوز 1956)

3) انظر كتابنا حرية ام تحرر (Liberté ou libération) ص 119 الى 181 حيث عالجنا مشكلة التناقس والتضامن (باريس طبعة مونتيني 1956)

الاستعدادات الانسانية ، قد عاقت الكائن البشري عن ان يتحرر ويتجاوز ذاته ، اي انها قد حالت بينه وبين ان يحقق شخصيته ؛ وهذه الخيبة المريرة هي المصدر الاساسي للقلق والعبث والسويداء وغير ذلك من الالفاظ السائدة في الادب والفن الحديثين . ان كتب (كيركيكارد) و (كافكا) ونظرية العدم عند (هيدجر) وآراء (ماكيافيل) — والماركيز دوصاد — قد انتشرت على نطاق واسع لانها تتجاوب مع حيرة المثقفين الذين خابت آمالهم ، ومع ردود الفعل للوعي الحديث .

وعندما عكس الادب هذا الوعي للازمة فانه امتلأ بالاستبطان الذاتي واصبح عبارة عن عرض للانهزامات الاخلاقية ، واظهارا صارخا للقلق والانتقادات الذاتية ، وابرازا لمحنة الضمير .. وهي الصفات التي تطبع عصرنا . ويدخل في هذا المجال رغبة جنونية في الهرب من الواقع عن طريق القصص البوليسية والفن المجرد ، وقصص نوع خاص من الشباب . ولا ننسى اولئك المتخصصين في كشف القناع عن الحياة الخاصة للنجوم السينمائيين ، وتتبع الفضائح والمغامرات . ولكن علينا ان نستثني من هذا كله الملايين من الرجال البسطاء الذين يمارسون نشاطهم في شجاعة وكرم .. أليسوا هم ايضا ممثلين لعصرنا ؟ ويمكن لنا ان نذكر على سبيل المثال بعض الاعمال الفنية (البابلو بيكاسو) التي انتجها بعد « الفترة الزرقاء » مثل لوحة (كيرنيكا) ولوحة (الحرب والسلام) .

وفي الادب نذكر مؤلفات (ادكاربو) و (جورج بيرنانوس) و (وليام فولكنير) و (ودوس باسوس : و (عبد الرحمن الشرقاوي) و (سهيل ادريس) . وفي الافلام السينمائية فلم (بذرة العنف) و (جلسة سرية) ونحن نذكر هذه الاعمال دون الحكم على قيمتها ، كشواهد لهذه الفترة على هذه الفترة ، بما فيها من صالح وطالح .. انها شهادة على عجز الاخلاق في حضارة افلست مع احتفاظها بامكانيات ثرة ان المأساة ناتجة عن كون وعي الصدمة — الذي ظهر في شكل عدم التكيف — لم يصبح بعد واضحا ومتغلغلا في نفوس الجميع . ثم هناك خيانة المثقفين الذين كان يرجى منهم ان يكونوا في الطليعة (La trahison des clercs)(1) . وفي مقابل اولائك الذين يفضلون « العمل المجاني » الذي دعا اليه (اندري جيد) أو الرفض السهل الذي نادى به كامو) ، وجد من اختاروا الالتزام الذي دعى اليه كل من (مونيي) (وسارتر) ، واذا المعركة لم تعد قائمة بين القدماء والمحدثين او بين انصار الكلاسيكية وانصار الرومانسية ، وانما اصبح الصراع بين الذين يعتبرون الثقافة مسالة ذوق شخصي وامتيازا موقوفا على ذوي ارستوقراطية فكرية معينة ، وبين الذين يريدون ان تصبح الثقافة قوة مؤثرة في المجتمع تعمل على ضمان الاستقرار والرفاهية للانسانية جمعاء .

ان دعاة المذهب الانساني في كل العصور وبخاصة في عصرنا يرغبون في ان تتطور الانسانية في ثلاثة ابعاد مرة واحدة وهي الابعاد المادية والثقافية والاخلاقية . الا ان الرغبة في اقامة علاقة وطيدة بين معارفنا وواجباتنا لم تخرج الى حيز التنفيذ . وكان يجب ان ترافق التقدم العلمي والتقني زيادة في نشر العدالة والحرية وتعميق للمفهوم الانساني حتى يستطيع هذا التقدم ان يستجيب لمتطلبات حضارة اصيلة يمكن في ظلها لالتزاماتنا واعمالنا ان تؤكد — بحرية وتضامن — كرامة الانسان . وحينئذ لن يصبح المثقف هو الذي يتوفر على ثقافة الكتب ، بل هو الذي يستغل ثقافته في جميع ميادين النشاط الانساني وفي جميع المستويات ليجعل النوع البشري صالحا في مجموعه ، اي ان المثقف هو الذي يربط مصيره بمصير الانسانية . وعلى العكس من ذلك الثقافة التي لا تشجب الحرب ولا تضع خطة لتحقيق التضامن الانساني ، فانها تقود حتما الى الانحطاط والفتنة « والفتنة أشد من القتل » كما جاء في القرآن .

واذا فهناك نوعان من الثقافة : ثقافة جيدة وثقافة رديئة . والنوع الاول هو الذي يدفع كلا منا الى السهر على الاخلاق وتقدم الجميع ، لان التفاوت والظلم يجران الى الفوضى والمصائب كما جاء في القرآن (2) : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » وقد اصاب افلاطون (الجمهورية) عندما اعتبر الثقافة خيرا مشتركا بين الجميع وسخر من السوفسطائيين « الذين امتهنوا توزيع الثقافة وكانوا يزعمون بانهم يضعون المعرفة في الارواح الفارغة منها ، شأن من يبعث النور في العينين المطفأتين » .

---

1) اشارة الى عنوان الكتاب الذي الفه الكاتب الفرنسي Julien Benda في اوائل هذا القرن .

2) سورة الأنفال .

ان الثقافة لاتكتسب قيمة الا اذا اهتم المثقفون بمصالح الناس وجعلوها موضوعا لنشاطهم ، وتخلوا عن ابراجهم العاجية ليشاركوا الشعب في اعماله ومشاكله .

ان التناقض الماساوي مصدره ان الصناعة كلما تابعت تقدمها الهائل كلما نتج عن ذلك تناقض كبير قد يودي بالانسانية جمعاء . ويكفي ان نذكر هنا بعض الامثلة لناخذ فكرة واضحة عن البؤس المفجع الذي عرفناه في عهد الحضارة الصناعية . ففي ايامنا هذه توجد مدن القصدير في المراكز الصناعية بافريقيا الشمالية وغيرها ، وتوجد امثلة اخرى ليست اقل دلالة مثل البحث الذي أجري سنة 1842 في انجلترا لمعرفة الاوضاع التي كان النساء والاولاد يعملون فيها داخل مناجم الفحم ، وقد ارفق الباحثون تقريرهم بصور تجعل الناظر اليها يصيبه دوار اليم وتجعلنا نتساءل فيما اذا كانت الحياة تستحق ان تعاش بالنسبة لهؤلاء الاولاد العاملين الذين قسا عليهم القدر في مرحلة مبكرة ، وكذلك بالنسبة لهؤلاء النسوة اللائي ارغمن على ترك منازلهن واطفالهن للتوجه الى حفر سوداء ضيقة لاتتوفر فيها الشروط الصحية . وتظهر لنا احدى هذه الصور امراة تجر عربة من الفحم في ممر منخفض لايسمح لها ان تعتدل في مشيتها فتضطر الى السير على يديها وركبتيها لانجاز عملها الشاق (1) . لقد اصبح يتحتم على الانسان ان يسير على اربعة ارجل في عهد الحضارة الصناعية ! ان هذه الصورة تذكرنا بعمال آخرين في مجتمع آخر وهم صناع الزجاج في مصر القديمة (2500 عام قبل المسيح) . وهذا الماضي ما يزال ممتدا في اشكال اخرى وان كانت اقل ضراوة. واذا كان عدد ساعات العمل قد خفض في بعض الدول الغربية فان الامر ليس كذلك في جميع الدول ، فمثلا نجد القانون الذي يحرم تشغيل الاولاد اكثر من عشر ساعات في اليوم داخل فرنسا لايرجع تاريخ صدوره الا الى سنة 1898 وهذا القانون لم يطبق في المستعمرات الفرنسية حتى ولا في سنة 1960 ! ومما لاشك فيه ان اخطار العمل قد قلت نسبتها عن ذي قبل الا انه مازال هناك تكديس العمال في الاماكن غير الصحية وما زال الخطر منتشرا في المناجم مثل فاجعة (مارسينيل) في بلجيكا (فشت 1956) وفي كندا (نوفمبر 1956 واكتوبر 1958) .

وحسب المنطق الجدلي لانسجام الشخصية المرجو ، فان هذا الخلل يلقى التبعة على الانسانية والحضارة او على الاصح يعتبرهما اساس المشكل . فقد اصبح الانسان في القرن العشرين لايقود حياته الاخلاقية بنفس المهارة التي يدبر بها أعماله والاته . ومن ثم فان الوضع يتطلب مفهوما جديدا ، موحدا يشع بالحياة ، واصبح يحتم اتجاها آخر للمصير الانساني .

لقد كان المثقفون في القرن التاسع عشر والى اوائل القرن العشرين معجبين بالتقدم فعبروا عن حماسهم لهذا التقدم بتاييدهم لافكار (سان سمون) واتباعه واعتناقهم للمذهب الوضعي (سواء الذي نادى به (اوجيست كونت) أو (ستوارت ميل) أو (ليتري) او (سبنسر) او (ريثان) وأيدوا مذهب التطور والمذهب العلمي ، ثم فيما بعد التفاؤل البراكماتيكي للانكلوساكسونيين وبخاصة عند (تايلر) و (وفورد) .

وبالرغم من ردود الفعل التي ابداها (بوترو) و (وبركسون) و (موريس بلونديل) وغيرهم من المفكرين فان طفرة الصناعة والعلم والتقدم قد ظلت مزدهرة الى ان وقعت الازمة المشهورة سنة 1929 (اليوم الاسود the bleck day اكتوبر) التي زعزعت دعائم الراسمالية الصناعية .

وفي فرنسا كان (امانيل مونيي) واصدقاؤه الشخصانيون اول من اقاموا وزنا لخطورة هذه الازمة فحاولوا ان يتخلصوا من عواقبها منطقا للعمل . وفي سنة 1932 اسسوا حركة الفكر ومجلة تحمل نفس الاسم (Esprit) وفي نفس السنة ظهر اهم كتاب (لبركسون) « منبعا الاخلاق والدين » الذي ينتهي بفصل عنوانه « ملاحظات اخيرة » وفيه هذا الانذار المتشائم الصادق :

« ان الانسانية تئن ، والتقدم الذي تحرز عليه يكاد يسحقها وهي لم تع تماما ان مستقبلها يتوقف على ارادتها . ان الامر يرجع اليها اولا واخيرا لترى ما اذا كانت تريد ان تستمر في الحياة ، وان تختار فيما

---

1) مقال عن الثورة الصناعية في L'Hutchinson Encyclopédia

اذا كانت تريد مجرد العيش او بذل الجهد الضروري لانجاز مهمة الكون الاساسية باعتباره آلة لصنع الآلهة » .

غير ان الكون الذي نعيش فيه ـ وبخاصة منذ مطلع القرن العشرين ـ لم يعد يتجلى كآلة لصنع الآلهة بل كعالم للعمليات البنكية والمبادلات التجارية ، حيث تحبك الازمات وتقع الحروب الاستعمارية الاهلية ثم حروب المنافسة والنفوذ .. الخ ، دون ان ننسى الحروب الباردة ! .

حقا انه تناقض مفجع ، فمثلا فى سنة 1815 كان السلم هو الشرط المرتجى ليتسنى للصناعة ان تزدهر وللانتاج ان ينمو ويتضاعف . اما اليوم فاننا نجد بعض رجال الصناعة لايتورعون عن تحبيذ قيام الحرب لأنها فى رايهم فرصة للربح ! ولا يفوتنا ان نشير هنا الى التصريح المشهور الذي افضى به عضو فى الكونكرس الامريكي قائلا :

« نفضل الحرب على الازمة » ومنذ هذه الصيحة المؤلمة توالت النكبات .

واليوم تاتي القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية والانسان الآلي ليطرحوا من جديد قضية قيمة الاخلاق فى الصناعة ، او بصفة اعم فى الابحاث العلمية . فهل يجب علينا ان نفرط فى التشاؤم لنصرخ مثلما فعل جوزيف كايو : « قيدوا بروميثوس الجديد ، وجهوا دفة العلم » ؟ .

الواقع ان صياغة السؤال على هذا النحو لايضع المشكل فى اطاره الحقيقي ، لانه لايمكن ان ندين التقدم اجمالا دون ان نقع فى الخطا ؛ حقيقة ان العلم بانحطاطه يحدث اثرا سيئا فى قيمنا الاخلاقية والاجتماعية ، لكن ليس السبب فى ذلك وجود عنصر شرير فى تكوينه ، لان العلم وسيلة وليس قدرا حتميا . انها فى الحقيقة غلطة متعمدة من رجال السياسة وبعض العلماء ، فالعلم فى حد ذاته حقائق محايدة .

ان النازيين كانوا يدركون مايصنعون عندما جعلوا ملايين من الاسرى والمنفيين بمثابة حيوانات يجرون عليها تجاربهم .

فالانسان اذن هو الذي ينحرف بالعلم عندما يسخره لاعمال تتنافى والكرامة الانسانية . ان باستطاعتنا ان نحور الجملة السالفة فنقول : « الانسان هو الذي يعمل على الحط من قيمة العلم عندما يتعامى عن الحقيقة » .

من كلام النبوة

* لاتزال هذه الامة بخير ما ان قالت صدقت ، وان حكمت عدلت ، وان استرحمت رحمت .

* اشدكم من ملك نفسه عند الغضب ، واحلمكم من عفا بعد المقدرة.



رثاء

للاستاذ علال الفاسي

عقد الحزن عن رثاك لساني / مذ عرا الشعب في الاسى ما عراني

لا يطيق القريض والكلم الفر / يان الذي يكن جناني

انا حسان مدحكم وقمين / بي ما قد جرى على حسان

مات خير الورى فلم يلق حسا / ن رثاء لسيد الاكوان

وعزيز على محبك اهداؤ / ك شعرا يحد بالاوزان

وقمين بمن يحبك اهداؤك / شعرا في النفس كالبركان

عبر الشعب عن رثاك بمعنى / ليس يقوى عليه كل المباني

هو ذخر من العواطف لا يمليه / الا تعلق وتفان

كلنا ود لو فداك بما يستطيع / بالنفس ، بالاماني الحسان

رب حر اصيب باليأس حتى / طلب الموت في سبيل التداني

وفتاة تمرغت في الثرى لا / تعقل شيئا من الوجود الفاني

ان دنيا تزول عنها لا ولى / ان نراها في عالم النسيان

وحياة تركتها نحن اولى / بالتخلي عنها بدون توان

ذهل الناس من مصابك / فانسابوا كبحر يعج بالاحزان

لو اصيب الورى باول موت / فيهم طاريء على الانسان

ما بكوا مثل ما بكوك ولانصاعوا / الى الحق خاشعي الاذقان

غير ان المصاب فيك جليل / ما له من نوع المصائب ثان

يحسن الصبر في النوائب الا / فيك فالصبر ليس ذا استحسان

ايها العاهل الذي ترك الشعب / يتيما يتيه كالولهان

كم عزيز على محبك ان يذكر / ان لست هاهنا في المكان

كم عزيز على محبك ان يذكر ان قد قضيت قبل الاوان
ان بكى الناس فيك شهما ابيا واماما وعالما من معان
فالذي ما بيني وبينك ابكيه لوحدي في عالمي وكياني
قدر الله ان تموت وابقى حاسر النفس دائم الهيجان

❋ ❋ ❋

انت اما ذكرت يذكر فيك الكل رمز العلا ورمز الاماني
مثلا ساميا يسير اليه الشعب في عزمه وفي ايقان
علما خافقا لدى قمة المجد اليه النفوس دوما عوان

❋ ❋ ❋

ومنارا يهدي السبيل الى الحق الى الرشد قائم البرهان
طالما قد هدى البلاد الى الخير ونادى بها لخوض الرهان
وحداها الى مقاومة الظلم وصد المسيطر الفتان
من راى مثله مليكا عظيما خالد العرش ثابت الايوان
علم الشعب ان يناضل في الحق ولا يستكين للطغيان
قد من عرشه لواء كفاح ومضى في طليعة الشجعان
يوم رام المستعمرون بنا الكيد وزجوك في يد السجان
قد تحملت ما لقيت بصبر وثبات على ابتعاد المكان
وضربت المثال للشعب فازداد اندفاعا للذب في الميدان
بذل النفس والنفيس فداء للذي قد فداه عن وجدان
وابى ان يرى سواك اماما وزعيما وصاحب السلطان
وراى فيك كل معنى شريف وجميل مجسما للعيان
وراى في اسمك النشيد يغنيه فيرجيه للفدا والتفاني
امل كله تجسم حتى سار معنى يحس في الجثمان
قد عرفنا بك الحياة كما ترغب نفس عزيزة التوقان
واتخذنا تحرر الراي نهجا منه نبني تحرر الاوطان
وجعلنا الاتحاد في المبادي اسس الاتحاد في البنيان
ومضينا الى الكفاح فلم نضعف ولم نستكن الى خذلان
انت علمتنا الثبات فسرنا اسدا لا ترد في معمعان
قد جعلنا الفدا شعارا وخضنا بجيوش التحرير كل طعان
وطردنا المستعمرين جموعا حولهم كل خانع خوان

وطردنا جيوشهم وحصونا   حبوها تقي من الرحمان

وغنمنا استقلال قومك والعزة   والنصر لعرش موطد الاركان

ودخلنا مراحل العمل الحا   سم في عزمة وفي اطمئنان

لم تكن ترتضي التحرر الا   كامل الشكل كامل الاتقان

وطن كله تناضل عنه   من حدود المضيق للمورطان

ورباط بعالم العرب مو   صول بحبل الاسلام والايمان

لرباط افريقي واسيو   ي مداه التحرير للانسان

وجهاد ليصبح الناس في الار   ض سواء في العدل والاحسان

وجهاد ليصبح الناس في الار   ض سواء في العلم والعرفان

وجهاد لينعم الناس بالعيش   رغيدا ويعملوا في امان

حملة اثر حملة اثر اخرى   نحن عمالها وانت الباني

ان في شبلك الهمام المفدى   لامتداد البناء خير ضمان

ان فيه كل الحظوظ لشعب   يبتغي ان يراه رب الصيان

همة كله وعزم شديد   وغناء عند الحروب العوان

حسن من محمد وكفانا   فيه هاذان اية العنوان

قد رضيناه عاهلا واماما   ومنحناه بيعة الرضوان

ورضيناه قائدا نحن طرا   جنده في الاسرار والاعلان

قد اردناه للعظائم يبنيـ   ـها وللمجد شامخ الافنان

واردناه للخطوط التي خطت   يجلي وجودها بافتتان

لارتجاع الحدود للذب عما   لم يزل للعدو فيه يدان

من صحاري ومن مدائن تدعو   ه لانقاذها من العدوان

ولتحرير شعبه من مآسي   الفقر والجهل وظلم الاقران للاقران

وجدير به الذي قد اردناه   فمن عزمه الاماني دواني

وجدير بنا اتباع خطاه   مستجيبين كل يوم اذان

في اتحاد من حوله ومسير   معه في توافق واتزان

يا مليك البلاد يا وارث   العرش ويا حارسا لتلك المغاني

دم عزيزا موفقا ومعانا   في الذي تبتغيه للاوطان

وحماك الاله من كل كيد   وبك الشعب من عوادي الزمان

ورعى الاسرة الكريمة   والام وما انجبت من الاخوان

وسلام على الامام المفدى   وغذته سحائب الغفران

وسلام عليه في مقعد الصدق   رضيا في جنة الرضوان

ما مات أمس محمد

للشاعر الأستاذ
خير الدين الزركلي

نطقت مآثره ، فلا خطباؤه   يوفونه حقا ولا شعراؤه
حسب المفوه ان يلوذ بصمته   ويطول من هول الملم بكاؤه
ما مات امس محمد ، ومحمد   فى الخالدين سناؤه وغناؤه
ملك تبوا فى القلوب مكانه   عرشا تأصل فى القلوب ثواؤه
ما غره صفو الزمان ولم تنل   من كبرياء شموخه ارزاؤه
تتجاذب الاهواء فضل ردائه   ويعف عن ادناسهن رداؤه
وتثور لاهبة الخطوب فتتقي   عزماته ما يصطلي غرماؤه
حمل اللواء يذود عن اوطانه   وعلى الكواكب والرياح لواؤه

ـ النفـي ـ

قالوا : امتثل او فاعتزل وتنمروا   وأبى عليه عليه الامتثال اباؤه
ايسام موطني الهوان واعتلي   كرسيه ؟ خسفت علي سماؤه !
وطني وديعة امتي فى ذمتي   حق علي صيانه وكلاؤه
انا من نبات سهوله ، انا من حصى   اطواده ، لي شمسه وهواؤه
لي يوم يدعى للفخار فخاره   واذا اشتكى ضرا فبي ضراؤه
لاتلمسن يد الدخيل ترابه   فلربما انقلبت لظى حصباؤه
النفي والتشريد فى ايديكمو . .   اني اذا عز الفداء فداؤه

ـ الثورة ـ

أو هل رأيت السيل عب عبابه — متدفق التيار يهدر ماؤه
او هل رأيت السيل ؟ ذلك شعبه — فارت مراجله وفاض اناؤه
شعب تخضب بالدماء كباره — وصغاره ورجاله ونساؤه
دوت بكل محلة وقبيلة — صيحاته وتجاوبت اصداؤه
ردوا الى الاجمات قسورها فما — الا محمدها لها ومضاؤه
لغة الرصاص ، متى تعددت اللغى — حول العتي ، يكن لها اصغاؤه

ـ الظفر ـ

واذا ابن يوسف فى العرين ، توحدت — اجزاؤه وصفت له ارجاؤه
ومشى الدخيل القهقرى متعثرا — وجزاء ما اقترفت يداه جلاؤه

ـ للا أمينة ـ

قالت امينة ، والتواكل حولها : — أيطول نوم ابي ؟ كفى اغفاؤه
قد كان عودني الصباح لقاءه — ومضى الضحى فمتى يكون لقاؤه
يا « آمن » لاتذري الدموع فانما — لأبيك قصر فى السماء بناؤه
هذا خليفته ووارث عرشه الـ — ـحسن المذكى غرسه ونماؤه
هذا اخوك المرتضى لك حبه — وحنانه وصفاؤه ووفاؤه

ـ يا صاحب التاج ـ

يا صاحب التاج ، اصطفاك محمد — ليطول فيك مع الزمان بقاؤه
لك منه حكمته وثاقب رأيه — وعليك منه جلاله وبهاؤه
حفت بعرشك امة مكلومة — جرح المصاب على يديك شفاؤه
ان جل مأملها فانت مناطه — او غاب كوكبها فانت ضياؤه

أفي السماوات عرش أنت تنشده ؟

لشاعر الثورة الجزائرية : مفدي زكرياء

ما للجراحات ، نخفيها فتبدينا ... وللحشاشات نأسوها فتدمينا ؟

وللفواجع ، ننساها فتفجؤنا ... وللسهام نفاديها فتصمينا ؟

ولليالي ، نصافيها فتنفضنا ... وللزمان ، نداريه فيردينا ؟

وللسماوات ، ندعوها فتكسفنا ... وللحظوظ ، ندانيها فتقصينا ؟

اللمقادير ثارات بمغربنا ... ام للاعاصير ، غارات بوادينا ؟

واي خطب ، دهى (الحمراء) فانتكست ... تلك المغاني التي كانت تناغينا ؟

وجئت انثر دمعا في مرابعها ... وطالما نظمت شعري تلاحينا !

فكم لهونا ، نشوى ، في مراتعها ... تغزو الظباء التي لم تأل تغزونا !

وكم صبونا بواديها نطارحه ... صرف الغرام ، يندى من تصابينا !

وكم اقمنا سهارى في محاربها ... نتلو التسابيح ، يشدوها مغنينا!

وكم غدونا سكارى من مفاتنها ... ان نرج صحوا ، يقل هيهات ساقينا!

يا للروائع ..! كم هاجت مشاعرنا ... فارسلت من فم الدنيا شواذينا !

وللمواسم ..! كم صاغت خوالدنا ... وللمواكب .. ! كم اذكت قوافينا!

وكم (بمشورها) غنت بلابلنا ... فردد المغرب الاقصى أغانينا!

وكم شربنا على نخب (المليك) بها ... صفو الليالي التي كانت تصافينا!

* * *

يا دار ـ والمغرب المكلوم ـ منصدع ... حيران ، يشكو من البلوى أفانينا !

الخطب ما زال يرسو في جوانحنا ... والجرح ما انفك ينزو في جوانبنا !

بالامس كانت توافيكم مدائحنا ... واليوم جاءت تواسيكم تعازينا !

ما كنت احسب اني فى دياركم ... يوما ، ساشهد ـ بعد العيد ـ تأبينا !
ولا علمت بأن الدهر عندكم ... من بعد ما سرنا حينا ، سيبكينا !
ويا محمد .. من غرك .. ؟ فانفلتت ... للقدس روحك ، لم تحفل بداعينا ؟
ما ضر من جعل الارواح خالدة ... لو نال جسمك تخليدا وتأمينا ؟
أفى السماوات عرش انت تنشده ... فرحت تنال فى الفردوس (جبرينا) ؟
ام هل سمعت بأقمار مزيفة ... تغزو الفضاء ، فسفهت المجانينا ؟
ام ان قانون اهل الارض مفتعل ... فرحت تشرع فى الخلد القوانينا ؟
ام تم ما كنت تبنيه وتصنعه ... فرحت تنقل للعليا مبانينا ؟
أم قد صعدت قرير العين ذا ثقة ... لما تركت الذي تختاره فينا ؟

* * *

يا منقذ الشعب ! قلب الشعب منفطر ... والارض ترجف لما صاح ناعينا !
هذي الجماهير ، كالامواج هائجة ... والروح قد بلغت منا تراقينا !
تتيه فى الارض ، لا رشد ينهنهنا ... ولا صواب عن البلوى يعزينا !
وفاتنات عذارى فى مقاصرها ... تدبن خدا ، ومزقن (الفساتينا) !
وذاهلين حيارى ، لا دليل لهم ... يلاحقون المنايا ، لا يبالونا !
من يائس خر فى الاسواق منتحرا ... وخائر العزم قد شق الشرايينا !
لاتعذلوا الشعب فى تهويل صدمته ... فقلما ادرك الخطب المعافونا !
جحافل الشعب جند خلف قائدهم ... ان مات قائدهم ـ ماتوا قرابينا !

* * *

يا ضجة فى شعوب الارض صاخبة ... قامت بها امم الدنيا تواسينا !
الغرب هز عروق البرق فانطلقت ... منها الهواتف فى الجلى تدارينا !
والشرق يبكي حدادا فى رزيتنا ... وبالتضامن فى البلوى يسلينا !
والمغرب العربي اهتاج أدمعه ... وقع المصاب ، وقد جفت مآقينا !
جاء الحبيب يعزينا ويسعفنا ... وجاء عباس يوم الهول يأسونا !
مواقف تلك فى (الاخوان) ماجدة ... زادت وشائجنا عمقا وتمكينا
نم يا محمد ، محسودا فكم مهج ... (محمد) صار فى اعماقها دينا !
واصعد لربك ، واسعد عند سدرته ... وخل روحك بالبشرى تناجينا
وابعث نصائحك الحسنى تراوحنا ... واترك تعاليمك المثلى تفادينا !

يا وارث العرش ... تعلوه على قدر ... كفكف مدامعنا ، واقبل تهانينا !

من كان في الناس ـ بعد اليأس ـ يبعثنا ... فليس الاك ـ يوم البعث ـ يحيينا !

ورثت ملكا ، ابوك الشهم وطده ... وزاده الشعب تدعيما وتحصينا !!!

وهمة ـ لوراء الغيب ـ طامحة ... وحنكة ، لم تزل ـ كالنور ـ تهدينا .!

دم الفتوة اذكاها . وطيرها ... قذيفة كالردى ، تذرو الشياطينا !

❊ ❊ ❊

جلالة الحسن الثاني .. لنا ثقة ... بالعرش .. فا[illegible] بنا ، نبلغ مرامينا!

فمن نشاطك قد قدت [illegible] ... وفي شبابك قد نيطت امانينا !!

ومن حفاظك قد ريشت قوادمنا ... ومن نظامك قد مدت خوافينا !!

[illegible]س بالعدالة ملكا انت وارثه ... وبالمساواة كن (يا شهم) راعينا

واحم الضعيف ، بشعب انت قائده ... ما اعتز من بات لا يحمي المساكينا

وكن كما شاء من اولاك امرتنا ... تتبع ركابك ـ للاهداف ـ راضينا

وامدد يديك نبايع فيك عاهلنا ... فحول عرشك قد شدت ايادينا

❊ ❊ ❊

جلالة الحسن الثاني سرت كلمي ... بمدح آلك ـ في الدنيا ـ رياحينا !

لولا ارادة شعب في ادارتكم ... ما كنت امدح بالشعر السلاطينا!

حبست شعري والهامي على وطني ... فانساب ينشر في الدنيا معالينا !

وهمت بالثورة الكبرى اساوقها ... اهز ـ في الثورة الكبرى ـ رواسينا!

حلقت كالنسر في آفاق حاضرنا ... وغصت كالسحر في اعماق ماضينا!

كم صفقت لاناشيدي مدافعنا ... واطرقت لتسابيحي نوادينا !

فكان شعري والرشاش في مرح ... هذا يغني ... وذا يزجي التلاحينا!

وكان للجيش تنزيلا يرتله ... وقد تنزل يفتك الميادينا!

وللجزائر تبيانا ، تلقنه ... من ليس يفهم في الدنيا معانينا!

وكان للمغرب الجبار ملحمة ... تهز افراحنا فيها مآسينا!

وللعروبة في الاجيال مكتبة ... اعجازها يتحدى من يبارينا!

ومن روائعها ـ والحفل منتظم ـ ... نزف ـ للحسن الثاني ـ تهانينا!

ونسمع الشعب ، حول العرش ، يبعثنا ... حتى يقول لرب العرش آمينا!

وارحمتاه لشعب!

لأبي مروان عبد المالك البلغيثي

لم يعرف الدهر اهوالا واحزانا كفقدنا بطل التحرير مولانا

لم يعرف الدهر في دنياه فاجعة عمت على البعد اوطانا وجيرانا

واذهلت اهلها من هول صدمتها لانهم فقدوا للعين انسانا

رزء عظيم راى ان لا يفاجئنا الا باخذ مليك كان برعانا

رزء جسيم ، وهل كالموت من خطر يدمي القلوب ويعمي العين احيانا

لا سيما ملك خير الملوك له في الشرق والغرب كم ذكر علا شانا

ذكر تردد بالماثور عن بطل زاد العروش به عزا وسلطانا

فود جلهم لو كان عاهلهم هذا الذي بارح الدنيا وخلانا

رزء اليم تساوى في تجرعه شعب باجمعه شيبا وشبانا

وافى فحطم منا كل قاعدة من السرور واشجانا وابكانا

على ابن يوسف ، لا صبر ولا جلد كلاهما غادر الميدان اسوانا

وكيف نصبر عمن لا اصطبار له في النفي عنا وبالتحرير وافانا ؟

والصبر معناه نسيان وتسلية ننسى العظيم الذي ما كان ينسانا ؟

وارحمتاه لشعب كان في دعة مليء عين هنيء البال جذلانا

فباغتته يد الاقدار فاجعة بما به عاد بعد الرشد حيرانا

فلا ترى غير باك خلف نادبة وخارج عن صواب العقل ولهانا

في كل صوت نحيب عنه ، مائرة تزيد في لوعة المفجوع نيرانا

ترى الصبي وقد اومى بكامله للنعش والعين تذري الدمع تهتانا

يقول منتحبا ، والصوت لجلجة : الله الله ! مات اليوم مولانا !

فهل سمعت لهذا الدهر فاجعة كهذه ، اشعرت بالهول صبيانا ؟!

ورحمتاه لشعب حين مر به نعش المليك المفدى منه أزمانا !

قد وحد الصف عند الخطب ملتحما فازداد للعرش تقديسا وايمانا

فها هنا ملأ يبكي مثاثره   وها هنا نفر يهديه قرءانا
وها هنا نادب ترثي لحرقته   وناحيات كساها الحزن الوانا
رزية لم يطق شعب تحملها   ومن يطيق على الاثراء خسرانا ؟
لم يلتق الشعب يوما في مشاعره   كما التقى في الاسى شيبا وشبانا

اودى ابن يوسف ، روح الشعب اجمعه   ومن به كان هذا العصر مزدانا
اودى الذي آثر المنفى ووحشته   لصون عزة عرش طالما صانا
وعاد بالامل المنشود منتصرا   مبشرا شعبه المغمور رضوانا
وقال : ها نحن احرار سواسية   مع الذين طغوا بالامس طغيانا

يا راحلا بعد ان ادى رسالته   قد اتخذت الوفا للعهد ديدانا
ما نمت ملء جفون مذ رجعت لنا   بل كنت في خدمة الاوطان يقظانا
وحققت بك آمال لها عظم   سواك ، لو رامها لم يلف اذعانا
لم يخف مجد بلاد انت باعثه   وكيف يخفى وقد اصبحت عنوانا ؟
اعنك نسلو امير المومنين ، وقد   غمرتنا منذ ان توجت احسانا ؟

يا مالكا جل قدرا ان يوفيه   خلق جزاء ، سوى الرحمن مولانا
نم في الجنان قرير العين من خلف   مخلدا في العلى والمجد ذكرانا

ما مات من خلف الشهم الرضى حسنا   على الاريكة ، بشراه وبشرانا
لما تسنم عرشا ثم بايعه   شعب وفي ، وواسانا وعزانا
وقام يخطب هذا الشعب عن كثب   ازال عنا من الاحزان احزانا
وطمن الامل المنشود وانفتحت   منا عيون على عهد به ازدانا

حقق الاهي نواياه باجمعها   وانصره نصرا وهيىء منك اعوانا
واجعله خير سليل يقتفي اثرا   لوالد كان راض عنه مذ كانا
لابدع ان يقتفي آثار ناجله   بل سوف يبلغ من توفيقه شانا
يحرر الطرف المغصوب من وطن   وينعم الشعب بالآمال جذلانا
ابا المحاسن ، عش فالعرش مغتبط   بما ستبدي على علياه برهانا

ألم وأمل

للشاعر
المنفي الحمادي

يا ويح قلبي من مصاب فجرا ... دمع العيون فسال ماء احمرا
لما تردد في اصيل شاحب ... نبا تغلغل في المدائن والقرى
قال النعاة: قضى ابن يوسف وانطوت ... ايامه ؛ يا هول ما دهم الورى
ان كان حقا ما يقال فنكبة ... القت على الدنيا ستارا اغبرا
لو شاء ربي ما دهانا حادث ... جلل اصم السامعين وحيرا

هل مات من ملأ الحياة جلائلا ؟ ... هل مات من حمل اللواء وشمرا ؟
هل مات من خدم الزمان ركابه ؟ ... هل مات من احيى البلاد وعمرا ؟
هل مات من شغف الانام بحبه ؟ ... وتعلموا من عزمه ما اثرا
هل مات من وهب الحياة لامة ؟ ... لاتستطيع على الفراق تصبرا

ايموت والآمال فيه تجسمت ؟ ... نرضى بما حكم الاله وقدرا
اواه من رزء تخطف بغتة ... امل القلوب وغال روحا اكبرا
اواه من رزء توزع امة ... فطر القضاء قلوبها لما جرى
اواه من رزء اصاب احبة ... فتجمعوا يتقطعون تحسرا
اواه من رزء الم فزلزلت ... كل النفوس فلا تحس ولا ترى
ملأ البلاد عويلها فتخشعت ... وترنحت مبهورة مما عرا
وقد استوى ليل البلاد ويومها ... لا نوم لا افطار لا متسحرا
صام الانام نهارهم ومساءهم ... فالرزء قد ملأ البطون وسعرا

نادى منادي الشعب يا لمحمد ... نحن الفدى ان شاء من خلق الورى
انا يتامى لا نطيق رزية ... ذهبت بخير ذخيرة لا تشترى
كيف السلو وقد فقدنا عمدة ... وابا حنونا ما ونى او قصرا
افنى حياته في حراسة امة ... لم يدر يوما ما الهناءة والكرى ؟

بهت العدا لما راوا عزماته ارسى من الطود العظيم واكبرا

كم خاتلوه وكايدوه واوعدوا فسما على اوهامهم وتجبرا

لم يعلموا ان المليك مجاهد يبغي لشعبه عزة وتحررا

نادى واقسم ان يعيد سيادة موفورة مرهوبة او يقبرا

فمضى يكافح والخطوب عوابس وتعنت الطغيان قد بلغ الذرى

لم يرهب التغريب عن اوطانه لكن بمكر الظالمين قد ازدرى

ترك المباهج والقصور مفضلا تلك المكاره راضيا متصبرا

الله اكبر انها اعجوبة كان المليك لها بحق مصدرا

ما كان يطلب حظه لكنه طلب المعالي للبلاد وقررا

ما كان الا رائدا متحمسا عرف الحقيقة فانبرى واستبصرا

ما كان الا امة فى واحد جمع الخصائص كلها وتخيرا

ما كان الا نخبة من اصله اكرم باصل بالنبي تآزرا

ما كان الا واحدا من عصبة عرف الورى من يمنهم ما شهرا

هم آل احمد هم بنوه وسره وامان اهل الارض ما عاش الورى

يا راحلا جنات عدن قصده انا لفقدك ذاهلون تحيرا

ان غاب شخصك فالمعاني لم تغب فيها نراك مدى الحياة تصورا

ما مات من ترك المبادىء بعده ما مات من شغل الحياة وغيرا

ما مات من ترك الاساس موطدا وقضى الذي فرض الاله وسطرا

فلئن مضيت الى نعيم خالد فلقد تركت القطر حرا انورا

ولقد قضيت فرائضا ونوافلا وتركت شعبا بالعلاء تدثرا

انت الذي اوليته ما يبتغي من عزة وانلته ما اضمرا

انت الذي اجليت عن اوطانه جيش الغزاة الظالم المتجبرا

انت الذي علمته حب العلى فغدا لديه حقيقة لا تمترى

انت الذي ارضعته حرية فى قوله وفعاله فتحررا

انت الذي مزقت عن افكاره حجب الخرافة والهوى فتطورا

انت الذي شاطرته الآمه بل نلت فى الضراء حظا اكثرا

انت الذي حي الانام جهاده لما تطاول للمعالي وانبرى

ورات شعوب الارض انك فاتح فى الحكم والتدبير فتحا اكبرا

اصبحت فى الدنيا مؤسس فكرة وتفلسف سحر العقول وحيرا

فقدوت مالك امة وزعيمها   وامام فكر عالمي اشهرا
اما العروبة والجياد فمذهب   احييته فى المغربيين فأثمرا
ان عدد العرب الاباة مفاخرا   وجدوك فى سلك المفاخر اظهرا
هذي العروبة قد بكتك حزينة   وخبا لفقدك انسها وتكدرا

ما كنت حاكم امة بسلاحه   بل راعيا مترفقا متبصرا
ما كنت مالك امة بل زاهدا   متعبدا يدعو لها مستغفرا
عرفتك طيبة والمقام مصليا   تدعو لشعبك ان يصان وينصرا
سجد المحيا فى الحرام مسبحا   متمرغا فى تربه متعفرا
تبكي وتضرع للاله كما دعا   من قبل جدك للورى واستغفرا
لا غرو انك من سلالة احمد   فالفرع طاب كاصله وتطهرا

غادرت شعبك بغتة فاصابه   جزع واظلم عيشه وتمررا
ان المصاب على القلوب لفادح   والصبر فى حق القلوب تعذرا
لكن امر الله – حتما – واقع   سر الفتى ام ساءه ما دبرا
وعزاؤنا ان الانام جميعهم   فقدوك وانتحبوا عليك تحسرا
فى ذمة الرحمن انت مودع   يسقى رضاه ضريحك المتنورا
نم مطمئنا فالرعية اقسمت   ان لا تعود مدى الزمان القهقرى
فلئن فقدنا نور وجهك اننا   لم نفقد الامل الضحوك الازهرا
انت الذي علمت شعبك خطة   ان يستميت لدى الخطوب ويصبرا

ان كان فضلك يا ابن يوسف شاملا   فالفضل فى ولي العهد تجمهرا
لولا صنيعك فى ولي صالح   لم نأمن الاهواء ان تتنمرا
لكن سعيك فى الحياة موفق   عصم الرعية فى الممات وبشرا

فى طلعة الحسن المفدى اشرقت   انوار سرك حين بات مظفرا
لما تربع فوق عرشك خلته   اياك لا شخصا سواك تصدرا
ان غبت عنا فالخليفة حاضر   ملا الفراغ كما رغبت وشمرا
ترعاه روحك والعهود وامة   قد بايعته على الولاء مؤزرا
القت اليه قلوبها فى مهده   طفلا فشب بحبها متأثرا
وتبادلا حبا قويا لم يزل   يزداد فى محن الحياة تسعرا
انت الذي ربيته وصهرته   حتى استوى شهم الفؤاد غضنفرا

لما رات عيناك فيه نجابة ... علمته حتى ارتوى وتبحرا
وغدا باعباء الامارة ناهضا ... ما ضل يوما او لها وتهورا
عرفت محافل كل قوم شاوه ... فى الفكر ان القى الحديث وحبرا
قد كل دون اباته عزم العدى ... لما بغوا واستدرجوه فانكرا
وتلطفوه واوعدوه فلم يلن ... يوما ولا استخذى ولا فصم العرى
فتيقنوا ان الامير صواعق ... نزلت على طغيانهم فتكسرا
وترصدوه بمكرهم لكن ما ... مكروه خيبه الاله وبعثرا
ومضى يعد مع المليك مواقفا ... متحتهما شرف الجهاد ومفخرا
قاد الشباب فكان شهما عليما ... تدب العزائم للعلى واستنفرا
خاض الكفاح فكللت راياته ... بالفوز وامتلك القلوب وابهرا
جعل الشبيبة فكرة وطنية ... تحمي البلاد بقوة لن تقهرا
فتجمع الشبان حول ركابه ... واستراسوه عليهمو فتامرا
ومضى بهم للمجد حتى افلحوا ... لولاه ما انتبه الشباب وفكرا
انا لنذكر يوم حلت محنة ... كيف استمرا ثباته وتبصرا
ودعا المليك وشعبه ان يصمدوا ... حتى يبيد الحق جورا منكرا
وتحمل الابعاد عن اوطانه ... لما تطلب عزة وتحررا
متمسكا بالحق غير مضعضع ... لما تعنت مبطل وتكبرا
حتى تحققت المنى وتبلجت ... انوار فجر بالكرامة بشرا
وتمايل الوطن المفدى نشوة ... لما تحقق سؤله فتحررا
واستقبل البطلين بعد تشوق ... وشدا وصفق للقاء وكبرا

ان الامير له البلاد مدينة ... لما توغل فى الفداء واكثرا
فاذا تولى العرش فهو لمجده ... كفء تكنفه الفخار ودثرا
بشرى به من مالك متحمس ... بهج الزمان بعهده واستبشرا
وقد انتهت آمال شعب نحوه ... بذل الولاء من القلوب وعبرا
يدعو ويضرع للاله مرددا ... ان يكلا الحسن المليك وينصرا

سلام الله عليك يا بطل

للشاعر
أبي بكر المتوفي

بحسبكم عتب ، فكفوا عن العتب	وخلوه يبكي ، فالبكاء من الحب
اذا استنزف المفقود ماء عيوننا	فقد كان ملء السمع والعين والقلب
ونقسم لو اجدى عن الراحل الفدى	اذن لاجبنا دونه داعي الرب
محمد لن ينساك شعب مطوق	بالائك اللاتي تجل عن الحسب
بلوناك في مر الحياة وعذبها	فلم تكترث للمر او تهن بالعذب
وسمناك اعباء ثقالا حملتها	فكنت كريم العهد في البعد والقرب
ملات فم الدنيا ثناء كانها	اذا حدثت صب يحدث عن حب
ومن عجب ان طاوعتك صعابها	فدانت ، ولانت في يديك عرى الخطب
وما جئت جورا او تسببت في اذى	وما كنت مرء الشر او رجل الحرب
ولكن حنون القلب متصل الندى	تعين على الجلى وتعفو عن الذنب
ولم تك دون المستبدين قوة	بعسكرك الشاكي واطلك الصلب
ولم تك دون المترفين يسارة	بمرتعك الضافي ومقربك الخصب
ولكن كفاك الحرص روح مطهر	تبدل اجر البذل من لذة الكسب
واغراك بالايثار حمد رعية	حكمتهم حكم النبيء او الصحب

اما والذي يبلو السرائر والـذي ... اليـه انتهـى علم الشهادة والغيب

لنبكي عليك الدهـر ملء عواطـف ... سمـاق لدان عشن فى فيئك الرطب

لئـن عابت الناس الدمـوع فانني ... رايت انحباس الدمع فيك من العيب

لماذا منحنـا الدمع ان لم ننـح بـه ... على الوالـد المبرور والسيد القطب

محمـد ، لانبكـي فراقك وحـدنـا ... ولكن بكاك الخلق فى الشرق والغرب

ووحدت ابنـاء العروبـة فى الاسـى ... وهل كنت الا قبلـة لبنـي العـرب

محمد ، لـو لم يبكك الناس حسـر ... عليك ، بكاك الناس من شدة الرعب

فقد كنت نـور البائسين وعونهـم ... على مظلم البؤسى ومحلولك الكـرب

وكنت مقيـل العاثـريـن ، اذا اووا ... الى ظلك الممـدود او صدرك الرحب

وكنت مـلاذ الشعب من كل محنـة ... ومن كل بلوى اثقلت كاهـل الشعب

فنم مطمئـن النفس غير مضيـع ... بـلادا تولى امرهن ابنـك الصلبـي

ولا زال سـر منك يحـدو امـوره ... كمـا حدت الاقمـار هاديـة الركب

رعايـاك مفـؤودو القلـوب توجعـا ... عليك طويلـو الليل مستلبـو اللب

لقـد اودعـوك الترب علقـا منزعـا ... وكلهـم شوق الى ذلـك التـرب

وناحـوا وراء النعش ملء قلـوبهـم ... كما نـاح يعقوب على صاحب الجب

عليك سـلام الله يا بطـل الحمـى ... وجادك هامي المزن او هاطل السحب

من وصية لقمان لابنه

« يا بني من حمل ما لا يطيق عجز ومن اعجب بنفسه هلك ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن لم يشاور ندم ، ومن جالس العلماء علم ومن قل كلامه دامت عافيته » .

قصة العدد



كانت الارض مخضلة ، والحقل يتضوع برائحة هادئة مما يكون غب المطر ، انه الربيع ، بعض الازهار العطرة قد بدات تتفتح ، واغصان الاشجار قد تدلى بعضها على الطرقات .. انه ليلاحظ كما لو كانت الحياة قد صارت اكثر شبابا .. من يدري ؟ لكان كل شيء قد اصبح على اتفاق ايضا لكي يحيا حياة اكثر حرصا .

قد يرفع الشخص حجرا وهنالك يجد جعرانا يلمع كما لو كان من نحاس ، او يجد حشرة ذات ارجل كثيرة تهرب سريعا ثم لا تلبث ان تختفي تحت حجر مجاور ، وقد يجد كذلك تحت بعض الاحجار حية صغيرة مختبئة من ذوات الالوان البراقة ، لدغتها كفيلة بان تقتل شخصا .

القمري قد عاد يسجع في قمم الاشجار ، والهزار جعل يغرد من جديد فوق الاغصان ، وتلك الطيور السوداء الصغيرة اخذت تحوم زرافات ووحدانا ، والعصافير هنا وهناك تتواثب من حجر الى حجر في الوادي .. انه الربيع الذي يبدو كما لو كان قد اجرى في شراييننا دما جديدا .

— 1 —

هناك تقع الدار مختبئة في غابة من اشجار ضخمة ضاربة في السماء ، لا يقل عمر الشجر منها عن مائتي عام ، وقد نمت حول جذوعها نباتات يتصاعد بعضها حتى يختلط باغصان الاشجار نفسها ، والاشجار متكاثفة متقاربة بيد ان اغصانها تمتد احيانا اكثر مما ينبغي وتتدلى على الطريق فتكاد لا تسمح بالمرور فيه .

ويقع خلف الدار بناء قد اتخذ اسفله حظيرة للماشية ، واقيمت في اعلاه بعض الحجرات لسكنى العمال ، ولما كان شهر مايو قد اوشك على الانتهاء فقد كان العمال ينامون تاركين النوافذ مفتوحة تماما ..

ويتفرع من بين الاشجار طريقان ، احدهما يقود الى الطريق العام ، والآخر يؤدي الى بناء مرتفع تعلوه قبة وبه شرفة حديدية ومقعد خشبي طويل ، وتحيط به بعض الازهار العطرة التي تتضوع روائحها فتغزو الانوف وتكاد تبعث في الرؤوس دوارا ..

ولما كان الوقت مساء ، والاغصان تغلف ذلك البناء المرتفع ، فضوء القمر لم يستطع ان يتسلل الى الداخل ، ولم يكن من المستطاع ان يرى المتكأ الخلفي للمقعد الخشبي الطويل ، ولو كان الوقت نهارا لامكن للناظر ان يرى على ذلك المتكأ صورة قلب يخترقه سهم ، وقد كتب تحت القلب هذا الاسم «كريستينا» كان قد نقش هذا احد العمال الاجانب ثم سافر على الا يعود ثانية ..

ولم تكن « كريستينا » لتنام في الحجرات التي فوق الحظيرة والمعدة للعمال ، وانما كانت تنام مع وصيفتي السيدة فوق سطح الدار ، حيث كان لها ثم حجرة صغيرة لها بعض النوافذ المغطاة بستائر كثيفة ، وبها مصباح حوله ستارة كثيفة من نفس نوع ستائر النوافذ ..

وقد كانت « كريستينا » هذه فلاحة مكلفة بجلب الماشية ، بينما كانت الوصيفتان من المدينة ومن ثم فقد كانتا تنظران الى « كريستينا » نظرات ليس فيها

تقدير ، ولم تكن هذه لتعيرهما اي اهتمام ؛ ولم يكن ينام في الحجرات التي فوق الحظيرة غير الرجال وبعض النساء العجائز ممن لايخشى من بقائهن خطر.. وكانت سيدة الدار تهتم بالجانب الخلقي كثيرا كسيدة قد ودعت الشباب . ولم يكن لها على عمال المزرعة سلطان ، ولو انه كان يسرها ان تراهم تحت امرتها ، فكانت تقول : آه .. لو كان هؤلاء الخبثاء خاضعين لسلطاني .. وكانت اذا اخذت على احدهم شيئا ابلغته لزوجها ، ولكن كانت تصيب قليلا من النجاح في ذلك بوجه عام .

اما زوجها الشيخ — وقد كان طائشا ايام شبابه — فقد كان يقول دائما في شيء من الجدية والموافقة : بالرغم من ان العيد قد انتهى « اوه .. نتهم الربيع » ثم يدق الارض بعصاه دقات خفيفة : كما لو كان مشغولا ، او ينقر باصابع يديه على جانبي المقعد الذي يجلس عليه في حركة شبه موسيقية ، وبتلك الاصابع القوية ، اصابع فلاح ، حيث كان يحمل خاتم الزواج ، وخاتما آخر ضخما من الحديد ، كان من اسباب شهرته ايام شبابه ، فقد استطاع بوساطته ان يحطم اضراس ابن عمه « جيبرمو » في لطمة وجهها اليه ، وكان كثيرا ما يروي هذا ثم يخرج ليدور دورة حول تلك الاشجار الضخمة المحيطة بالدار فاذا مر باحدى الفتيات حياها مبتسما .

وقد صاح ذات يوم مناديا « كريستينا » التي وجدها في ذلك الطريق الفرعي المؤدي الى البناء المرتفع ذي القبة ، وجعل يتكلم معها ، والله وحده يعلم ماذا قال لها ، غير ان احدى وصيفتي السيدة وتدعى « مارجاريتا » قد ضحكت من « كريستينا » عندما قصت عليها هذه ما دار بينها وبين السيد من حديث ، ولكن في اليوم التالي وقد كان الجو معتدلا خرجت « كريستينا » وحدها ومن غير ان تقول شيئا لاحد ، وجعلت تسير في الحقل ، ثم توجت راسها ببعض الازهار البيضاء والصفراء وثبتت فوق صدرها غصنا صغيرا من النبات ... وكان السيد قد خرج يتمشى فلما ابصرته « مارجاريتا » حيته بتحية الصباح ، فتوقف في منتصف الطريق ورد عليها تحيتها ، وبقيا صامتين ... ثم سالها السيد عما اذا كانت لاتحس بالبرد وهي تسير في ثياب خفيفة ؟ وفي المساء كانت « مارجاريتا » تضحك وهي تقص ما وقع لها على الوصيفة الاخرى للسيدة والمسماة « اسبيرانثا » .

اما « كرستينا » فقد كانت تتقلب في فراشها ، ولما لم يداعب النوم جفونها فقد نهضت من فراشها قلقة ثم لبست حذاءها وخرجت نحو الحقل ، ولم يكن الجو باردا ولذا فقد اكتفت بان تلبس « بلوزا » فوق القميص فقط ، وكانت تحاكي غناء بعض الطيور وهي تسير ، ولم تمض خمس دقائق حتى كانت مأخوذة من يدها صاعدة نحو البناء المرتفع ذي القبة ، وهنالك طوق وسطها بيده .. فقالت : ان الرجال يخيفونني.. انني اليوم عجيبة ، ولم يجبها هو ... وعند رجوعها الى المنزل خلعت حذاءها وهي صاعدة نحو غرفتها حتى لاتحدث صوتا ، وبالرغم من ان المساء كان معتدلا ، الا انها احست بالبرد لخفة الثياب التي ترتديها ..

— 2 —

تجمعت الطيور فعمرت اغصان الشجر، ثم اخذت تغرد ، كانما ودت ان توقظ النهار بتغريدها ، وخرج الحطابون نحو الغابة ، هذا يحمل فاسه على كتفه وذان يحملان فيما بينهما منشارا كبيرا ، او يضعانه فوق عربة يجرها ثور ، يأخذون طريقهم بين حقول الفول والبطاطا ....

هبطت « كريستينا » حاملة فوق خاصرتها جرة كبيرة ، وسارت في الطريق الفرعي المؤدي الى الطريق العام ... انها ذاهبة لحلب الماشية فرحة مبتهجة ، ولم تكن لتنظر تجاه الاشجار الملتفة حول الدار حيث الطيور تغرد في اغصانها ، وحيث الزروع النامية حول مصادر الماء ، ثم وصلت الى حظيرة الماشية وبدات تحلب بقراتها وهي جالسة على مقعد خشبي ذي ثلاثة ارجل كان قد صنعه لها ذلك الاجنبي الذي رحل على الا يعود . ولم تكن لا « مارجاريتا » ولا « اسبيرانثا » قد نهضتا بعد من نومهما ؛ اذ ان سيدتهما لم يكن من عادتها ان تبكر ، اما السيد فانه يستيقظ مبكرا ، ويرى متنقلا من مكان الى آخر بين العمال ببطنه الكبير وحزامه الجلدي ، ومع ان عمره قد جاوز الستين ، الا انه كفلاح كان نظيفا ، لحيته ممشوطة دائما بعناية ، ويداه مغسولتان كل صباح .

اما ابنة السيد فلم تكن كذلك لتبكر شانها شان امها ، وقد كانت فارعة سمينة حمراء مثل امها كذلك ، وتحمل نفس الاسم الذي تحمله امها ، وهي تقل عن امها باربعين عاما ، وفرق ما بينها وبين امها في السن قد جعل عاداتها تخالف عادات امها ، عمر الفتاة اثنان

وعشرون عاما ، وهذا يعني ان امها كانت تكبر اباهـا نوعا ما .. وكان من عادة الفتاة انها عندما تستيقظ من نومها ترتعش في قميصها نوعا ما ، ولا تغادر فراشها بل تتقلب فيه ثم تلف نفسها جيدا بالغطاء ثم تتابـع نومها كاشفة وجهها ناظرة الى النافذة ، مستمعة الى زقزقة العصافير ، وكان من عادتها كذلك ان تـدع النافذة الخشبية مفتوحة بينما تغلق زجاجها اذ كان يسرها ان تشهد مولد النهار كل صباح ..

وصل السيد الى حظيرة الماشية متوكئا على عصاه ، وقد سأل « كرستينا » عن الماشية واجابته هذه بانها جيدة ، وقد احمر وجه « كريستينا » نوعا ما ، ثم تابع سيره نحو الغابة ليرى كيف يسير العمل، ولقد ابتسم لمنظر نوع من الثياب رآه غريبا ، ثم تابع سيره، فقد كان رجل عمل لا يعرف التعب اليه سبيلا ، اما « كريستينا » فقد بكت لشيء ما قاله لها السيد ، ولكنها الآن سوف لا تقصه على « مارجاريتا » واخذت شيئا من الثمر وضعته في فمها ثم تابعت حلب الماشية حتى فرغت من ذلك .. فرفعت الجرة ووضعتها بعناية فوق راسها ، وبدات سيرها عائدة نحو المنزل .

وكان للسيد ابن شاب غائر العينين ، شاحب اللون ، ممتليء الوجه بحبوب صغيرة ، يصغر اخته بقليل ، وكانت امه دائما اثناء طعام الافطار تقول له : انه شيء غريب ، رياضة بدنية اكثر مما ينبغي ، وعلى نحو ينهك الجسم هكذا .. شيء غريب ، وكان الفتى يرتعش لسماعه هذا ، لانه وحده ... هو الذي يعلم الى اين تذهب « اسبيرانثا » كل مساء ، وكان والده دائما ينبري للدفاع عنه قائلا : نحيف .. عيناه غائرتان هو شيء طبيعي .. طبيعي جدا .. ان الفتى في عمر الـ ... ثم يبتسم السيد قبل ان يختم حديثه بقوله : اوه ... نتهم الربيع .

كان الفتى يهرب من « كريستينا » لانه يرى انها خشنة اكثر من اللازم .. اما الراعي فلم يكن ليهرب منها لانه كان خشنا مثلها ، وكان قد افضى اليها منذ زمن قليل بشيء ثم احتضنها ، وقد تركته هي يحتضنها ثم قالت له : لا ... ووضعت شيئا من الثمر في فمها .

كان هذا الراعي مختبئا بين زروع مجاورة ، ثم خرج واخذ « كريستينا » من يدها ، وتركا جرة اللبن على الارض ، ثم حمل هو لها الجرة مسافة طويلة ، وذهبت بعد الى المنزل مسرورة جدا تتواثب كالغزال ، ولكن عندما وصلت المنزل احست بقشعريرة في ظهرها وبقيت منهمكة في تفكير ، فقد خيل اليها ان كل العيون تلحظها بنظرات فيها ظنة .. امر السيد بان يسرج له فرسه وذهب الى المدينة ، وكان على السيدة ان تضاعف حراستها للخدم ، لان زوجها لم يعد بجوارها لكي يساعدها على رعاية النظام ، ولان اولئك الخادمات لسن شيئا آخر اكثر من طائشات ، ولان العمال في كثير من الاحيان يعوزهم الحياء .. ولكن «كريستينا» قد احبت ان تخرج في المساء لتشم روائح الزهر مع الاخر ... مع الحطاب الذي يخرج مرتديا ابهى ثيابه ، وكانت تعتمد على كتفه وهي تسير نحو البناء المرتفع ذي القبة لكي تتامل القمر ...

اما « مارجاريتا » فستبقى نائمة اذ من المعروف ان السيد ليس موجودا ، ولكن عندما يعود من المدينة سيحضر لها قطعة من القماش نقشت عليها ورودحمراء لكي تصنع منها ثوبا ، وقد قدم لها من قبل مثل ذلك ..

واما «اسبيرانثا» .. فهي تخرج دائما مستخفية عندما تبدا الصراصير في غنائها الذي يظل متتابعا رتيبا طول الليل ، حتى ان الشخص الذي يتعود سماعه يبدو له انه لا يسمع شيئا وانه صدى لهدوء الليل ..

وصل الطبيب فربط فرسه من لجامه في شجرة من تلك الاشجار الضخمة المحيطة بالمنزل ، واتجه يمينا نحو المنزل ثم جعل يعد .. واحد .. اثنان .. ثلاثة اربعة . ولما كان الليل حالك السواد فانه قد اخطأ ودق باصابعه دقات خفيفة على زجاج النافذة ، وجعل ينادي بصوت خافت .. « ماريا » .. ماريا .. ولم يكن في حاجة الى ان يرفع صوته لانها هي جيدة السمع، ولقد تعجبت السيدة لسماع صوت يناديها من خلف النافذة ، ففتحت الزجاج واذا برجل يتسلق عليها النافذة وينزل عندها في الحجرة ، ثم يقول لها : «انظري .. كيف ان هذا هو افضل مكان .. » ولكن السيدة لم تقل شيئا ، لانها ارادت ان تعرف نهاية الشوط الذي سينتهي اليه الطبيب ، ولو انها استنكرت بحواسها الخمس ذلك الموقف ، ولم تكن بحاجة الى اكثر ... ومع ذلك فقد عرفت بغريزة المراة كل شيء ... ولكن شيطان البدن ...

ثم قالت في فزع : ما هذا ؟ .. لا .. ليس من الممكن ... فقد ارادت ان تعرف الى اي حد ستصل بالطبيب جراته ...

وفي الحجرة المجاورة كانت الفتاة – ابنتها – ترتعد في قميصها مع ان راسها يستنكر خوفها المصطنع ثم قالت لنفسها : لم يستطع ان ياتي الى هنا ...

ولقد ادرك الطبيب حينا انه قد اخطا الهدف فقال للسيدة : لا ادري كيف استطعت ان ابقى هنا وقتا اكثر مما ينبغي من غير ان احسب لذلك حسابا .. في الحقيقة هو واجب يمليه الضمير ، لقد قلت : اين ساستطيع ان ارى « ماريا » لكي اخبرها؟ وحينا فكرت .. في حجرتها ، فقالت له السيدة : ومن اجل ذلك قلت لي عند دخولك : « الا ترين كيف ان هذا هو افضل مكان ؟ » فقال : نعم ، كما قلت لك في الحقيقة انه واجب .. زوجك .. فقالت زوجي ؟ قال : نعم زوجك . فقالت : ماذا ! فاخترع الطبيب خرافة واتهم « كريستينا » ... وقال : انا رايتهما ، قال ذلك عندما راى نفسه محرجا ، ثم خرج من النافذة ايضا .

وبحث جيدا هذه المرة ثم دق باصابعه على النافذة الاخرى ، وكان قلقا نوعا ما .. اما فرسه فلكثرة ما نازع اللجام المربوط به في الشجرة ، تقطع ذلك اللجام وانطلق الفرس كالشعاع وصادف ان كان السيد عائدا من المدينة ممتطيا فرسه فذعر الفرس ووثب فسقط السيد على جانب الطريق ، فقال وهو مطروح على الارض : « اوه ... تتهم الربيع » .

اما « كريستينا » فقد خرجت مع الحطاب وهو ممسك بيدها وهي تتامل القمر في طريقها الى البناء المرتفع ذي القبة ، وهنالك استنشقت روائح الازهار العطرة ..

كما خرجت « مارجاريتا » كذلك لتتجول امام الحظيرة ، مصعدة هابطة زهاء عشرة دقائق ثم قالت لبائع الخبز لقد تاخرت عن موعدك ، وفي مثل هذه الساعات الباردة من الليل يصيبني الزكام .

طلب الحطاب مقابلة السيدة وقال لها : ان الذي يجب ان يخرج من المنزل ليس « كريستينا » وانما انا ، ورجاها ان تغفر له ، ولكن « كريستينا » كانت قد جمعت ثيابها بعد ان سكبت بحرا من الدمع ، وخرجت فسلكت الطريق الفرعي المؤدي الى الطريق العام ..

جلس السيد منقبضا وقد افهمته ابنته ما وقع ، ثم دخلت السيدة وجلست على طرف الفراش مبتسمة وقالت : ان صديقة السيد قد طردت الى الطريق – وكانت توجه الحديث لزوجها – فقطب السيد ما بين عينيه ، ثم نظر الى الحقيبة التي احضر فيها الثوب الاحمر لمارجاريتا وفكر .. كيف يصير هذا ممكنا وقد رآها منذ عشر دقائق تمر، فعادت السيدة تقول – وهي ما زالت مبتسمة – : انني عرفت ان الحطاب قد جعلك اكثر اطمئنانا فقال : من قال لك هذا ؟ فقالت : هو نفسه ، لقد كان معي منذ قليل ، ولكن .. لا .. لا اقول ذلك .. اقول اسم الاخرى .. فقد كان الطبيب مساء في حجرتي .. وكانت ابنتها داخلة تحمل طعام الافطار لابيها ، فاضطربت لسماع كلمة « الطبيب » وسقط الطعام من يدها ، وقالت : ان نوبة عصبية قد اصابتها ، وكان عليهم ان ينادوا الطبيب، ولكن السيد لم يحب ان يراه ، وقال لزوجته : لقد خدعك الطبيب ببساطة ، ليست « كريستينا » انها اخرى ، فابحثي عنها ان شئت ... وازاء هذا ارادت السيدة ايضا ان تعيد النظر فيما قال الطبيب ، ولو انها في اعماقها كانت تثق فيما قال ، ولكن ارادت ان تطمئن نفسها ، ولما كان الطبيب بالنسبة اليها موضع ثقة ، فقد اختلت بابنتها واستطاعت ان تزيل منها النوبة بطريقة اصيلة تعرفها النساء .

وصل الراعي يحمل غطاء راسه في يده ، وتقدم الى الموضع الذي فيه السيدة ، وقدسعل قليلا ثم قال : ان « كريستينا » بريئة يا سيدتي ، واقسم لك على ذلك .. وكانت السيدة قد تغيرت فكرتها ، فامرت بالبحث عن « كريستينا » وقد اصبح المتهم الوحيد في نظرها الان هو زوجها ، اما اخطاء الاخرين فلم تعد تهمها .

رجعت « كريستينا » فرحة مبتهجة ، وقبلت اقدام سيدتها ، ثم امرت السيدة بنداء « اسبيرانثا » وقالت لها : حسن يا « اسبيرانثا » لكي نتعرف على شيء من السر – . لقد قررت العفو ولكن عليك ان تقولي لماذا السيد .. ؟ فانخرطت « اسبيرانثا » في البكاء وقالت : آه يا سيدتي .. ابنك .. فقالت السيدة : كيف ابني .. ؟ فقالت « اسبيرانثا » : لقد امر به ان يرسل الى مدرسة داخلية ولكن في الطريق قد انقذ من ذلك طبقا لاوامر والده ، وابعد الى تلك الدار الخلوية الصغيرة الواقعة في الجانب الاخر من الوادي ، ولما كانت السيدة قد ابعدت « اسبيرانثا » فقد عهد السيد الى هذه ان تعني بشؤون ابنه ... وحينئذ امرت السيدة باحضار

« مارجاريتا » واتهمتها بالتآمر ضد سعادة المنزل ، فقالت لها « مارجاريتا » بغير اكتراث : حسن .. قولي ما تشائين فانا لن أعير قولك هذا اهتماما ، وامام هذا طردتها السيدة والقت بها الى الطريق ، فذهبت لكي تعيش هناك ... في الضيعة التي تقع بعيدا عن المنزل — والتي يملكها السيد — ولكن السيد عندما اطمأنت له الامور لم يتركها بل نقلها الى تلك الدار الخلوية الصغيرة الواقعة في الجانب الاخر من الوادي ، واصبح من الملائم التفكير في اصلاح تلك الدار والعناية بحديقتها ، كما اصبح السيد يتردد عليها .. وهكذا يستطيع ان يراقب ابنه جيدا ...

اما ابنته فقد اصبحت تعاني ازمات عصبية متوالية ، وقد نصح لها الطبيب ان تغير الجو ، وان تذهب مثلا الى الدار الخلوية الصغيرة حيث تستشفي وحيث تستطيع ان تعنى بابيها الشيخ .. وهكذا جعل الطبيب يزورها بصفة مستمرة ، اما الازمات العصبية التي كانت تنتابها ...

— 4 —

مر الزمن وانقضت ايام الربيع ، واقبلت ايام الشتاء التي تجلب رعشة الابدان وانكماشها وماتت السيدة ، وحملت لتدفن في المقبرة المجاورة للكنيسة ، وان مطرا لم ير مثله قد هطل بغزارة فبلل المشيعين .

اطوار الشعر العربي

« اذا اخذت الشعر العربي كله فعرضت تاريخه كما تعرض تاريخ الكائن الحي وجدته قد تطور في موضوعه تطور الامة العربية ، وقطع معها مراحل الحياة الانسانية ، فهو في الجاهلية انغام صبا ، وحماسة فتوة ، وعواطف اثرة ، وفي الاسلام اناشيد جهاد ، وثورات عصبية ، واطماع حياة ، ثم استحار شبابه ، واكتمل في صدر الدولة العباسية ، فظهر في شعر بشار وابي نواس واضرابهما عبث شباب ، واغاني طرب ، ومظاهر ترف ، ثم عض على نواجذ الحلم ، واكتهل في اوساطها فبدا في شعر بن الرومي وابي تمام والمتنبي وامثالهم دروس تجربة ، ونتائج حكمة ، وخواطر فلسفة ، ثم ادركه الهرم في اواخرها فظهر في شعر المتاخرين تمويه الصنعة ، وخرف شيخوخة ، ومعالجة روح . اما ولادته وطفولته فلم يدركهما التاريخ ولم يدخلا في علمه » .

الاستاذ حسن الزيات

عندما تكون السينما أداة في يد الاستعمار

للاستاذ ب . ك

لقـــد بــدأ اكتشاف السينما في بداية الامة كما يتم اللعب ، وكانت التجارب الاولى مسلية ، ولـم ينتبه الرواد الاوائل الذين شغفوا بتحريك الصور الـى انهم قد وضعوا بداية فن سيكون له تاثيـر كبيـر على الحياة الانسانية وسيصبح في تطوراته من الضرورات الثقافية اليومية للشعوب .

وهكذا .. فاللعب السينمائي الاول اصبح اليوم صناعة ضخمة قائمة بذاتها ، والسينمـا دخلت حاليا في المقومات التي تتكون منها الحضارة من ادب وعلـوم وشعر وفلسـفة واقتصاد وتاريخ وسياسة ، بل انهـا اصبحت بمثابة تلخيص مرئي لهذه المقومات ، تكتشـف فيهـا

ففي السينما بحكم خصائصها الحديثة نجـد الصناعة العلمية وفنون الادب والموسيقى والتصويـر والزخرفـة والديكور والضوء والصوت ونجد التاريخ والسياسة والاقتصـاد .

وهي زيـادة على هـذا تشعبت الى اتجـاهـات مختلفة ، اسوة بغيرها مـن الفنـون فهنـاك الاتجـاه الكلاسيكي للسينما وهنـاك الحديث وهنـاك التقدمي وهناك الرجعي ، كما انها اندمجت في الثقافة الشعبيـة في الاقطار التي اولت لها اهتماما وطنيا خاصا كما هـو الامر مثلا في البلدان الاشتراكيـة .

ان السينما بـدأت كامتـداد للمسرح ، لهـذا سيطرت عليها العقلية المسرحية الى حقبة طويلة مـن الزمـن ، لكـن بفضل المجهـودات الثورية لبعـض السينمائيين استقلت تدريجيا بذاتها ، واصبحت تتوفر على اسـس وقوانين خاصـة ، وبعـد ان كان الحـوار المسرحي هو الغالب عليها ، اصبحت الحركـة هـي الركيزة الاولى لها .

ان السـينما اليوم اجتازت مراحل التسلية البحتة واصبحت اداة ثقافية من الطراز الرفيع لها امكانيـات هائلة للتثقيف الجماعي للجماهير . ان الفيلم الواحـد في ساعة واحدة يمكن ان يعرض في جميع انحاء العالـم على ملايين من المتفرجين . لكن ، هل تسير الصناعـة الـسينمائية بامكانياتها الضخمة حاليا في مجموع انتاجها العالمي في الطريق الذي يجب ان تسير عليـه ؟

ان مشاهدة افلام اسبوع واحد في مدينة كالدار البيضاء مثلا ، تشعر الانسان ان الصناعة السينمائيـة ــ للاسف في بعض الاقطار المنتجة لها ــ بعيـدة كـل البعد عن رسالتها الحضارية ، وانها تستخدم في تلـك الاقطار لاغراض غير شريفة ، لاغراض تشويه الواقـع البشري وتزييف الحيـاة الانسانية ونشـر مفاهيـم مخربـة للقيـم السلميـة .

ونحـن لن نتعرض هنـا الآن للجانب الشريـف للسينما ، ولن نذكر سائر الاتجاهات غير الشريفـة ، وانمـا سنتناول اتجاها واحـدا ، هـو بحـق اخطـر الاتجاهات غير النظيفة في الوقت الراهن ونعنـي بـه الاتجـاه الاستعمـاري .

من المعلوم ان الاستعمار ، عندما يريد السيطـرة على قطر ، يستخدم ــ بغض النظر عن قواه العسكرية ــ رأسماله لضرب اقتصاديات هـذا القطـر ، وخبـراءه لتخطيط سياسـة استغلالية مناسبـة لمصالحه ، انـه

لا يريد ان تظل في القطر الطامع فيه اية مظاهر للقومية . وبالتالي فان مخططاته تشمل ايضا تشويه الثقافة الوطنية له ، وتزييف تاريخه وتمييع عاداته الوطنية والشعبية التقليدية التي تشكل الاساس الاخلاقي للسكان .

ولقد اضيف الى تلك الاسلحة الايدلوجية ، الفن السينمائي ، لانه يستطيع في آن واحد وبمجهودات اقل ، التبشير بدعاية معينة في رقعة واسعة من العالم .

السينما الاستعمارية هي الآن سلاح مهم في ايدي اعداء الشعوب ، وتتركز بؤرتها في اضخم عاصمة سينمائية ، وهي هوليود .

والانسان لا يرمي هذه التهم جزافا ، كما انه لا ينكر على هوليود تاريخها المجيد في تطوير وتحسين الصناعة السينمائية ، ولا ينسى انتاجها السابق الذي بهر العالم ، لكن هوليود الآن فقدت — للاسف — تقاليدها الانسانية الجدية ، بعد ان فرض رجال المال سيطرتهم على ارباب الفن ، وبعد ان طمعت فيها رؤوس الاموال الضخمة والامتيازات الكبيرة ولا سيما الصهيونية ، لتخضعها لاهوائها وتجعلها مركزا دعائيا لمصالحها ، وهكذا ... تصبح هوليود المرحة المشرقة ، من الدوائر الرسمية المعقدة التي عليها ان تخدم سياسة الامتيازات التي توجه الدولة والراغبة في تحقيق توسع استعماري جديد بعيد المدى في العالم .

فمن هوليود تظهر الى الدول الفتية والشعوب ، افلام تنفث دعاية معادية للكفاح التحرري والازدهار الوطني والسلام والتعايش الاخوي ، والشعوب العربية والافريقية على الخصوص يخصص من اجلها انتاج معين لمحاربة طموحها في اتمام استقلالها .

ان الاوساط الصهيونية في امريكا قبل احتلالها لهوليود واخضاعها بصورة نهائية ، مهدت لذلك بحملة تطهير تناولت جميع العناصر المؤمنة برسالة الفن وانسانيته ، فدبرت للفنانين الاحرار محاكمات بتهم مختلفة ، وتزعم الحملة (مكارثي) رئيس مكتب الاستخبارات ، الى ان تم تجريد هوليود الجميلة من طابعها الديموقراطي في الفن ، وطرد منها من جملة المطرودين الفنان الانساني الفذ شارلي شابلن ، لاصراره على اتباع اسلوبه التقدمي الهادف في الفن السينمائي .

وان كانت قد بقيت هناك الآن رواسب قليلة للانتاج الانساني فقد قيد الى ابعد حدود التقييد وابعد تماما عن معالجة جذور القضايا البشرية والمآسي الاجتماعية .

ولا شك ان الاوساط (المائعة) في اقطار استعمارية اخرى ، تلجا بدورها الى انتاج افلام ذات اهداف غير شريفة ، لكن الامر في هوليود يختلف ، لانها زعيمة الصناعة السينمائية في العالم الراسمالي ، ولانها تتوفر على امكانيات هائلة . ولا يمكن التحدث عن تفاصيل وجزئيات الاساليب التي تمارسها افلامها التبشير بدعايتها ، انما يمكن القول ان الحملة السينمائية الاستعمارية اصبحت منظمة بدقة متناهية ويشرف عليها خبراء مختصون في سائر الفروع النفسية والاجتماعية والتاريخية ، وسنعرض فيما يلي ملخصا لهذا التنظيم ، ونصنف الافلام الاستعمارية حسب المشاكل التي تتناولها والمواضيع التي تعالجها :

1) **ضد الحركات التحررية للشعوب** : غاية الافلام التي تتعرض الى الحركات التحررية للشعوب هو تشويه طموحها الوطني ولا سيما الحركات المنتشرة الآن في افريقيا وامريكا اللاتينية وبلدان آسيا التي لم تتحرر بعد .

ان اكثر الافلام التي تعرضت الى الثورات الافريقية ، صورت الثوار الوطنيين على انهم مجموعة لصوص حفاة ، متوحشون هدفهم السرقة وسفك الدم ، مع التجاهل الكامل للاستغلال الاستعماري المسلط عليهم . والنماذج الاستعمارية تزعم انها عناصر متمدنة سامية راقية متفوقة ، كما يتم انتاج افلام توحي للافارقة بانه لا غنى لهم عن مساعدة (الابيض) الذكي لهم ، ان هوليود تخرج في الكونغو الآن وبناحية كاطانكا ، فيلما للتشهير بالحكومة الشرعية والدعاية للخونة الانفصاليين ومناورات هيئة الامم ، وكان قد انتج فيلم عن كوبا صور وطنييها كلصوص افاقيين هدفهم العنف الوحشي المجرد ، والاعتداء على النساء ، اما ارهاب (باتيستا) فلا يذكر بطبيعة الحال (ويضرب عليه بسكتة)

2) **التبشير بالغزو الصليبي** : لقد خصص نوع من الافلام هدفه اقناع المواطنين الاوربيين والامريكيين البسطاء ، بانه من حقهم كمتمدنين .. تعمير الكرة

الارضية والحلول محل شعوب الاقطار المحتلة ، لان هذه الشعوب بتخلفها لاتستحق الحياة ويجب ان تفسح المجال للشعوب المتمدنة المتفوقة .. كذا .. وفي هذا الاطار يلعب الصهيونيون دورا كبيرا في تحضير افلام تبرر الاحتلال الصهيوني لفلسطين وتشريد شعبها .

وقد تم فعلا انتاج العديد منها عرضت في العواصم الاوربية والمدن الاميركية ، واضافة الى ذلك ، فهناك الحاح متعمد لتمر الاسواق السينمائية بافلام من نوع الهجرة الى ارض الميعاد التي هيأها القدر للجماعات النشيطة وافلام الهنود الحمر على الخصوص تلعب دورا اقناعيا لدعم هذه الفكرة حيث يتم تلقين المتفرجين بان نشر الحضارة الحديثة في القارة الامريكية كان يقتضي تقتيل سكانها الاصليين ، وابناءهم عن آخرهم ؛ ودفاع هؤلاء السكان عن ارضهم يصور وكانه اعتداء على المدنية والمتمدنين ومتى اقتنع المتفرج الاجنبي البسيط بالضرورة التي اقتضت افناء الهنود الحمر ، فانه سيقتنع بالتالي بضرورة تشرد لاجئي فلسطين والغزوات الصليبية الجديدة في الجزائر وانجولا وجنوب افريقيا .

3) **تزييف التاريخ القومي للشعوب :** ان انتاج الافلام التاريخية اصبح يوازي من حيث العدد افلام رعاة البقر ، مع انها افلام لا علاقة لها بالحقائق العلمية الدقيقة للتاريخ وانما تحتوي على مظهر تاريخي ومضمون خرافي خيالي ، يجعل التاريخ تاريخ اشخاص وسلالات واسر حاكمة ويربط الحوادث التاريخية باهواء محظيات القصور وخبلات الحكام ، اما الجماهير فتظهر كمجموعات خلفية (كومبارس) تبدو باشكال غبية مزرية .

وان اخطر هذه الافلام بالنسبة الينا ما يتعرض على الخصوص لتاريخ العرب والحضارات الشرقية مثال ذلك ، فيلم تعرض لحياة صلاح الدين الايوبي ، فجرد هذه الشخصية المجيدة ، من سائر الصفات البطولية التاريخية ، واظهرها (كبدوي) يصرخ مثل (طرزان) ويركب الحصان ويخطف النساء (كراعي البقر) ويغازل بوقاحة ، ويحب الاميرة الشقراء الاجنبية التي هي اجمل ، ومفضلة على بنات العرب ، وفيلم آخر عن تاريخ مصر القديمة ينسب بناء وتصميم الاهرامات بكل نذالة الى مهندس انكليزي قيل انه كان بين الاسرى ، وفيلم آخر عن موسى صور العبريين كأصل للمدنية في الشرق ومعلمي العرب ورواد النشاط الحضاري القديم في فلسطين .

وفي بلد عربي يتم حاليا تحضير فيلم بريطاني عن حياة الجاسوس البريطاني المشهور (لورنس) ولا ندري ان كانت ستنسب اليه الثورة العربية الكبرى التي قام بها العرب ضد الحكم العثماني .

ان مثل هذه الافلام تهدف الى تجريد الشعوب الشرقية من امجادها التاريخية ومفاخرها التقليدية وتحطيم ثقتها بكفاحها التاريخي ودورها الحضاري القديم ، والايحاء لها بانها شعوب (لقيطة) كانت منذ الازل على هامش الاحداث العظمى .. اما المستعمرون فهم في زعم هذه الافلام رسل المدنية منذ الازل .

4) **الدعوة للحروب والتشهير بالسلم :** ان افلام الحروب لم تعد تحصى ، وهي تملأ السوق السينمائي بوفرة ، فهل تعالج موضوع الحروب التي افنت الملايين، من زاوية انسانية ، كعمل اجرامي يستهدف القضاء على امن ومستقبل العالم ؟ . ابدا ....

بل تعالجه كضرورة حتمية لتقدم وازدهار البشرية ، وتتبع هذه الافلام اسلوبا رخيصا في اقناع الشبان على الخصوص بجمال و (روعة) المغامرات الحربية ، بربطها بشكل مباشر بالمغامرات النسائية التي سيصادفها الجندي في مختلف الاقطار التي سيرسل للقتال غير المشروع فيها .

ان انتاج افلام كهذه يتشابك واهداف تجار الحروب الذين يريدون جر العالم الى مجزرة عالمية جديدة ، واخطر من هذا تبرير التجارب الذرية وتصوير الجريمة التاريخية التي تمت في هيروشيما وناغازاكي حيث احترقت مئات الالوف في لحظات ، على انها عمل وطني دفاعي انقذ العالم .

وفي الوقت الذي تتعاظم فيه حركة الشعوب المطالبة بالسلم والكف عن التجارب الذرية ، تنتشر هذه الافلام لتخريب هذه الحركة وتعطيلها .

5) **الدعاية للحكومة الفاشيستية :** هذا النوع من الافلام له اسلوب خبيث جدا ، في التبشير بالافكار

الفاشيستية ، فقد تعرض مثلا مشاكل الجماهير المضطهدة المحرومة من الديموقراطية ، تعرض بواقعية وصدق ، لكن ياله من صدق كاذب . . عندما ينتهي الى حلول مفرضة ، ان الحلول الثورية للمشاكل الوطنية تشخص ببطل متفوق (سوبرمان) يقلب الاوضاع بعبقريته الخاصة وقوته الخارقة ؛ اما دور الجماهير ودور العمل الديموقراطي الجماعي فيلفى تماما ، ان الذي يستفيد من ذلك هم بلا ريب الطغاة الذين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار . ان الفكرة التي تبشر بها هذه الافلام هي تعزيز القدرات الفردية للحكام وتقديسها وابعاد الشعوب عن التفكير او اللجوء الى امكانياتها الجماعية عندما تحاول تغيير الاوضاع الفاسدة ، ان القائد الدون جوان الخفيف الحركة ، هو المؤهل في زعم هذه الافلام الى خلق الاحداث التاريخية، والى جانب ذلك تنتج افلام تعمد الى تشويه رخيص لكل نشاط ثوري جماهيري ووضع حركات المقاومة في مقام العصابات التي ياكل الحقد قلبها .

6) تجريد المعامـلات الشخصية من انسانيتها : هناك افلام الاثارات التي تتعاظم بشكل خطير ، وفيها نرى ان سلاح المرأة الرئيسي هو انوثتها السطحية ، وسلاح الرجل هو قواه العضلية العمياء وامكانيات الفتك وسحق الآخرين ، فتلغى من المعاملات اليومية للفيلم المشاهد اية وسيلة للتفاهم الانساني بين الاشخاص ، واذا ذكرت فانها تذكر كملحق ثانوي ، وعلى هذا الاساس يجب ان نقتنع بان الافاق المجرم كائن محترم ، والمرأة الحيوان كائن عصري . ان الذي يتضرر من هذه الافلام بالدرجة الاولى هي الشعوب الفتية التي مازالت طباع افرادها الاجتماعية مرتبكة وغير مستقرة نتيجة للعزلة الحضارية التي فرضها عليهم الاستعمار والتاخر الناتج عنه ، بحيث يتم اقناعهم بالاحتفاظ باخلاق التاخر وفهم المدنية على انها مجموعة مظاهر قشرية تحيط بهذه الاخلاق .

لاننا نشاهد في هذه الافلام ، القتل والهمجية والغدر واللؤم ، في السيارات العصرية وناطحات السحاب وانفاق المترو والطائرات والصواريخ ؛ فياله من تناقض صارخ .

ولعل الغرض الحيوي من هذه الافلام ، هو تربية نماذج بشرية مثل تشومبي وموبوتو في الكونغو التي قتلت الرئيس لوموميا وذبحت المواطنين المخلصين وهي ترتدي ملابس القرن العشرين ، ومثل المرتزقة والعصابات الفرنسية التي تخوض غمار مجزرة الجزائر ضد شعبها الآمن ، ان الاستعمار في سبيل اغراضه يزيف ليس اخلاق الشعوب الفتية فحسب ولكن اخلاق مواطنيه ايضا .

7) تحطيم الثقة بالاخلاق القومية : لكل شعب عادات قومية مرتبطة بتاريخه وكيانه الاخلاقي ، وهي لا علاقة لها بعادات التاخر والجهل ، هذه العادات القومية تدفعه للدفاع عن كرامته وتراثه وارضه وامجاده ؛ ان بقاءها وتطويرها ضمان لتمتين الروابط الشعورية بين المواطن وبلاده وشعبه ، اما انهيارها فمن شانه ان يميع مواقف الانسان الوطنية ويسمها باللامبالاة ومن ثم بالخيانة .

لذلك فهنالك صنف من الافلام السينمائية غرضها توجيه الافراد الى احتقار عاداتهم القومية وهجرها ، فهي تهزأ منها وتضعها في قالب هزلي يثير الضحك ، وتعرضها على المتفرجين كما لو كانت عادات رجعية وذلك بخلطها خلطا متعمدا باخلاق الجهل . وهناك افلام تتمم هذه ، حيث تصور لنا الجواسيس والخونة الذين يتآمرون مع الاجنبي ضد شعوبهم على انهم ابطال يخلدهم التاريخ وتجد لهم النساء الشقراوات ، بل كثيرا ما نرى بدهشة واشمئزاز بالغ كيف يوصف الخائن الذي يتنكر لكفاح وطنه من اجل ارضاء جاسوسة اجنبية ، بالرجولة والذكاء .

هذه الحلقات من الافلام من جهة تهيء الفرد نفسيا للدوس على تقاليده القومية واحتقار بلاده ، ومن ثم ترسم له طريق الخيانة محفوفا باقواس النصر . واذكر من هذه الافلام واحدا ، تعرض لتقاليد الشعب الياباني الاصيلة ومسخها وهزأ منها بصورة فظيعة ، بينما من جانب آخر كان هناك تمجيد واضح للتقاليد الاميركية التي يراد لها ان تحل محل التقاليد الوطنية لليابان .

8) تمجيد الامبراطوريات والسياسة التوسعية : للافلام التاريخية ايضا اتجاه آخر لتزييف التاريخ ، هو الذي نراه يهتم بتمجيد الامبراطوريات الرومانية القديمة بعظمتها العسكرية (وفخامة) سيادتها على العالم وترفع قوادها العسكريين ، ان الهدف من هذه الافلام تجديد الاحترام للامبراطوريات الاستعمارية

بعد ان حتم التاريخ في عصرنا هذا زوالها وانقراضهـا، وحكم عليها بصفة نهائية ، ولان الاستعمار يعتقد ان ما فرض التاريخ زواله يمكن للسينما ان تعيد هيبتـه . والآن يسعى الاستعمار فعلا لفرض اشكـال جديـدة للتوسع الامبراطوري ، ان عهدنا عهد دول متحـررة مستقلة تتعايش فيما بينها تعايشا اخويا سلميا ، ولم يعد هناك من مكان لامبراطورية خرافيـة عسكريـة او سياسية تحكم العالم .

ان ما ذكرناه ، من هـذه النماذج السينمائيـة ، تبلور الآن في اتجاه سينمائي استعماري ياخذ في النمو والانتشار ، والافلام التي تتعاطى هذه الدعايات تزينهـا بهالة من الجماليات والمثيرات الشكلية والتقنية (اثـارة الاخراج ـ الوان طبيعية جذابـة ـ فخامة العرض ـ سينما سكوب) وبمهارة خبيثة في اخضاع المواضيـع الى اساليب نفسية وحيل فكريـة تراود المتفـرج البسيط منطقه وتتغلب عليه وتهزمه ، بحيث يتقبـل الفيلم الذي ينقع سما ، بحماس نفـي وتخدير ذهنـي واقتناع تلقائي ، لا سيما اذا ارفقت هـذه المؤثـرات بمظاهر الاثارة الجنسية النسائية ، فيحب المتفـرج العلاقة الصريحة بين بطل الفيلم الرجل ، وبطلة الفيلم الانثى ، ومن خلال ذلك يحب الدعاية التي توصي بها ؛ لقد انتبهت الى اخطار السينما الاستعماريـة عـدة جماعات متحررة في الحقل السينمائـي ، فهبت تحارب سمومها بانتاج افلام تحترم الصدق والواقع والشرف، لكن رؤوس الاموال التي سيطرت على هوليود قـررت ـ كما يظهر ـ القضاء على اية نزعة سينمائية انسانية في اي قطر يمكن ان تتسلسل اليه ، واخضاع الصناعة السينمائية في العالم الى ادارة وتوجيـه هوليـود والامتيازات المالية المتحكمة فيهـا ، وان البحث عـن الربح الفاحش لـمن جملة اغراض هذا التوسع .

ان شركات السينما الضخمة في هوليود تفتـح لنفسها فروعا في العواصم الدولية وتتدخـل لتشـارك الشركات الوطنية الناشئة في الاقطار الراسمالية ومن ثم تمتعها بضخامة راسمالها ، والسينما العربية نفسها مهددة بمثل هذه الاخطـار .

اننا نرى الآن افلاما ايطالية او يابانية او فرنسية او المانية من حيث المظهر لكن باتجاه فرضته عليهـا هوليود وشركاتها ، وهكذا فكمـا يسعـى الاقتصـاد الاستعماري في امريكـا للسيطرة علـى اقتصاديـات الشعوب ، يسعى الفيلم الامريكي في هوليود كذلك الى السيطرة على الصناعة السينمائية الوطنية للبلدان .

ان محاربة اتجاه كهذا في الدول التي تتوفر على صناعة سينمائية ، يجب ان تتم في اطـار السياسـة الوطنية للتحرر من التبعية الاجنبية وسيطرة رؤوس الاموال الاجنبية التي لها الآن جانب سينمائي ، ثـم تعاظم حركة نقد سينمائي يفضح باستمرار هذا الاتجاه الاستعماري ، ويحمي السينما الوطنية منـه وينبـه المواطنين الى اخطاره .

اما في الدول الفتية التي لا تتوفر على نهضـة سينمائية وانما تعتبر كسوق مستهلك للافلام الاجنبية، فيجب تكوين رقابة صارمة واعية على الافلام وتشجيع نهضة متينة في النقد السينمائي ، وادراج محاربة الافلام المسمومة في اطار حماية الثقافة الوطنية من التأثيرات الاستعمارية .

ان جهازا رقابيا متينا لن يقل اهمية عن الدفاع العسكري ، لان التهجم الاستعماري المتمثل في السينما اصبح في خطورته بمستوى الاعتداءات الثانية ؛ لا سيما وانه يدخل البلدان بحرية تامـة وتحت ستار الفـن ويجني ارباحا فاحشة بالاضافة الى ذلك يخسرهـا المواطنون لتذهب الى جيوب اعدائهم .

لقد نص المؤتمر الثالث للشعـوب الافريقيـة في القاهرة على ضرورة حماية الثقافة الافريقية القوميـة من التزييف الاستعماري ؛ ولعل محاربـة منظمـة للسينما الاستعمارية لتاتي في طليعة الاجراءات الواجب اتخاذها في هذا الصدد ، طالما ان الكفـاح الافريقـي والتقاليد الافريقية وتاريخ افريقيا اصبحت مرمى دائما لهذه السينما التي يتزايد خطرها يوما عن يوم .



في الاسبوع الثاني من ابريل (نيسان) شهدت الرباط اول مؤتمر من نوعه للتعريب فقد اجتمعت في كلية الآداب وفود تمثل معظم اقطار الوطن العربي تلبية لدعوة من المملكة المغربية لمواجهة المشكلات المتعلقة بجعل اللغة العربية لغة قادرة على التعبير الدقيق الشامل عن مختلف نواحي الحياة الحضارية الحديثة كما كانت من قبل الى ان بدرت ارهاصات عصر الانبعاث الاوربي .

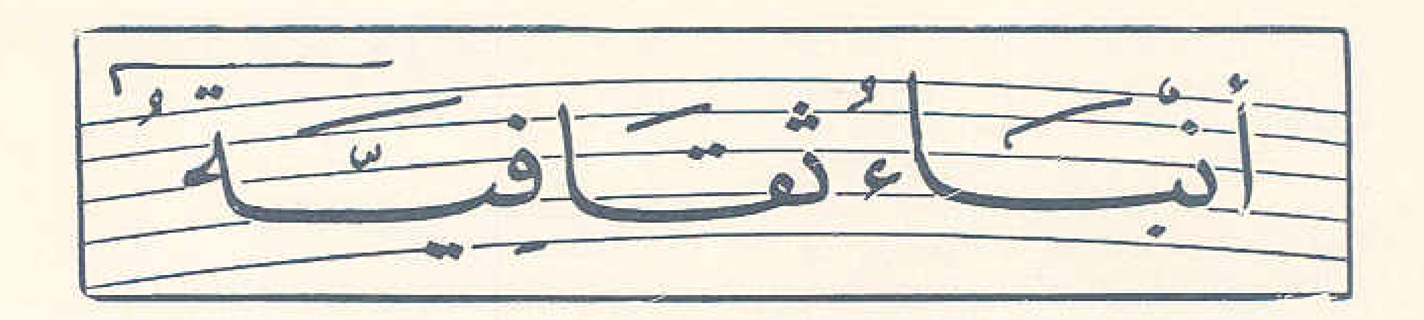
ومعظم الاقطار التي استجابت لهذه الدعوة قد واجهت كما واجه المغرب وان على مستويات متفاوتة الوانا من الاحتلال اللغوي ما بين انجليزي وايطالي وفرنسي واسباني بل ان منها من اخذت تواجه اليوم ضروبا من التسلل اللغوي الروسي والالماني الخ ، ولئن كان الجانب الشرقي من الوطن العربي قد استطاع ان يتخلص من الاحتلال اللغوي وان يحرر لسانه في الميادين الاجتماعية عامة والادارية والتعليمية في اغلب مراحله فان هذا الجانب نفسه ما فتيء يعاني على الاقل من عسر التعبير في الميادين العلمية ذات المستوى الاعلى والمتعلقة بتفاصيل وجزئيات التطور الاختراعي وتقدم الاكتشافات في الشؤون الطبيعية والهندسية والكيمياوية وفي الآفاق الفلكية ، ثم ان تحرر بعض الاقطار العربية الشرقية من التسرب اللغوي او بالاحرى من الهجنة التعبيرية حتى في ميدان التعامل الاجتماعي ، لا يزال مشوبا ، فما من احد زار الجانب الشرقي من الوطن العربي يستطيع ان ينكر انه لاتزال على الالسنة هناك وخاصة تلك التي تزعم لنفسها او للناس انها في اقصى شوط من اشواط الحضارة شوائب لغوية اكثرها من اصل فرنسي صريح او دخيل ، وتلك ظاهرة يستطيع ان يلاحظها حتى الذين لم يتهيأ لهم ان يزوروا اقطار الشرق العربي وانما عرفوا بعضا منها بواسطة الافلام السينمائية وحتى بواسطة الكتب والفصول التي يريد اصحابها ان يخرجوها على انها ذات مستوى ثقافي رفيع ، وليس لمنصف ان يزعم وان جدلا ان هذه الظاهرة تشكل انعكاسا للوضع الصحيح للغة العربية من حيث المقدرة التعبيرية ، فالتحيات التي يطيب لبعض ادعياء التمدن ان يتبادلوها فيما بينهم او مع غيرهم بغير اللغة العربية مثلا لها تعابيرها الدقيقة العريقة عراقة العرب في الشعوب البشرية في هذه اللغة ، ومع ذلك فهم يصدفون عن هذه التعابير وينصرفون الى الاستعارة من لغات اخرى وكثيرا ما تعجز السنتهم عن هذه الاستعارة فلا تؤدي الالفاظ المستعارة الا في اطار فاضح من المسخ والتشويه صوتا ونطقا ، ومع ذلك فهم يعزفون عن لغتهم الى اللغة الدخيلة وان كان عزوفهم هذا لايبرز منهم الا ما كان ينبغي ان يعملوا على ستره من الجهل والادعاء لو كانوا يفقهون .

على حين لا يزال العهد قريبا جدا بالتحرر السياسي والانبعاث القومي في الجانب الغربي من الوطن العربي ومع ذلك نلمس خطوات لاينكر اهميتها من خلص للانصاف واخلص له تزداد على الايام نشاطا وعزما في سبيل التحرير التعبيري على الاقل من الاحتلال وعزما في سبيل التحرر التعبيري على الاقل من الاحتلال اللغوي ، ولئن كان من العسير الادعاء بان هذه الخطوات قد اتخذت طابعا عمليا جديا في بعض الجوانب الحياتية كالجانب الاداري مثلا فانها من غير شك قد اتخذت هذا الطابع العملي الجدي في الجانب التعليمي وان على مستويات متفاوتة تفاوتا مصدره ما بين الجمهورية التونيسية والمملكة المغربية من تمايز في مدى ما توفر لكل منهما من امكانيات واطارات لها الصلاحية الضرورية للعمل على تطوير التعليم وتعريبه في آن واحد. وليس معنى ذلك اننا نشعر بان الجانب الغربي من الوطن العربي قد بذل كلما كان ينبغي له ان يبذله من جهود في سبيل التحرر ولكننا نعني به ان خمس سنوات من الاستقلال في المغرب وفي تونس لم تذهب هباء ولم تكن حصيلتها في ميدان التحرر باقل من حصيلة بعض مثيلاتها في الاقطار العربية الواقعة الى الجانب الشرقي من الوطن العربي .

على اننا لا نريد ان نبريء الجانب الغربي من وصمة خزية نلمحها فنأسى لها اسى مريرا ونذكرها فنخجل منها خجلا كاسفا وهذه الوصمة هي ان الشعور الغالب على الاطارات العليا وعلى جانب كبير من عناصر الجيل الصاعد هو ان اللغة العربية لغة تمثل وضعا

تاريخيا اكثر مما تصلح لان تمثل صبغة قومية قابلة للاستمرار، فقد كان من المستطاع بقليل من الجراة وكثير من الجد ان تقطع حياتنا الادارية في المغرب العربي وفي المملكة المغربية بصفة خاصة شوطا ابعد نحو التعريب الاداري لو ان هذه الوصمة لم تكن مهيمنة على الايدي التي تمسك بالمقاليد فلم تعد اللغة العربية في مثل القصور التعبيري الذي يحاول البعض ان يصمها به في المجالات الادارية على الاقل بعد ان بذل كل من المجمع اللغوي بالاقليم المصري والمجمع العلمي بالاقليم السوري جهودا طويلة الامد بعيدة المدى عظيمة الخطر واسعة المجال في تعريب الكثير من مستحدثات التعابير الادارية والعلمية والتعليمية وغيرها ، ولكن كلا من مركب النقص الذي يشعر به العرب في المغرب العربي امام الاجانب وامام حضارة الدولة المحتلة بصفة خاصة والمحافظة على النوع والدفاع عن المصالح الخاصة اللذين يهيمنان على تصرف بعض العناصر ذات التاثير السياسي جعل التحرير اللغوي اداريا وتعليميا يصطدم بعقبات ليست اللغة العربية بمسؤولة عنها وانما المسؤول عنها هو الوضع النفسي المهيمن على مراكز النفوذ وقد تكون في هذه الكلمة جراة جارحة ولكنها الحق الذي كان ينبغي ان يتمثله المؤتمرون في صدر ما يتمثلون من مشاكل التعريب وهم يتدارسونها في المؤتمر ، وآية ذلك ان وزارة التهذيب الوطني بالمملكة المغربية قد استطاعت وحدها ودون ان يكون لها مجمع خاص بالتعريب ان تضع مشكورة اجزل الشكر قاموسا ضخما لطائفة كبرى من المصطلحات والتعابير للجانب الاداري منها حظ كبير ، وما من شك في ان الكثير من هذه المصطلحات والتعابير قد سبقت الى وضعه او اقتباسه وما من شك في ان الادارة المغربية كانت تحقق شوطا بعيدا في التعريب لو انها اتخذت من هذه المصطلحات والتعابير اداة تعبيرية لحياتها اليومية ، ولكن الواقع هو ان هذا المعجم الضخم لا نظن انه قد اتخذ طريقه حتى الى غير الادارة التي انجزته من مختلف الادارات التابعة لوزارات التهذيب الوطني ، فالامر اذن كما يشهد الواقع العملي ليس امر قصور في اللغة العربية تحتاج الى الاحتشاد والنفير للعمل على تلافيه وانما هو امر حالة نفسية ، قد تحتاج الى مثل هذا الاحتشاد والنفير للعمل على علاجه ، ولسنا ننكر ان باللغة العربية حاجة ماسة الى الوان شتى من التهذيب والتطوير والاقتباس والوضع لتتوفر لها اسباب السهولة واليسر والطواعية التي تقتضيها حياتنا الراهنة ، ولسنا ننكر ان تعدد المجامع اللغوية ان يكن قد افاد في هذا المضمار شيئا فهو انه قد اعد لنا مجموعات من الالفاظ والتعابير لا تزال بحاجة الى ان تتفق عليها هذه المجامع وان تسيغها بعد ذلك اذواق الكتاب والقراء لتصبح صالحة للاستعمال ، ولذلك فنحن نرى في هذا المؤتمر جانبا هاما واحدا على الاقل يمكن ان نعتبره كنتيجة ايجابية عملية له ، وهذا الجانب هو انه اتاح الفرصة لممثلين لمختلف المجامع ثم لممثلين لاقطار ليست لها مجامع لغوية ولكنها تعني منذ حين او اخذت اليوم تعني بهذه الناحية من نواحي تطوير اللغة العربية لان يجتمعوا ويتدارسوا امر تطوير اللغة وتلقيحها ويعرض كل واحد منهم على زملائه ما تهيأ له او لقطره او للجهاز الذي يعمل فيه ان ينجزه او يحاول علاجه ، وما من شك في ان هذا الاجتماع والتدارس والعرض قد حققت مرحلة من التعارف وربما من التآلف ومن يدري فقد تكون ارهاصا بتجمع الجهود واحتشادها في مجمع لغوي عربي واحد يعمل على مستوى قومي ويتمثل في عمله ما يتمثله من المشاكل في نطاق قومي تترامى حدوده ما بين الخليج والمحيط ، غير اننا نود مخلصين صادقين ان يكون مؤتمر التعريب في المغرب العربي بداية لمرحلة اخرى هي مرحلة الاعتبار بما تسنى انجازه لعرب المشرق في مختلف الميادين والاقتداء بهم فيه حتى لانبتديء من حيث بداوا ولكي نواصل معهم من حيث انتهوا والتخلص من داء الشعور بالنقص الذي يقعد بنا كعرب عن ان نظهر في حياتنا الحضارية بصفتنا عربا وينحرف بنا لان تستعير فيها صيغات تفضحنا اكثر مما تود ان نزدان بها وان يكون بداية النهاية لعرب المشرق لمرحلة الهجنة التعبيرية في الحياة الاجتماعية حتى يأتي اليوم الذي لاتخدش آذاننا فيه ونحن نعايشهم او نخايل حياتهم على الشاشة تلك الكلمات المتدخلة المحرفة من اللغة الفرنسية او الانجليزية فليس المهم ان تكتب بالعربية او ان ننطق بها وانما المهم اساسا ان نعتز اعمق الاعتزاز واصدقه باننا عرب وان نؤمن اقوى الايمان ويعكس عملنا ايماننا بان اللغة التي استوعبت الحضارات الانسانية الى ان اخترعت الطباعة وشاعت بين الناس قواذف اللهب واسلحة البارود لن تعجز على ان تستوعب حضارة البخار والكهرباء والذرة والصواريخ وعابرات الافلاك وما لم تفعم نفوسنا بهذا الاعتزاز وبهذا الايمان فاننا سنكون في عروبتنا موصومين بالهجنة وان كشف بياننا قسا وامرا القيس .

محمد الحاج ناصر



* ستتولى منشورات « ادوتايس » بمدريد طبع كتاب يضم مختارات ادبية وشعرية من مؤلفات السيد محمد الصباغ التي قامت باختيارها وترجمتها الى الاسبانية المستشرقة الاسبانية الدكتورة ليونور مرتينث مرتين استاذة العربية وآدابها بجامعة برشلونة وقد سبقت لهذه الدار ان اصدرت الترجمة الاسبانية لديوان « همس الجفون » لميخائيل نعيمة التي قامت بترجمته المستشرقة المذكورة بمساعدة محمد الصباغ ومقدمته .

* زار المغرب مؤخرا المستشرق التشيكوسلوفاكي الدكتور هيربيك ايفان ، رئيس قسم الشرق العربي وافريقيا بمعهد الدراسات الشرقية التابعة لاكاديمية العلوم ببراغ ، بدعوة من الجامعة المغربية . وقد القى المستشرق المذكور عدة محاضرات فى كلية الآداب المغربية .

* فاز الطفل المغربي الضرير محمد بن الحاج البالغ من العمر 13 سنة بالجائزة الكبرى كأحسن طفل يعزف على آلة الاكورديون فى مباراة باريس لهذه السنة . وقد سبق للفائز ان احرز على نفس الجائزة فى السنة الماضية .

* كتب الشاعر الاسباني الكبير خوسي ايير مقالا فى مجلة « البريد الادبي » المدريدية ـ عدد فبراير عن المسرح المغربي ، وخصوصا عن الفرقة الوطنية لوزارة التربية التي صادف ان شاهد روايتها « ملاك الدويرة » عندما كانت تعرض بتطوان .

* يصدر الدكتور محمد عزيز الحبابي ديوانه « بؤس ونور » مترجما الى العربية عن دار « عويدات » بيروت .

* صدر للشاعر المغربي كمال الزبدي ديوان شعر باللغة الفرنسية فى باريس .

* حضر عميد الجامعة المغربية الاستاذ محمد الفاسي اجتماعات المجمع اللغوي العربي السنوية بالقاهرة التي يحضرها الاعضاء من جميع الاقطار العربية للنظر فى تقدم اللغة العربية خلال العام المنصرم وما قام به المجمع من وضع وترجمة مصطلحات علمية جديدة ، وما سيقوم به من اعمال فى السنة القادمة .

* صدر مرسوم فى الجريدة الرسمية للدولة المغربية يمنع بموجبه دخول كتاب « اسرائيل » من تاليف دافيد كاتاريفاس الى جميع انحاء المملكة المغربية ، وكذا ترويجه وعرضه للبيع وقراءته . كما صدر فى نفس الجريدة مرسوم آخر يمنع بيع مجلة « اسرائيل » فى المغرب .

* انشىء بالمعهد الوطني للموسيقى والرقص التابع لوزارة التربية الوطنية بالرباط قسم خاص للفتيات اللاتي يرغبن فى دراسة الموسيقى والغناء .

* مثل المغرب فى مؤتمر همبورغ للعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى برنامج التعليم الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله رئيس مصلحة التعليم العالي والبحث العلمي . وقد عقد هذا المؤتمر بالتعاون مع قسم العلوم الاجتماعية باليونيسكو ، وشارك فيه ممثلو ثلاثة عشر قطرا ، علاوة على المغرب .

* عثر الدكتور حسين مؤنس على ديوان ابن دراج القسطالي الذي يعتبر من شعراء الاندلس اللامعين فى القرن الرابع الهجري .

* القى محمد الفاسي فى مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة بحثا عن « الامثال العامية فى المغرب » .

* ترجم الاستاذ سامي الدروبي الى العربية روايتين للاديب الجزائري محمد ديب وهما : « الحريق » و « النول » .

* سيزور المفكر اللبناني الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمة الجمهورية التونسية في شهر ابريل من هذه السنة. وسيقوم بالقاء عدة محاضرات حول التيارات الادبية العربية . وربما سيزور المغرب .

* من بين مواد الاتفاق الثقافي بين ج.ع.م. وتشيكوسلوفاكيا تبادل الروائع الادبية المختارة والصالحة للترجمة ، والعمل على تشجيع نشرها ، وان يدعو كل من البلدين وفدا ثقافيا من ثلاثة اعضاء لزيارة البلد الآخر لمدة عشرة ايام . وقد اقترح ان يكون من بين الاعمال الادبية التي تترجم الى التشيكوسلوفاكية : مختارات من الشعر العربي الحديث .

* صدر امر حكومي في الاقليم المصري يقضي بتحويل المقاهي التي تشملها القاهرة ونواحيها الى مراكز ثقافية ، واقامة مكاتب فيها . وتعد هذه المقاهي بـ 3000 .

* زار اخيرا القاهرة الكاتب الزنجي الاميركي ديفيد ديبوا ليكتب مسرحيته عن اضطهاد الملونين في اميركا .

* تنادى كثير من كتاب وادباء الاقليم المصري حول وضع دراسة تحليلية عن انتاج طه حسين . وقد الفت لجنة لهذا الغرض برئاسة الاستاذ العقاد .

* بعث الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي مذكرة الى معهد الدراسات العربية بالقاهرة اعرب فيها عن استعداده لتلبية رغبة المعهد في القاء محاضرات تتناول ادب المغاربة والاندلسيين في نصوصه العربية. وتشمل المحاضرات على مقدمة ضافية يتحدث الشبيبي عن رحلته الاخيرة الى المغرب والاندلس. ومن المعروف ان الشبيبي زار المغرب اخيرا بمناسبة الاحتفال بذكرى القرويين .

* تعكف ادارة الثقافة بالجامعة العربية على ترجمة الاعمال الادبية الاغريقية التي اثرت في الفلسفة الاسلامية .

* تقوم ادارة الشؤون العامة بوزارة التربية والتعليم بالقاهرة باعداد كتاب عن المملكة المغربية يتناول التطورات الحديثة في نواحي النهضة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

* تقرر عقد مؤتمر عام للبحث في وضع خطة جديدة لتيسير قواعد اللغة العربية في المنهج التعليمي لمختلف المراحل التعليمية ، يشترك فيه المختصون من اساتذة اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم في كل من اقليمي الجمهورية العربية المتحدة . وقد قرر مجمع اللغة العربية الاشتراك في هذا المؤتمر ، وتم اختيار الدكتور طه حسين والاستاذ ابراهيم مصطفى لتمثيل المجمع في المؤتمر ، كما تقرر ان يشترك ايضا في هذا المؤتمر ممثلون لكليات الآداب في الجامعات المختلفة باقليمي الجمهورية وممثلون عن الازهر . وينعقد المؤتمر في هذه الايام .

* فاز السيد الحسين الهنداوي بالجائزة الاولى في مسابقة القصة القصيرة التي ينظمها نادي القصة ونادي الادباء بالقاهرة . وعنوان قصته «بعد العاصفة»

* ستقدم لجنة المؤتمر العربي الاول للفنون الشعبية مسرحية غنائية جديدة لبيرم التونسي اثناء انعقاد هذا المؤتمر في ابريل القادم بالقاهرة .

* اختارت لجنة النشر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة نماذج تمثل البيئة المصرية واتجاهها الادبي المعاصر لترجمتها بناء على طلب الدانمرك . والنماذج المختارة من « الايام » لطه حسين ، و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم و « كل عام وانتم بخير » لتيمور و « الى ابنتي » لنعمات فؤاد .

* قررت وزارة الثقافة والارشاد بالقاهرة اصدار سلسلة كتب تشمل على « مختارات من الادب الافريقي والاسيوي » تنفيذا لقرار المؤتمر العام للاتحاد القومي .

* يقوم الدكتور محمد مندور بترجمة دائرة معارف المسرح الفرنسي الى اللغة العربية .

* « كتابنا في طفولتهم » آخر كتاب اصدرته مجموعة « كتب ثقافية » تناول فيها الاستاذ عباس خضر بالدراسة عددا من الكتاب والصحفيين المعاصرين

وهم : يوسف السباعي ، ونجيب محفوظ ، وفكري اباظة ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وكامل الشناوي، ومحمد زكي عبد القادر .

※ يعد فاضل السباعي مجموعة قصص جديدة جديدة للطبع بعنوان « الليلة الاخيرة » .

※ يصدر قريبا ديوان جديد للشاعرة جميلة العلايلي بعنوان « صدى احلامي » .

※ قررت لجنة الترجمة والتبادل الثقافي بمجلس الفنون والآداب بالقاهرة اصدار كتاب عباس خضر « قصص اعجبتني » فى سلسلة الالف كتاب .

※ « عمرو بن العاص » عنوان كتاب صدر للاستاذ المقدم محمد تناول فيه بالدراسة حياة القائد العربي ويشرح بالتفصيل حروبه واعماله .

※ « خفقات قلب » مجموعة قصص قصيرة صدرت فى كتاب لمؤلفها محمود الشرقاوي .

※ « الكأس الفارغة » ديوان جديد يصدر قريبا للشاعر رشدي برهوم .

※ « الى العندليب الاسمر » عنوان الديوان الذي اصدره الشاعر جلال مرسي . وقد صدر لهذا الشاعر من قبل « اضحك مع الدنيا » و « قصص من الجامعة » .

※ المجلس الاعلى للآداب والفنون بالاقليم المصري الف لجنة برئاسة احمد نجيب هاشم لتحضير حفلة ذكرى طاغور فى نوفمبر عام 1961 . وتضم اللجنة العقاد وطه حسين وبعض اعضاء المجلس . وستصدر ثلاثة مجلدات عن حياة طاغور ومختارات من شعره والمقالات التي نشرت عنه .

※ يعكف الاستاذ ابراهيم زكي خورشيد على ترجمة الكتاب الذي اصدره سومرت موم عن روائع القصص العالمي . عرض موم فى هذا الكتاب قصص « الاخوة كارامازوف » و « الشيخ جديريد » و « الهوى والكبرياء » وغيرها من اشهر القصص .

※ صدر فى القاهرة العدد العربي الاول من مجلة اليونيسكو العالمية المعروفة باسم « الكوريي » وهي مجلة مصورة شهرية تصدرها اليونيسكو بالانجليزية والفرنسية والاسبانية والروسية والالمانية .

※ « الكاتب » اسم المجلة الادبية الجديدة التي صدرت فى اول مارس الماضي بالقاهرة .

※ فرانسوا ساغان تعد كتابها الجديد عن مذابح الجلادين فى الجزائر بعنوان «ابصق فى وجوههن» وجوه الجلادين .

※ انتهى الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة ، من ترجمة كتاب « عيسى ابن الانسان » لجبران خليل جبران الى اللغة العربية.

※ نعت صحف القاهرة الشاعر المصري الكبير خالد الجرنوسي .

※ انتخب ثلاثة اعضاء جدد مراسلين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهم : الدكتور فؤاد صروف ، والاستاذ نظير زيتون ، والاستاذ واصف بارودي .

※ اتجاهات التاليف فى الاقليم الجنوبي عام 1960 مستقاة من احصائية دار الكتب به هي : ادب 530 ، اجتماع 497 ، لغات 132 ، علوم تطبيقية 212 ، فنون جميلة 63 ، تاريخ وجغرافية 187 ، علوم بحتة 186 ، دين 236 ، فلسفة 98 ، معارف عامة 494 .

※ تواصل بعثة من علماء المانيا الديمقراطية برئاسة الدكتور هنتزيه مدير معهد الدراسات المصرية بجامعة هامبولت فى برلين الشرقية تنقيبها فى اقليم مصورات الصفرة فى جمهورية السودان . ومن المنتظر ان تكشف البحوث التي تقوم بها هذه البعثة عن معلومات قيمة عن الامبراطورية الافريقية القديمة . وما زالت البعثة تواصل اعمالها .

※ اعدت الكاتبة السورية سلمى الحفار كتابا يضم بحوثا عن اثنى عشرة سيدة عرفهن التاريخ قديما وحديثا واطلقت على كتابها : « نساء متفوقات ».

※ ستصدر الكاتبة السورية وداد سكاكيني كتابا عن مي زيادة .

❊ طبع في موسكو كتاب بالروسية عن الاساطير الشعبية في سوريا ، ومؤلفة الكتاب هي نينا بيكوليجسكايا التي قالت ان هذا الكتاب يمثل حياة الشعب في سوريا خلال العصور المختلفة . وقد جمعت المستشرقة الروسية 120 اسطورة وحكاية من سوريا وترجمتها الى اللغة الروسية .

❊ اختتم مؤتمر العلماء لنصرة الجزائر جلساته بدمشق ، واصدر قراراته باعتبار العدوان الفرنسي في الجزائر عدوانا على الحرية والانسانية واعتبار فرنسا في حالة حرب مع العالم العربي والاسلامي ، وقرر المؤتمر ان الجهاد في صفوف جيش التحرير فريضة على كل من استطاع بجميع الوسائل .

❊ يقوم فرع مجلس الفنون بالاقليم الشمالي من ج.ع.م. باحياء ذكرى عبد الحميد الزهراوي ، ورفيق رزق سلوم ، وطاهر الجزائري .

❊ صدر لشاكر مصطفى كتاب « القصة في سوريا » الذي يعرض تاريخ القصة وفنها في الاقليم الشمالي من ج.ع.م. من سنة 1914 حتى اليوم .

❊ اعد مطاع صفدي كتابين للطبع الاول بعنوان « الثوري والعربي الثوري » وهو يبحث في النماذج الثورية كما اتضحت في الانتاج الابداعي لدى الغرب ، يقارنها بالنماذج الثورية في واقعنا العربي ، والثاني بعنوان « حنين الى الانسان » وهو دراسة فلسفية خالصة تكشف عن لغز الانسان من خلال الفكر المعاصر .

❊ الاديبة الشاعرة كوليت خوري منهمكة في هذه الايام بكتابة قصتين الاولى للنشر ، والثانية للسينما ، عنوان الاولى « ليلة واحدة » ، اما الثانية فلم تعنونها كوليت بعد .

❊ ورثة الشاعر السوري المرحوم عبد الباسط الصوفي ارسلوا الى دار الآداب ببيروت يطلبون منها وقف طبع ديوان الشاعر الراحل .

❊ بحثت جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان موضوع الجوائز التي تمنح للكتاب والادباء وقد تقرر تخصيص جائزة قدرها خمسة آلاف ليرة لاحسن اديب ، وجائزة اسمها جائزة التوجيه الوطني وقدرها ثلاثة آلاف ليرة ، وجائزة الابحاث العلمية وقدرها الف ليرة . وهناك جائزة لم تقدر قيمتها بعد ستمنح لاحسن كتاب عربي طبع في لبنان . والهدف منها تشجيع الادباء العرب على النشر في لبنان .

❊ سيقدم للطبع الشاعر اللبناني الكبير بشارة الخوري (الاخطل الصغير) ديوانه « الوتر الجريح » وهو الجزء الثاني من ديوان « الهوى والشباب » وكتاب « من بقايا الذاكرة » و « مختارات مقالاته » التي نشرت في جريدة « البرق » .

❊ اصدر الدكتور عبد السلام العجيلي كتابه الثامن « الخائن » وهو عبارة عن مجموعة قصص جديدة مكتوبة باسلوب شيق جديد .

❊ ترجمت الاديبة اللبنانية ليلى الحافي الى العربية رائعتين من روائع اديب ايطاليا البيرتومرافيا « العاشق الفاشل » و « شهر العسل المر » .

❊ اقيمت في قصر اليونيسكو ببيروت حفلة تذكارية بمناسبة مرور سنة على وفاة الكاتب اللبناني كرم ملحم كرم ، تكلم فيها : ميخائيل نعيمة ، وسعيد عقل ، ورئيف الخوري ، وعبد الله العلايلي .

❊ صدر في بغداد الجزء الثامن من كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » لمؤلفه الدكتور جواد علي . وتولى نشر هذا الكتاب المجمع العلمي في العراق .

❊ تالفت لجنة من اتحاد الادباء العراقيين مكونة من محمد المهدي الجواهري ، وبلند الحيدري ، ومحمد صالح بحر العلوم ، ومحمد الحيوبي ، وذلك لجمع مختارات من الشعر العربي الحديث واعدادها للطبع .

❊ يباشر في العراق طبع « دليل الجمهورية العراقية » يتضمن تاريخ عمر العراق الجيولوجي ، والحضارات الاولى منذ سكان كهف شاندور حتى اليوم، سواء من الناحية البشرية او الارضية او الزراعية او الاقتصادية او غيرها الى جانب ما وقع في العراق من احداث وتغييرات ، وبدء استعمار العراق حتى قيام الثورة العراقية سنة 1958 ، كما سيضم خرائط وجداول وبيانات ملونة وغير ملونة .

❊ عثرت احدى بعثات التنقيب عن الآثار في العراق على تقويم لاشهر السنة وايامها مبوبا على اساس ديني يشمل الايام الصالحة للعمل . ويعتبر هذا التقويم من اقدم التقاويم السنوية بالعراق اذ يرجع تاريخه الى عصر حمورابي في القرن الثامن عشر ق.م. وقد سجل على لوح من الفخار .

❊ انتخب المجلس العلمي العراقي عشرة اعضاء من الدول العربية ليكونوا مراسلين للمجمع . من الاعضاء المنتخبين : عزيز اباظة ، الدكتور حسين مؤنس ، الدكتور شوقي ضيف ، عز الدين التنوخي ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، الشيخ علي الطنطاوي ، الدكتور سامي الدهان ، سعيد الافغاني ، محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية ، خير الدين الزركلي .

❊ وقع اتفاق ثقافي هذا الاسبوع بين الجمهورية العراقية والولايات المتحدة الاميركية « لاستمرار التبادل الثقافي والتعاون الوثيق في ميادين العلم والتربية والثقافة على اسس متكافئة من اجل زيادة التفاهم المتبادل بين الشعبين » .

❊ « اشعار من جزائر اللؤلؤ » اسم الديوان الذي اصدره الشاعر السعودي غازي عبد الرحمن القضيبي.

❊ قررت دائرة المطبوعات والنشر في الكويت احياء التراث العربي القديم ، عن طريق طبع المخطوطات ذات القيمة الادبية والعلمية الكبيرة . وبعد دراسة وافية تقرر ان تقوم دائرة المطبوعات بطبع ستة كتب سنويا . ومن المخطوطات التي اختارتها وبدات في طباعتها هذا العام هي : « كتاب الذخائر والتحف » للقاضي الرشيد بن الزبير في ثلاث مجلدات و « العبر في خبر من غبر » لمؤلفه الحافظ الذهبي و «كتاب الاضداد في اللغة» لمؤلفه الانباري و «المصون» لابي هلال العسكري و « اخبار البحتري وابي تمام » لمؤلفه ابن الاثير الجزري .

❊ اعلنت الصحيفة الاسبوعية الهندية « سمعد هانا » الى الفنانين في جميع انحاء العالم الى الاشتراك في « مسابقة دولية لرسوم الاطفال » وستنشر الصحيفة جميع الاعمال الفنية المختارة في عدد خاص .

❊ اصدرت احدى دور النشر اليوغسلافية مجموعة قصص بعنوان « مع المجاهدين في الجزائر » للكاتب اليوغسلافي ميلوتيني الذي عاش في الجزائر عام 1959 .

❊ اثبت العالم السوفياتي البروفسور افيديف ان الاغريق كانوا تلاميذ المصريين . وقال العالم المذكور الذي قضى اربعين عاما في دراسة الآثار المصرية القديمة : « ان السنين الطويلة التي قضيتها في دراسة اوراق البردي اكدت لي ان الفلسفة الطبيعية التي تعتبر حتى الآن من مآثر الحضارة الاغريقية قد ظهرت في اليونان تحت تاثير آراء المفكرين المصريين» وزاد قائلا : « انه عثر على مقالة فلسفية مصرية قديمة شديدة الصلة بما جاء في تعاليم الفيلسوف الاغريقي هرقليط عن النار » . وتحدث العالم السوفياتي عن العلاقات الثقافية والتجارية بين اليونان ومصر فقال : « انها ترجع الى العصر الهليني ق.م.» وقال كذلك : « انه يستنتج من دراساته الاخيرة ان الاغريق قد اخذوا الحقائق عن الشعوب الشرقية ، ثم عمدوا الى تركيزها ووضعوها في نظريات واضحة ، ولهذا راجت عنهم ، ونسبت اليهم .

❊ اعلنت وكالة طاس انه نشرت مؤخرا وثائق فريدة في نوعها حول الدولة العباسية لمخطوط يجهل مؤلفه ، ويرجع تاريخ هذا المؤلف الى القرن الحادي عشر . واوضحت الوكالة السوفياتية بان الاقسام المهمة من هذه الوثائق التي عثر عليها عام1915 واحتفظ بها في لينغراد تتعلق بتاريخ الخلفاء والفترة الممتدة بين سقوط دولة الامويين وقيام دولة العباسيين .

❊ تحتفل بولونيا في هذا الشهر بالعيد المائوي الثالث لصحيفتها « ميركور بولونيس » ، وهي صحيفة اسبوعية ظهرت لاول مرة في الثالث من يناير عام 1661 وكانت بذلك من اولى الصحف التي ظهرت بانتظام في اوروبا .

❊ لاول مرة بعد الحرب العالمية الثانية تصدر دائرة معارف جديدة في المانيا وهي مكونة من 12 مجلدا ، واضيف اليها مجلد يضم 375 خريطة و240 صورة توضيحية . وتعتبر دائرة المعارف الالمانية الجديدة عملا ضخما تم في سنوات قليلة على ايدي كثير من مؤرخي الالمان الذين قدموا الحقائق في اسلوب جديد يتلاءم مع حياة المانيا اليوم .

تمكن مهندسان فرنسيان من صنع آلة طباعية جديدة اطلق عليها اسم «لومطيب» ، وهي تعمل بدون حرف، وبدون حبر، اذ تسجل بواسطة عين الكترونيك

* انشأت هذا العام مؤسسة « فاليري لربو » بمدينة فيش مركزا ثقافيا دوليا للطلاب الاجانب . وسيعقد فى الصيف القادم فى هذا المركز مؤتمر لكبار كتاب العالم فى موضوع البحث فى مؤلفات « فاليري لربو » .

* منحت هذه السنة جائزة الترجمة الفرنسية الى المترجم الفرنسي موريس فوسار الذي نقل الى الفرنسية رواية الكاتب الايطالي فرنشسكوبري « حبائل الكذب » .

* فاز الشاعر الفرنسي بيير جان صوف بجائزة مدينة فلورنسا للشعر ، وهي جائزة تمنحها جماعة دانتي الايطالية .

* نعت باريس الناقد الفرنسي رينه لالو الذي كان له الاثر الكبير فى توجيه الادب الفرنسي ما بين الحربين . وقد توفى عن 71 سنة .

* منح اتحاد العميان جائزته للكاتبة دينير لجري تقديرا لروايتها « هكذا ولدوا » ، وهي تمنح لكل مؤلف يبعث الشعور الانساني بحالة الاعمى والاخرس وكل ذوي العاهات . والمؤلفة تروي فى كتابها قصة حياتها ، فقد ولدت بدون ذراعين وساقين .

* توفي اخيرا النحات الفرنسي المشهور هنري بوشار الذي كان عضوا فى اكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية .

* اصدرت الكاتبة الفرنسية جبريل استيفال كتابا بعنوان « زبيدة » عالجت فيه اوضاع المراة العربية فى الجزائر .

* اهدى الملك سعود مجموعة كتب تعد بـ 226 كتابا فى التاريخ والادب والدين والعلوم الى المعهد الاسباني العربي بمدريد .

* صدر فى روما كتاب عن الشاعر احمد شوقي من تاليف ثلاثة من المستشرقين الايطاليين .

* عقد المركز الدولي لدراسة وسائل حماية الآثار الثقافية اجتماعه الاول فى مدينة روما، واقترحت الجمعية العامة عددا من الاجراءات التي تتعلق بمشاكل الترميم او بالمسائل الخاصة باذاعة المعارف المتعلقة بحماية الآثار . وقدانشيء هذا المركزالدولي فىروما سنة 1959 باتفاق مع حكومة ايطاليا واليونيسكو . وتتعلق الدراسات العامة بحماية الآثار الحجرية من ناحية ، وبالآثار المعدنية او الحيوانية ، او الرسوم الحائطية من ناحية اخرى .

* قررت دار النشر البريطانية « هانيمان » نشر رواية عبد الرحمن الشرقاوي « الارض » فى السلسلة التي تصدرها عن الشرق والغرب بعنوان البسبور الازرق .

* اكتشف العالم الايطالي روزيد نجما يزيد لمعانه بمائة الف مرة عن لمعان الشمس .

* انهار فى الايام الاخيرة فجاة برج الكنيسة التاريخية التي تضم مدفن « جولييت » بمدينة فرونا الايطالية ، والتي يقصدها آلاف السائحين كل عام خصوصا لزيارة قبر « جولييت » . وقد عزا اهالي فرونا انهيار البرج ـ الذي يبلغ طوله 82 قدما ويرجع تاريخه الى القرن الثاني ـ الى فعل قنابل الحرب العالمية الثانية ، وتسرب مياه الامطار الاخيرة الى اساسه .

* لم يحظ كتاب فى الآداب العالمية بمثل ما حظى به كتاب « مذكرات جاك كازانوفا » ومن آخر انباء هذا الكتاب انه ترجم ترجمة جديدة الى الانجليزية .

* ظهر اخيرا ان كريستيبان كولمبوس مكتشف اميركا كان يصدر جريدة اثناء اسفاره عبر البحار والمحيطات. وقد استطاع احد البحاث الانجليز الحصول على نسخة من هذه الجريدة ، وترجمتها الى الانجليزية ونشر مع ترجمته صورا للخرائط التي رسمها كولمبوس، وبعض النصوص التي كتبها بيده . ونشرت هذه الترجمة مؤخرا فى لندن .

فهرس العدد السادس .. السنة الرابعة

الصفحة

الصفحة

ديــوان دعــوة الحــق :

قـصــــــة الـعـــــدد :

آفـــــاق فنيـــــة :

